

الصحافة والانحراف

خليفة الوقيان

ممارسة اعمالهم الشريرة . وقد افاد هؤلاء الخبر والساثرون في ركايبهم مما يسمى بحرية الصحافة الكويتية من جهة ، ومن تراجع الصحافة اللبنانية ممارسة دورها السابق بحكم الظروف الجديدة التي خلقتها أحداث لبنان من جهة أخرى .

ان الكويت مهياة الان لان تستقبل قوافل المخربر والمرضى والماجورين وعملاء المخابرات الذين تحول ظروف لبنان الحالية دون قيامهم بتأديب دورهم التخريبي على الوجه الاكمل ، ويضاف الى جبهة من السواقط الذين لفظهم نمو الوعي من بعض الاقطار العربية .

وقد بدأت الصحف الكويتية تحتضن عينات من هـ السواقط ، وتضج لها المجال لتمارس هجبتها الوحشية المدمرة التي تستهدف — فيما تستهدف — تدمير الانسان العربي ، وطعنه في اعز ما يمتلك وتهديم قيمه وما تبقى من تطلعاته الواعية .

اننا ندرك جيدا ان الخرق ينسج بصورة تثير القزوه وتدعو للتشاؤم . وان الازهاب الذي يمارسه الماجورون والجهة الساثرون في ركايبهم يغري بالاستفسار لىاس ولكتا ندرك في الوقت ذاته ان الذين يشرهم كتشف العورات هم الماجورون الذين يدافعون عن هـ اقمهم ، او الجهة الذين لا يميزون بين الحق والباطل . ولذا فان ضجيجهم وهياجهم في كل مرة لن يزيدنا الا ايمان بوجود مزيد من القشواهد التي تؤكد القاعدة او الحقيقة عملا ببدا يكاد المريب يقول خذوني .

من الطبيعي اننا لم نقل بعد كل شيء . ولكن هـي ثمة حاجة الى توكيد ضرورة نهوض الاقلام القليلة المخلصة لكشف الاساليب المنحرفة التي بدأت تتخذ من الصحف الكويتية مواقع للانطلاق ؟ وان التفتن اشاعة ونشر الفضائح والصور شبه العارية ليس سوى وجه واحد من وجوه التخريب ؟

عند صدور هذا العدد تستهل البيان سنتها الحادية عشرة ، مؤمنة ان ما ينفع الناس يمكت في الارض ، وان طفت الضحالة وتفشى الزيف الى حين ، تاركة لقرائها في الكويت بخاصة ، وفي الوطن العربي بعامة مهمة الحكم على مسيرتها .

ولعله من المناسب ان نرجع على الصحافة الكويتية ، ونشير الى ظاهرة خطيرة بدأت تنفشى في الالونة الاخيرة وننذر بانار لا تحمد عقباه ، ان لم يتداركها المخلصون لمستقبل المنطقة .

لقد ادى التنافس التجاري بين الصحف الى اللجوء لاساليب فريدة من الانحراف بغية اجتذاب القاريء . ومن هذه الاساليب اصدار الملاحق العارية ، والتفتن في نشر الفضائح التي تجرح الاخلاق وتخدش الحياء . ولقد تجاوز الامر حد ترجمة الفضائح المنقولة عن الصحف الجنسية الاجنبية الى الحديث عن فضائح المجتمع العربي في الكويت بصورة تدعو الى التشك والتساؤل .

ان كثيرا من القصص الملفقة و « المفبركة » تحبل في يديها دليل نهافتها ، ومع هذا نلمس الاصرار على اشاعتها بين الناس ، على اوسع نطاق ممكن ، من خلال الصحف اليومية والاسبوعية والملاحق الموقلة في التهلك ، وذلك بغية توطيد النفوس على قبولها واستساغتها ، والتسليم بانها واقع لا سبيل الى التفور منه او استهجانها ، بحيث ينتهي الامر الى التسليم بان الانحلال هو الاصيل ، وان الاستقامة توشك ان تكون من الاماني العزيرة .

واذا ما تذكرنا ان الصحف الكويتية رائجة في منطقة الخليج العربي خاصة — كونها تصدر في بلد محافظ — فان هذا يثير الشك في وجود النية المبيته لغزو هذه المنطقة الفكر بالفساد المضلل ، او الانحلال الدروس ، الذي يخطط له خبراء التخريب والهدم ، الذين اتخذوا من معظم الصحف الكويتية مواقع لهم للانطلاق في

محمّد

شعر
خالد
سعود
الزميد

غَرَقَتْ فِي فَضَائِهِ تَائِهَاتٍ
مِثْلَ قَطْرِ لَوْ كَانَ فِي الْبَحْرِ يَبْدُو
كُلَّ حَرَاءٍ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ مَا مِنْ
شَاهِدٍ غَيْرِهِ هُنَاكَ يَعْبُدُ

شَهِدَ الْحَظُّ الْيَتِيمَةَ لَمَّا
وَقَفَّ الْكَوْنُ خَائِطًا لَا يَرُدُّ
وَصَفَوْفَ مِنَ الْمَلَائِكِ رَتَلٌ
خَلْفَ رَتْلِ مَنْ خَيْرٍ مَا صَفَّ جُنْدُ

وَتَوَالَى عَلَى الْبَسِيطَةِ جَبْرِيلُ
وَحِيدًا يَرُوحُ فِيهَا وَيُنَادُو

ثُمَّ نَادَى فِي الْكَوْنِ ثُمَّ مُنَادٍ
أَيْتَهَا الظَّالِمُونَ قَدْ حَانَ وَرْدُ
قَدْ تَلَاقَى رَكْبُ السَّمَاءِ بِرُكْبِ الْ
أَرْضِ فِي أَحْمَدِ الْهُدَى وَهُوَ نَرْدُ

مَا لَمَعْنَاهُ فِي الْحَقِيقَةِ حَادُّ
كُلُّ شَيْءٍ مِنْ نُورِهِ مُسْتَمَدُّ
هُوَ هَذَا الْعَمُورُ تَتَرَى تَبَاعًا
هُوَ هَذَا الْجَمُوعُ حِينَ تُعَدُّ

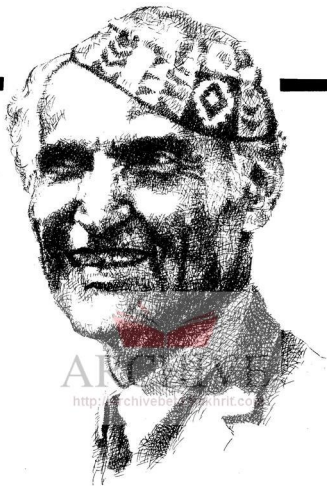
فَهُوَ مَا بَيْنَ ظَاهِرٍ يَتَوَارَى
وَهُوَ مَا بَيْنَ بَاطِنٍ يَسْتَجِدُّ
قَدْ مَضَى غَيْرُهُ الْوُجُودُ سَبَاقًا
نَحْوَ غَايَاتِهِ الَّتِي لَا تَحَدُّ

صَلَبَتْ فِي مَكَانِهَا عَادِيَاتُ
صَبَحَتْ وَالطَّرِيقُ قَتَلَ وَحَدُّ
عَتَرَ الدَّرَبُ حُلُمَهَا وَبَعِيدُ
مَا رَمَاهَا إِلَيْهِ وَجَدَ وَوَجَدُ

مَا أَرَى الشَّمْسَ غَيْرَ جَذْوَةٍ شَوْقٍ
سَاقَهَا فِي مَسِيرَةِ الْحُبِّ عَبْدُ
وَالْجَوْمُ الْمُسَخَّرَاتُ لِأَمْرِ
قَتَلَتْ لَيْلَهَا وَلَمْ تَجْرِ بَعْدُ

خالد سعود الزميد

الكويت



البحر افريقيا

(*)

ودجلة والمرأة والاستخلاص

« محاولة في التحليل الأدبي »

الدكتور محمد جواد رضا

★ ★ ★

على أنني أحب أن ابتدئ ، فأوجه عنايتكم الى أن
حدثني اليكم هذا المساء إن يكون محاولة للتعريف
بالجواهري لانه محاولة لمعرفة الجواهري . وهذا
تصد ليس بالسهل . وعلى الذين يرومون فهم
الجواهري أن يتبينوا مواضع أقدامهم قبل أن يجازفوا
بحكم أو رأي غير متوثقين منه . ذلك أن الجواهري
ليس شاعرا عاديا وإنما هو ظاهرة كونية في دنيا
الشعر العربي لا يشهد التاريخ أمثالا الا على آحاد
متباعدات . لقد فصل بينه وبين المتنبي ألف عام
كما فصل بين الجاهلي وأمرئ القيس ألف آخر ممن
السنين أو ما يقرب من ذلك .

لقد بدأ الجواهري في الإبداع الفني حيث ينتهي كثير
من الشعراء المجهّدين ، في القية . أول تصائد
الجواهري المنشورة هي قصيدة « العزم وإنائه » وكان
ذلك عام ١٩٢١ وافتتحها بقوله :

هو العزم لا ما تدعي السر والقبض

وذو الجد حتى كسل ما دونه لعب

ومن أخلفته في المعالي قضية

تكفل في إنتاجها الصارم الضرب

ومن يتطلب صعوبات مسالك

فايسر شيء عنده المركب الصعب

تلت هذه القصيدة ، قصيدة « الثورة العراقية » في
العام نفسه وهي مفتحة بقوله :

لعل الذي ولى من الدهر راجع

فلا عيش أن لم يبق الا المطامع

غرور يبيننا الحياة وصفوها

سراب وجنات الاماني بلاقع

نص المحاضرة التي القاها في رابطة الادباء في
الكويت الدكتور محمد جواد رضا استاذ التربية
المقارنة ، عميد كلية الاداب والتربية في جامعة
الكويت ، وذلك مساء يوم الاربعاء ١٩٧٦/١/٧
فيها الصداقة :

لم آنك الليلة محاضرا ولا معلما ولا خطيبا .
لست دهقاناً من دهاتين الكلية . وانما جئتكم مستريحا
فمن دنيا الدهاتين . فان كان ثمة حمد ومجدة
أنتم المحودون أولا واخيرا على ما ارجتم لي من
إبتراحة المتعبين في فردوس الادب ، هذه القسي
وجدتها كما صورها الجواهري

بسدرة نبعها خضد وساقية

وباسق النخل معقوف العراجين

والشعراء ايها السادة هم حيلة مزامر داود على
سنة الارض ، وهم سدنة السلام النفسي بين البشر
م مطيبو الالم الانساني اذا ما وعوا رسالتهم كما
إها الجواهري .

جدلة الخير كان الشعر هذ رسمت

كف الطبيعة لوحا سفر تكوين

زمار داود ، اقوى من نبوته

فحوى وابلغ منها في التضامين

يا جدلة الخير لم نصحب لمسكنة

لكن لنلبس أوجاع المساكين

هذه الخلائق أسفار مجسدة

الملهمون عليها كالعناوين

اذا دجى الخطب شعت في ضمايرهم

أضواء حرف بليل البؤس مرهون

نسر بزهو من حياة كذوبة

كما أفر عن ثغر الحب مخادع

هو الدهر قارعه يصاحبك صفوه

فما صاحب الأيام الا المقارع

في هذه السنة ترات له بغداد والعراق كله ١٦
قصيدة كلها من هذه الطبقة العليا وكان هو
ابن احدى وعشرين سنة وليس له شيء منشور
قبل هذا التاريخ . فاذا افترضنا اضطراراً وجود
فترة خفية لغزوة الشعر وتجويده سبقت هذه القصائد
فلا بد ان يكون الجواهري اقلنى قد بدا المعاناة
الفنية بين الرابعة عشرة والحادية والعشرين . وان هذا
لشأن بعيد .

آخر قصيدة نشرت للجواهري كانت قبل اشهر
قليلة ماضية ، اربعة او تزيد ، وهي قصيدته :

أرح عن صدرك الزبدا

ودعه ييئث ما وجدا

وبهذا يكون الرجل قد قطع من دروب الخلق
الفني والمعاناة الوطنية خمسة وخمسين فرسخاً كان
اكثرها مزروعاً بالقتاد وقد ترك على كل فرسخ منها
ميساً من ذاته ، غير ان اروع ما فيه انه لم يكف عن
المسير متقبلاً شعاع الشمس يغمر به بصره ويصيرته فلم
تدخل الظلمة الى قلبه . واني لاعلم علم اليقين ان
مسيحاً كالجواهري حمل على ظهره صليب الشعب
خمسین سنة وتزيد متقللاً على دروب الآلام آكله من
ظهره سياط البني السياسي ، ان رجلاً كهذا لا يمكن ان
يكون من دون خصوم ولا خصومات . كذلك كان كل الرجال
الكبار في التاريخ .

ولاني غير معنيّ بخصوم الجواهري ولا بخصامه ،
فلقد جئتمك الليلة بما لا يخلط فيه الناس على
الجواهري ، جئتمك بذلك النسخ الروحي الذي سيظل
نمياً تاجاً يستريح عنده واليه وبه كل المتعبين الضارين
في شعاب هذه الدنيا كما استرحنا نحن والجواهري عند
نابيع المنهي الروحانية الثرة .

لقد كتب القاضي عبد العزيز الجرجاني كتاباً في
الوساطة بين المتنبي وخصومه . وقد ذهب المتنبي
وذهب خصومه وبقي على الارض شيء ما من المتنبي
هو ملك الدنيا والبشرية ما بقيت الدنيا وما ظلت البشرية .
لقد ذهب « كفى بك داء ان ترى الموت شافياً » وبقيت :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا

وعنهم من امره ما عنانا

وسيدهب الجواهري وخصومه وستذهب معه

« انا حتفهم ألح البيوت عليهم » ، وستظل من بعده

يا دجلة الخير لم نصحب لمسكنة

لكن لتلمس اوجاع المساكين

حزمة من نور هذا النيزك الضخم في سماء الفكر
العربي المعاصر .

★ ★ ★

الجواهري ليس شاعراً عادياً اذن وانما هو
ظاهرة كونية في الفكر العربي المعاصر . حسناً ، ان هذا
يجعل النفاذ الى دنياه الباطنية قضية صعبة عندما
توزن بموازين النقد الادبي الدقيقة . ومن هنا قصر اكل
الكاتبين عنه في فهمه . كل الذين كتبوا عنه كانوا إما
محبين له او شائئين عليه . فما أغنى حب المحبين و
شأن الشائئين عن الحاجة الى فهمه ، وهي حاجة
غير مقضية حتى الوقت الحاضر .

لقد فسروه تفسيراً خارجياً لفظياً فمعجزوا عن
استبطانه ، عن فهمه فيها داخلياً انسانياً منفصلاً بالكون
والاحداث بقدر ما هو فاعل فيها . ومن هنا جاء
الاغتراب الحقيقي بينه وبينهم . ولعل هذه واحدة من
تصورات النقد الادبي العربي المعاصر الذي ظل عاجزاً
عن الانتفاع باداتين من أدوات التحليل الادبي الفني ،
هما الميتولوجيا الاغريقية ، والتحليل النفسي ، ولذا
بقي حتى الان نقداً خارجياً عاجزاً شغله الالفاظ والخولق
الطائفة .

ان من بعض مقاصد هذا الحديث اليكم ان نحاول
فهم الجواهري فيها استبطانياً ، بمعنى ان نفهمه
انساناً منفصلاً بالاحداث والاشياء من دون محاولة اصدار
احكام اخلاقية عليه . وهناك جملة مفاتيح لا بد من
الاستعانة بها لك مغالبي هذه الشخصية الغامضة
المعقدة .

والفتاح الاول الى شخصية الجواهري هو ان
الرجل لا يمكن فهمه معزولاً عن التقليد الثوري في
العراق . لا اريد العراق الحديث وحده ، وانما اريد
بالعراق بعده التاريخي الضارب في القدم . فمن العرائر
خرجت ميثاق الثورة الاولى على عثمان « رش » . وإلى
العراق نقل مركز الخلافة من المدينة لتوضع فيها يسود
تحت رقابة النافرين . وفي العراق قامت ثورة الحسين
لنهز المجتمع الاسلامي الجديد الى اعلى وجوداته
السياسية والاخلاقية . ثم جاءت ثورة التوابين وثورة
زيد بن علي والحركة الاسماعيليه وحركة القرامطة
وثورة الزنج والحشاشون والنصيريون . وفي العراق
ظهر الاعتزال واخوان الصفا . فاذا وجدنا العراق
الحديث تزلزله الثورات فليس ذلك بالبدع الجديد . انها
مجرد حلقات في سلسلة الرضى الطويل للفساد السياسي

والنظام الاجتماعي مارسه هذا الشعب الذكي المنمرد .
لقد ميز هذا التقليد الثوري الطبقة المفكرة العراقية
بروح قوية من المنمرد ، ويشعور قوي من الغربة . وقد
كان ذلك جماع تدبرها . وأنه لقد لاحظ أن تضطرب
حياة المفكر بين الرفض والاعترا ب . روح الرفض هي
التي جعلت رجلا كفيها مثل بشار بن برد يزرع السلطان
السياسي بلاء فمه :

إذا الملك الجبار صعر خده

مشتينا إليه بالسيوف نعاتبه

وجعلت شاعرا ابيا مثل دعبيل الخزاعي يصمق
خليفة مثل المأمون في مجلس حكمه وبين رجالات دولته
بخطاب مهين

ويسومني المأمون خطة ظالم

أو ما رأى بالأمس رأس محمد

أنني من القوم الذين سيوفهم

قتلت أخاك وشرقتك بمقعد

فيقول المأمون بشيء من الانكسار المثلث بالكبرياء لا والله
فأنا شرفنتي سيوف الخزاعين بمقعد .
وروح الرفض هي التي جعلت أبا قواس يهاهي

وما أنا بالمشغوف ضربة لأرب

ولا كل سلطان علي أهمل

أما الاحساس بالاعترا ب فهو الذي صعد روح
النفور بين المثبي ومجتمعه فبتر سلته الروحية به
بتشكيا مرة

ودهر ناسه ناس صفار

وان كانت لهم جثث كجبار

وما أنا فهم بالعيش فيهم

ولكن معدن الذهب الرغام

وأخرى

أنا في أمة تداركها الله

غريب كصالح في ثمود

ما مقامي بارض نخللة الا

كقيام المسيح بين اليهود

وعندما يجتمع الرفض والاعترا ب في نفس ذكية
كنفس دعبيل الخزاعي هناك يكون الانفصال الأكبر

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم

ويعلم الله أنني لم أقل فتدا

أنني لأفتح عيني حين افتدها

على كثير ولكن لا أرى أحدا

ليس هذا غرورا أيها السادة وإنما هو تأسيل
لحق الشاعر في أن يقف مقفرا أزاء الجماعة كلها .
ولقد وعى الجواهري هذه الحقيقة وعيا نفسيا وتاريخيا
كاملا ومن هنا رفض أن يوزن بموازين المجتمع العامة .

كيفما صورتها فلنكن

أنا عن تصويرة الناس غني

لا أبالي قاذبي من مادحي

لي في الوجدان ما يقنعني

لست بالجامد أنني شاعر

هزة السروح ترى من بنفسي

ديدي تصوير ما في خاطري

وأنا مفرى بهذا اليدن

وهو يرفض موازين المجتمع لأنها موازين خارجية
معيارها المال والعلاقات والانساب ولا مكان فيها للذكاء
والروحية والانزوا الماخلاقي . أما هو فمعياره داخلي
يقضي الإنسان بالإنسانية وليس بملكاته ، وبما تنطوي
عليه هذه الإنسانية من ذكاء وعفة وأباء وترفع وحب
للحق ومبر على المجادلة من أجله ، هاته الخصال التي
يطلق عليها الجواهري مجتمعة أسما واحدا هو
« الضمير » :

أقول لنفسني إذا ضمها

وأزادها بحمل يزدهي

تسامي فأنك خير النفوس

أذا قيس كل على ما انطوى

وأحسن ما فيك أن « الضمير »

يصبح من القلب أنني هنا

وأنت إذا زيف المعجبين

تلا لا للمعين ثم انجلي

ولم تستطع همهم المدد

عين صبرا على جمرة المدعى

خلصت كما خلص ابن « القيون »

ترعرع في النار ثم استوى



ووجهه كشعاع الفجر منطلق

وعينه كوميض الجمر تنق

وفيه تاليفة من هيكल عجب

فيه الحمامة جنب النسر تتحد

انا ابن ((كوفتك الحراء)) لي طنبن

بها وان طاح من اركانها عمد

جوار كوخك لا ماء ولا شجر

ولصق روحك لا مال ولا صفا

ولا شكاة ايشكو السيف منجردا

لا يخلق السيف الا وهو منجردا

خبت بنا فارعات الجو نوسعها

نرعا وخبت بك الزفاة الاج

فكن ابا الطيب الجبار لي مددا

ولي بما صفت من « جبارة »

يا شاغل الدهر اجيالا واحقة

ومتعب الناس من نوموا ومن جدوا

هذا ايها السادة هو اذن اول المفاتيح الى تلك

مغاليق الشخصية الجواهرية ، ان يتعامل معه على ان

امتداد لموارث الرفض والاغتراب في الحياة العراقية

وليس صدفه محضا ابدا ان تكون الكومة واحوازم

منبت هؤلاء المنرددين الثلاثة دعبل والمتنبى والجواهري

حيلة بيارق الرفض لاختلاقيات النخاسين في سوة

الى هذا الميراث الثقافي من الرفض والاغتراب ينتسب الجواهري وهو جزء من تطوره التاريخي العام . ان القول بتكامل الجواهري مع هذا الميراث ليس تفسيراً ادبياً محضاً ، وانما هو تحقيق لنظرية نفسية معترف بها في مدرسة التحليل النفسي الحديثة . فمن مطالع هذا القرن نظر كارل غوستاف يونك C. G. Jung - القطب الثالث لمدرسة التحليل النفسي

بعد فرويد وادلر - نلظر يونك هذه الحقيقة ، حقيقة تكامل الفرد مع ميراثه الثقافي الاجتماعي العام في نظرية اللاشعور الجماعي The collective unconscious تقوم نظرية اللاشعور الجماعي على القول بأن المجتمعات الانسانية - من خلال تراكم تجاربها الجماعية الخاصة - تكون عن ذاتها صورة كاملة غير قابلة للانقاص وهي تعبرها الى اجيالها الجديدة حتى لنحو بها شخصياتها المتفردة وتحل محلها هذه الصورة الكاملة عن الذات الجماعية وتمنصم فيها . وتعتبر الجماعات البشرية « الطفل » صورتها المستقبلية ، من هنا تتعامل الجماعة معه على انه ذاتها رمز للنفس الجماعية . احيانا يكون الطفل الهيا ، احيانا سحرىا و احيانا طفلا عاديا . والاهتمام المتواصل في الاساطير والموارث الشعبية بدوافع الطفل والمكانة الرفيعة التي يحتلها الطفل في كثير من الديانات وبخاصة في المسيحية تلقى ضوءاً قويا عليه كـ « رمز » للنفس الجماعية . ان الرؤية الكلية المتكاملة عن الجماعة البشرية كـ « نفس » يتكامل معها الفرد ويذوب فيها اطلاق عليها في الشرق القديم اسم المتدالا Mandala . والمتدالا كلمة سنسكريتية تعني « الدائرة السحرية » وما ترمز اليه يشمل كل الصور المشكّلة تشكّلا محوريا

Concentrally ، كل الترتيبات الاشعاعية Radial او الانقيصة Spherical ، كل الدوائر او المربعات التي لها نقطة مركزية ترتكز اليها (1) .

لقد وعى الجواهري قربانه الروحية من المتنبى وهو في السبعين ، في تصنيفه التي القاه في المؤتمر التاسع للادباء العرب في بغداد عام ١٩٦٩ .

يا ابن الفرائين قد اصفى لك البلد

زعما باتلك فيه الصادح الفرد

في هذه القصيدة اكتشف الجواهري في فخر طفولي انه بضعة من روح فائر الكوفة القديم :

امس استصافت عيوني في الكرى شبحا

به تلاحم امس مشرق وغد

ناشدته وعلى انوابه علق

من الدماء ومن حباتها زرد

السميرة الاجتماعية ، وهم هدية العرب الى الفكر
العالمي المتقدم .

المفتاح الثاني الى مغاليق الشخصية الجواهرية
هو وجوب تفسيرها تفسيراً رمزياً .

يقول اتدريه مالرو « ان الانسان لا يعرف ذاته
ولكنه يفكر فيها » ، وبهذا جعل التفكير الدائم في الذات
بديلاً عن معرفتها .

وكيف نفهم إشارة مالرو لا بد من رجعة الى
الميثولوجيا الاغريقية التي قلت ان النقد العربي الحديث
حصر في الانتفاع بها . ان كلمة Psyche المستعملة
جزراً لكلمة علم النفس في اللاتينية « سايكولوجي
Psychology » هي في الميثولوجيا الاغريقية
السم لفئة من البشر أحبها ايروس Eros الله الحب
ورمزته في كل صوره تعطشا بذنيا كان أم عشقا رومانتيكيا
ولما كان ايروس الها وممشوقته بشراً فقد حرم عليها
أن تنظر الى وجهه كلما جاء لمعاشرتها . غير انها عمته
مغضب عليها وهجرها . وخلال هجره اياها تعرضت
لحن كثيرة ثم تابت عليها الالهة ومنحتها الخلود الابدي
فقرنت اسمها باسم ايروس الذي جعلها جزءاً من
وجوده .

واضح من الاقصومة ان اصل العلاقة بين المعارف
والمعروف هو التحريم المروض ومن ثم تبعية المشوق
لعاشقه تبعية سايك لا يروس تبعية توجيدية أو توحيدية .
ولكننا في زمن لم نعد — كما يقول يونك — ننسج فيه
بوجود هذا العاشق الخارجي ، ايروس ، فانطلق
المشوق الى داخل نفس العاشق فانحداً . غير ان سايك
لا تزال تريد معرفة عاشقتها دون اغضابه ، لذلك فهي
نظت تفكر فيه دون ان تستوعبه استيعاباً كاملاً . ولما
كان هذا التواضع بين المشوق والمعاشوق هو اساس
الحياة كلها ، فعلا فيها وانفعالا بها ، فان العاشق
والمعشوق هما شيء واحد ، ومن الخطأ الحكم على
محدداهما معزولاً عن الثاني .

ان الذين حاولوا تحليل الجواهري لم يفهموه
عشقا متواشجا بينه وبين ذاته ، ولما كانت ذاته قد
تفاعلت مع الذات الاجتماعية الاكبر ، الشعب ، فهم
أخطاوا ثانية حين عزلوه عن مجمل التيارات الحياتية
العامة لمجتمعهم ثقافية كانت أم مادية .

على ضوء من هذه القولة يستطيع الحل الادبي
لشخصية الجواهري ان يرى بوضوح كيف ان حياته
لثأصاصة والعامة كانت محكومة بثنائية حادة متوترة ،
حيث للشعب من جهة ، وحيث لنفسه من جهة اخرى ،
وان سني عمره كلها كانت معاناة قاسية للتوفيق بين
هذين الحبين او الموازنة بينهما على اقل تقدير .

ولكنه كان صراعاً بين غريبتين غير متكافئتين ، فان

حيه للشعب كان دائماً يطغى على حبه لنفسه ، وان
كان يمز عليه ذلك كثيراً ، حتى لكانه موكل بالأم هذه
الملايين كلها على حساب سماعته .

برغم الإباء ورغم العلى

ورغم أتوف كرام الملا

ورغم القلوب التي تستفيض

عطفاً تحوطك حوط الحمى

واذ انت ترعاك عين الزمان

ويهو لجرسك سمع الذنى

وتلتف حولك شتى النفوس

تجيش يشتى ضروب الاسى

وتعرب عنها بما لا تبين

كأتك من كل نفس حشاً

فانت مع الصبح شدو الرعاة

وحلم المذارى اذا الليل جا

وانت اذا الخطب القى الجران

وحط بكلك فارتمى

الكت بشورك للباثسين

بداجي الخطوب يريق الى

تزوج على مثل شوك القناد

وتفدو على مثل جبر الغضا

وتطوي الضلوع على نافذ

من الصبر يدمي كحز المدى

لقد كان لكل من هذين الحبين بديل خارجي مجسم .

أما حبه للشعب فقد كان بديله « دجلة » .

وأما حبه لذاته فقد كان بديله « المرأة » .

ان اتخاذ الجواهري « دجلة » بديلاً خارجياً عن

الشعب ليس الا رمزاً .

انما العراق لساني قلبه ودمي

فرائته وكباني منه اشطار

ولكن ان تكون دجلة رمزاً للشعب وان يشغف بها
الجواهري حباً وان يخلصها بهناغانه الشجاعة له اكثر من
مبرر . ذلك ان دجلة تفتقرش ببغداد منكبيها وتستقي منها .
وبغداد مركز الحكم منذ ان ضرب فيها ابو جعفر المصور
مرايط خيله . وهي ظلت رمزاً للكرامة الوطنية ، على
احوازها تتلاطم امواج الغضب الوطني وصوبها تنج
تطلعات الخلاص الوطني . من هنا تبرز مفهوم ببغداد

بمفهوم دجلة بفكرة الشعب ، ولم يعد شعر الجواهري
يفرق بين دجلة وبغداد والشعب من حيث الجوهر ،
بل ان الكلمات الثلاث أصبحت بدائل بعضها من بعض .

بغداد يا درب الغزاة ولحدهم
ما ان لهم بمعد الفدو رواح
يا رقية الحاوي ينيم بسحره
افعى تسلم نيوبها وتزاح
لا الموتق المسحور يلقي عنده
روحا ولا هو ساهرا يرتاح
بغداد يا قلب العراق ووعيه
وضميره لا زعزعتك رياح
لانال دجلتك الرخية عاصف
والجرف سمحا لا اعراه جراح
ورؤى ليلالك الحوالم لامشى
فيها بفجر موحش اصباح
من تبع فيضك كنت اصفو ان صفا
وامح حين يشاب منه قراح

كنت الامين على هواك يسووني
خرسي غداة يسووك الافصاح
قد كنت يا بغداد اصحر للاذى
عريان اسقى صوبه واراح
قد كان عندي اذ يسر معاشر
بوح وحين يرؤسون صراح
كنت السبوق الى رضاك مكاشفا
ايام يعوز غيري الاماح

بدا غرام الجواهري بدجلة عام ١٩٢٣ وظل
يتنامى معه ومعها . كان هو يرمز ابن ثلاث وعشرين .
وربما كان يزور بغداد للمرة الاولى ففى غنائبه الاولى
للرصافة تلعلم المراهقين حين تمس شحنات الحب
قلوبهم للمرة الاولى :

سلام على ارض الرصافة انها
مراح نوي الشكوى وسلوى نوي الوجد
لها الله ما ابهى ودجلة حولها
تلق كما التفت السوار على الزند

يعطر ارجاها التسيم كاتما
تنفس فيها الروض عن عابق التد
هواك ام نشر من المسك فائح
وارضك يا بغداد ام جنة الخلا
وبعد عام واحد يهزه الشوق الى الرصافة
فيناغيا من بعيد :

يا نسمة الريح من بين الرياحين
حي الرصافة عني ثم حيني
ان لم تهرى على ارجاء شاطئها
فليت لم تحلي نشر اذارين
لا تعقبني ابدا الا معطرة
ريانة بشذى ورد ونسرين
اهدت لي نكر عصر قد حيت به
من علم الريح ان الذكر يحيني
حيث الزمان وريق المود ريقه
والدهر دهر صبايات تواتيني

معي من الصحب يسعى كل مقبيل
نشر الشباب طليق الوجه ميمون
ويروح دولاب الزمن بكر ، ومعه حب الشاعر
لمعوقته ينمو وتلون الصور في خياله الوانها شد
فبغداد خود لها الاغصان شعر ، ودجلة نسر تنظير
تصور بغداد جانبية وماء دجلة ليس ماء قراحا وانبا
هو عسل وخمر :

بنت خودا لها الاغصان شعر
ودجلة ريقها والسفح ثغر
على بغداد ما بقيت سلام
يفسح كما نكا للورد نشر
سمت تزهو على السفحين منها
قصور ملأها زهو وكبر
يظل دجلة منها جناح
كما باهى بقادمتيه نسر
نزلت فما رايت ابر منها
وضيف كريمة بر يسر
قرنسي الريح لم يفسد مهيب
له والماء لم يسدد مر

سكرت وما سقيت بغير ماء

ودجلة ماؤها غسل وخمر

★ ★ ★

ولست ببائع ارضي بارض

وان لم الق فيها ما يسر

ومن لم يرض موطنه مقرا

من الدنيا فليس له مقر

ولكن حب دجلة كأي حب آخر ليس من غير ثمن .
ولم تكن حياة بغداد صفوا كلها ، بل هي لم تكن صفوا
على الإطلاق تحت السيطرة الأجنبية ، والشاعر يلفشال
معمشوقته على عنقه كما يفعل أي غنى شهم ويخوض
معارك المعمشوقة دفاعا عنها ، حتى لتمج حياته ،
وتعتوره المحن من كل صوب ويغجج في الازل والمصحب
فيضطر الى الهجرة الاولى من بغداد ويقيم وجهه شطر
باريس عام ١٩٢٨ وقد بدأت احلام المراهقة الروحية
تنساقط واحدا بعد اخر ومن هناك يتوجه الى «بركلو»
في بولونيا ليشترك في المؤتمر الاول للسلام العالمي وهو
العربي الوحيد فيه ثم يعود الى باريس محاولا نسيان
حبه الكبير في بغداد ، ولكن دجلة ما نتي تستبيه وتشده
فيضع « المقصورة » يناغي بها دجلة :

سلام على هضبات العراق

وشطيه والحرف والحنى

على النخل ذي السفات الطوال

على سيد الشجر المقتنى

على الرطب الغض اذ يجتلى

كوشي العروس واذا يجتنى

بايساره يوم اعذاقته

تسرف وبالعسر عند القتى

وبالسعف والكرب المستجد

ثوبا « تهرا » وثوبا نضا

ودجلة اذ قاض آنيها

كما حم ذو حرد فاغتنى

ودجلة تمشي على هونها

وتمشي رضاء عليها الصبا

ودجلة زهو الصبايا الملاح

تخوض منها بماء صرى

ترك المراقى في الحالتين يسرف في شحه والتدى

★ ★ ★

وكما تدبر المشوقة رأس عاشقها برؤاها وعطرها

ورنين اقراطها وتصفيق خلاخيلها كذلك يتوهج خيال

الجواهري برؤى دجلة حتى ليكاد ينسى باريس وجبالها

وجلالها .

سلام على قمر فوقها

عليها هفا واليهما رنا

تدغدغ اضواءه صدرها

وتمسح طياتها والتنى

كان يبدأ طرزت فوقها

من الحسن موشية تجتلى

رواء التمر لها لحمة

ونوب الشعاع عليها سدى

ونجم تفور من جبهها

ونجم عليها اتنى فانكلى

وتصطرع صور سمرات بغداد مع رؤى

شعراوات باريس على قلبه فيود لو عاد صريع

هواهن كما استصرع بهذا الجمال علي بن الجهم قبله

بألف عام او تزيد .

على الجسي ما انفك من جانيه

يتيح الهوى من عيون المهما

فياليتها الذي يعتدي

وياليتك الرجل المعتدى

وياليت بلواك قب الصدر

ولمس الشفاه وبيض الظلى

وياليت انك لا تستكبي

ظماطك الا لهذا اللبى

وايت بهن ولا غيرهن

تنقل في غضب او رضا

بهن ولا بغلاظ الرقاب

قباح الوجه خبات الكلى

ويهزمه حب دجلة فيعود الى المعمشوقة مرة اخرى

ليبدأ مرحلة اخرى من المعاناة من اجلها تنتهي به عام

١٩٦١ الى الهجرة الثانية من الوطن ويستقر به المقام هذه

المرة في براغ ضيفا على اتحاد الادباء التشيكيين ويكتب

لهذه الاثابة ان تطول سبع سنوات وتزيد . ولكن لا

مهرب له من الحب القديم الذي يظل يؤرقه ، فجدلة
بديل الشعب العراقي لا بديل لها بين أنهر العالم .

حييت سفحك عن بعد فحيني

يا دجلة الخير يا أم البساتين

حييت سفحك ظمأنا الود به

لود الحمايم بين الماء والطين

يا دجلة الخير يا نبعا افارقه

على الكراهة بين الحين والحين

اني وردت عيون الماء صافية

نبعا فنبعا فما كانت لترويني

وتنجر نجاه خياله بتبويها نواسية بهرجة
صخابة عن النهر المغليم .

يا دجلة الخير يا اطياف ساحرة

يا خير خابية في ظل عرجون

يا سكتة الموت يا اعصار زوبعة

يا خنجر الفدر يا اغصان زيتون

يا ام تلك التي من الف ليلتها

لنلان يعبق عطر في التلاحين

يا مستجم « التواسي » الذي لبست

به الحضارة ثوبا وشي « هارون »

الفاصل السهم في ثغر وفي جيب

والملبس العقل ازياء المجانين

والساحب السزق ياباه ويكرهه

والمفق اليوم يفدى بالثلاثين

والراهن السابري الخَرَّ في قدح

والمهم الفن من لهو افانين

والمسمع الدهر والنذا وسكتها

قرع التواقيس في عيد الشعانين

لقد ظل اوار الوجد هذا يحرقه ويؤرقه سبع
سنين في المنى حتى دعتة القيادة الوطنية عام ١٩٦٩
للمودة الى الوطن فرجع وفيه فرح الاطفال ، تريس
العين يريد ان يمسح من دفاتر التاريخ معاناة الامس
القريب والبعيد :

يا دجلة الخير ما هانت مظامحنا

كما وهبنا ولم نصدقك في الخير

ها قد اقلنا على سفحك يؤنسنا

لود الحمايم بين الطين والنهر

وعانقنا حسان النخل واصطفقت

جدائل السعف المزهة لا الشعر

واتلج الصدر من ولها مستعر

وجدا سقيط القدي من ريقك الخصر

يا دجلة الخير والايام تسحقنا

بين البشائر نرجوهن والفتن

نضادع النفس بننا نحن في يدها

وبين ارجلها مدحوة الاكر

تمازج الخير في شر موهة

ما كان منتظرا في غير منتظر

يا دجلة الخير ان الفبة انتثرت

جنبنا الى جنب عهد فات منثر

★ ★ ★

المراة

المراة التي اريد هنا ليست المراة الام ولا المراة
الزوجة . ان الشعراء يتعاملون مع امهاتهم وازواجهم
من خلال رابطة البر . وهم لهذا قلما يترجمون عن
ذواتهم من خلال تعاملهم هذا . وديوان الجواهري حافل
بصور الابوة والزوجة وهي صور حزينة عموما . ولكن
لا المراة الام ولا المراة الزوجة هي التي يعشق ، هي
« سايك » التي يوحدها مع ذات « ابروس » . وهو
ليس بدعا في ذلك . كلنا سعب شهقة ذلك الفحلل
التميمي القديم ، الفرزدق « ما الذك حراما وما اتيتك
حلالا » هكذا فطر الله الشعراء ، هؤلاء الغواة المغويون .
المراة التي اريد ان اتقصى الجواهري المحب
لذاته من خلالها هي المراة المعشوقة . ولباس
التعابل بينها وبينه هو الابتداء بالتسليم بالضعف
الانساني من دون مواربة ولا مداواة :

لا اكتمنك انتني بشعر

جم المساويء طامع اثمر

لا الحب ظمأنا يظامن من

نفسني وليس رفيقي النظر

ولكم بصرت بما اضيق به

فوددت اتني ليس لي بصر

او انتني حجر وربيتما

قد بات ارواح مني الحجر

فألهما فجورها وتقواها » . ويبدو أن الكتاب العزيز
 ما أكد هذا الضعف الانساني في هذين المكاتين وفي
 غيرها الا ليفتح باب الغفران واسعا أمام الانسان .
 ولعل أبا نواس كان يشير الى هذه الحقيقة عندما ناجى
 الله تعالى

**تعافطني زبني مهما قرنته
 بفكوك ربي كان عفوك أعظم**

من هنا يبدو لي أن الجواهري ينبغي أن يفهم مهما
 فرويديا حيث يكون الانفعال بالجنس مسلكا انسانيا
 طبيعيا تحكه ضوابط خارجية منظمة ، فإذا انقلب
 الضابط الخارجي من أداة تنظيمية الى أداة كبت ، فإن
 الكبت يتود طوعا الى التمرد .

لقد بنى فرويد نظريته في الاخلاق على هذه الفكرة
 التي استقراها من مسيرة التاريخ الانساني العابة . لاحظ
 فرويد أن الاب البدائي كان يحتكر النساء — وهن مصدر
 المتعة ورمزها ايضا — لنفسه ويمنع أبناء منهن . أما
 الابناء فهم يمتنون الاب ويتضايقون جهودهم لقتله حقدًا
 عليه ومشاركة له في مصدر المتعة . وإذا بوحد بينهم
 الاثم واغتتيال الاثرب فانهم يعمدون الى تشكيل قبيلة
 يجرم فيها قتل الاباء والاقرباء ويحرم فيها الزواج
 بالمحرم وبهذا يكون عن الاقتتال فيما بينهم للوصول
 الى مركز الاب البدائي اذ غدوا يذكرون الآن عقم هذا
 الاقتتال . وقد انقضى بهم ذلك كله الى نوع من الوحدة
 الاجتماعية المنظمة وظهور أول شكل من اشكال العقيد
 الاجتماعي ، عقد اجتماعي مصحوب بالتخلي عن المتع
 الغريزية والاعتراف بالالتزامات المتبادلة حتى جاء
 على الانسان زمان صار ينظر معه الى هذه المؤسسات
 الاجتماعية نظرة تقديس وتهيب القحت مولد الاخلاقيات
 الانسانية ومولد القانون .

ان هذا الانفعال البودليري الحاد بالاثوة الجميلة
 هو من دون ريب نزعة تعويضية واضحة عن الحرمان
 العاطفي الذي عاناه الجواهري وغير الجواهري والذي
 ما يزال يعاتبه اناس كثير في المجتمعات المزدوجة
 سلوكيا . هذا الحرمان هو الذي أفرز النظرة الشرقية
 البائسة الى المرأة على أنها جسد يفتتح افتتاحا كما
 تفتتح الفلاخ والحصون المستعصية ، وهذا ما فعله
 الجواهري بالضبط عندما استبدل ببيئته الدينية المترفة
 البيئة البغدادية المتبصرة ازدواجا واستطاع لأول مرة
 أن يرى جسد المرأة في مرقص غانين به :

**تهضني قدك الاهيف
 والهني حسنك المترف**

**وضايقتني ان ذاك المشد
 يضيق به خصرك المرهف**

**وقد جن وركك في غيظه
 سمين يناهضه اعجف**

**كبالليل صب السواد الخفيف صب الهوى شعرك الاغيف
 تلبد مثل ظليل الغمام**

**وراحت به غمم تكشف
 فداء لعينيك كل العيون**

**اخالط جنينها قرقف
 وفي سذاجة طفولية محبة راح يلتبس رواء المعين**

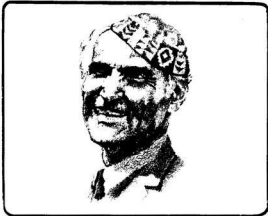
الجسدي

**اميلي بصدرك نبع الحياة
 وخلي فما ظامنا يرشف**

**وميطي اللثام عن البرعمين
 بغض غسل منهما يرعف**

هذا هو التطبيق الاول المباشر عن انفعال
 الجواهري بالجمال الانثوي . على أن الرضا به
 والوقوف عنده سيقودنا الى احكام فجة .

ويجب بنا أن نلاحظ أن الضعف الانساني الذي
 انطلق الجواهري من التسليم به ، هذا الضعف الانساني
 أمام الاغراء .. جنسا كان أو مالا أو سلطة سياسية
 هو حقيقة انسانية مقررة دينا قبل أن تكون كذلك
 نفسيا . جاء في سورة النساء قوله تعالى « يريد الله أن
 يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا » . وتتفق التفسير
 على أن الضعف المراد هنا هو ضعف الإرادة الانسانية .
 كذلك جاء في سورة الشمس « نفس وما سواها





غير أن فرويد لم يفقه أن يقرر أن الثورة على الضابط الاجتماعي الخارجي ليست ضرورة نفسية لازمة وأنها هي قد تتخذ زي التسامي الإبداعي ، ونظريته العالمة هنا تقوم على القول بأن الإنسان يكبت الدوافع غريزية المنشأ في نفسه من أجل مصلحة الانا العليا Super Ego والانسا Ego والنفس Id التي تسعى لحفظ سلامتها في مواجهة الواقع ، وهي تعمل ذلك من خلال التوفيق بين الرغاب المتنافسة على السعي لتوفير المتعة التي هي أيضا غريزية وذات دفع خارجي ولا بد من ضبط هذا السعي نحو المتعة وكبته .

غير أن الفرد ليس هو وحده الذي يكتب من خلال كبت رغبة الغريزية بعضا من القدرة على السيطرة على الوعي الذاتي ، ذلك أن الحضارة الانسانية عموما مبنية هي الأخرى على عملية الكبت هذه . والزهد والكبت يسومان بالرغبة الجنسية فتتحول إلى طاقة خلقة مبدعة للصيغ الثقافية الرفيعة. على أن قلة قليلة من الناس ، الصفاة ، هي التي تستطيع اداء هذه المهام الخلقة . فإذا قدر لهذه الصفاة أن تفقد سيطرتها على النظام الاجتماعي القائم فان الغريزة الانسانية العمياء تكبلة يتدمسر الحضارة . من هنا اعتبر الحب في الثقافة الغربية حقا مشروعا ما دام مسيجا بالانتماء الاجتماعي . لقد استطاع الجواهري أن يتسامى بجرأته الى الإبداع ، ومكنه ذلك من اهداء الادب العربي المعاصر الواحا من الجبال الانساني لا يضاهيها جبلا وترقا الا اعطاءات النحاتين الاغريق القدماء الذين عنوا بتركيب الجسد الانساني وعدوه الانموذج الاكمل لفكرة الجبال:

يا عذبة الروح يا فتانة الجسد

يا بنت بيروت يا انشودة البلد

يا غيبة الشعور ملتانا على قبر

يا بسمة الثغر مفترقا عن التضد

يا روعة البحر في العيين صافية

يا نشوة الجبل الملتف في العصد

يا قطرة من نطاف الفجر ساقطها

من ارز لبنان خفاق الظلال ندي

يا نبذة الله في عليا مظاهره

انبت بالله لم يولد ولم يلد

هذه العناية الجواهرية بالجمال الانثوي خدعت بعض محليه عن الواقع فاستخلصوا أنه لم يعرف من المرأة الا جسدها ، وغانهم أن براعة تصوير الجبال

الانساني كان وسيظل مصدرا من مصادر الالهام الحضاري للانسان . وفي الحضارة الاغريقية احسن شاهد صدق على هذا المذهب .

يقول احد مؤرخي الحضارة الاغريقية S. C. Easton لقد هام الاغريق بالانسان كائنا وقيمة هيما كما يفوق عنايتهم بنهم الكون ولوشك ان يبلغ بالانسان درجة التقديس .

كان الانسان بالنسبة اليهم شيئا رائعا ، اروع ما في الوجود طرا . انه يستطيع ان يبحر عباب البحر ويلوي امة الجياد الجابحة ويروض الحيوان الوحش ، ويقتله وفكره صار سيد عملية الإبداع على الارض . وهكذا راحوا يصورونه بأبدعهم الصناعات فارسا محاربا ، وراكضا ورامي قرص في حلبة سباق ، وعاشقا مدله ومتاملا ضائعا في اسرار الوجود حتى لكادوا ينفخون الحياة في الحجر الاسم الذي تحتوا منه تماثيله وتماويله ، وقد وضعوا في محاجر عيون التماثيل الخرس اكرار البلور والياقوت ليشع فيها بريق الحياة ، وصبغوا وجوه تماثيلهم بالالوان ليذروا عليها بريق الوجود الحي ان لم يكن طعمه ومذاقه وصبغوا تماثيلها لتبهر الراشي وتوهجه بالحياة . كل ذلك اوحاه اليهم حبهم للانسان واثباتهم بعظمته وسيادته على الارض (٢) .

عواما ان المحلل الادبي يرتكب خطأ فادحا اذا وقف في فهم علاقة الجواهري بالمرأة عند جانب الهيام الجسدي بها . انها في الواقع افق ابعد من ذلك بكثير في دنياه النفسية المبهوطة . انها واحة ظليلة ياوي اليها كلها ضربته لواهب الحياة ، وهو يجعل من فيضوته الى سدره المرأة المشوقة قضية مركزية في كل غنائياته بها . حقا انه يبدأ بها جسدا ولكنه سرعان ما يفرغ من

لست اما لكن بأمثال هذا

شجاعت الالهات ان تبطلني

اجالا اذا كان حب الجواهري للشعب قد اقتضاه
ثقله قلنا ومعاناة ومرارة تصل في قسوتها حد
الموت .

ويا ضجيعي كرى اعمى يلفهمي

لف الصبيين في مطبورة دون

لقد وددت واسراب المتى خدع

لو تسلمان وان الموت يطويني

قد مت سبعين موتا بعد موتكما

يا ذل من يشقري موتا بسبعين

اذا كان حب الجواهري للشعب عطاء ، فان حبه
للرأة كان اخذا وانما نفسيا باذخا حتى لقد ارتبط
احساسه بنقته بنفسه بمنزلته من قلب المرأة . كان اقبال
الانثى عليه وفثونها به تعزيرا متواصلا لمواقفه التضالية
الخارجية في الساحة الوطنية .

وهو لا يقتصر على حاجته الروحية لحب امرأة
له ليواصل ثباته في هذه الساحة .

عيني قدى قدبك سيدتي

عينك قد اضناها السهر

لا اكفني بالروح ازقتها

عذرا اليك فكيف اعنذر

قلب تجمعت الهوم به

نفسك عنه فهو مزدهر

ضنك المنافذ لا مكان به

لسرة واليوم ينتشر

لو لم تحليه على سعة

من رحب صدرك كان ينفجر

* * *

حقا ان المرأ ليشيم فداحة خوف الجواهري من
افول نجمه في عين المرأة من الذعر الذي اصابه عام
١٩٥٧ حينما بهتت احدى صويحاته من فعل الزمان في
وجهه ، حتى لقد بلغ الذعر به ان اعتبر وجل صاحبه
عليه « تكلا » وشبه زغرثها عليه بصوت النعي :

مشى وخط المشيب بمفرقه

وطار غراب سعد من يديه

الجسدية كمن يلقي عن كاهله عبئا يؤوده ليكتشفها
صدرا دانفا يستريح عنده . حتى في اشد قصائده
انها بالجون - قصيدة جريبي - حتى في هذه
القصيدة يتعالى صوت الامم الانساني على رهز اللذة
البدنية العابرة :

جريبي من قبل ان تزدريني

واذا ما نممتي فاهجريني

ويقينا ستندمين على اتك

من قبل كنت لم تعرفيني

لا تقيسي على ملامح وجهي

وتقاطعيه جميع شؤوني

انالي في الحياة طبع رقيق

ينافى ولون وجهي الحزين

قبلك اغتر معشر قراوني

من جبين مكلل بالفضون

وفريق من وجنتين شحوبين

وقد فانت الجميع عيوني

اقرايني منها ففيها مطاوي النفس

طرا وكل امر دفين

فيها رغبة نقيض . واخلاص

وشك مخامر لليقين

فيها شهوة ثور وعقل

خازلي تارة وطورا معيني

ابسمي لي تبسم حياتي

وان كانت مليئة بالشجون

اتصيني تكفري عن ذنوب

الناس طرا فانهم ظلموني

ولقد يكشف الجواهري عن غير ما ارادة عن
حرمات طفولي مبكر وجراح من حنان الامومة ، والا
فكيف نفسر نظرتة الى معشوقاته نظرة امومية .

احليني كالطفل بين ذراعيك

احتضاننا ومثله داليني

واذا ما سئلت عني فقولني

ليس بدعا اغائسة المسكين

وراحت من زهاها أسمى حبا
تقول اليوم : والسقي عليه
تبذل غير رونقه ولاحت
تضاريس السنين بأخديعه
رمادا خلته لولا بقايا
توقد جمرتين بمقتيه
أهذا من به فنت كعاب
ومن سحر الذي بأصغريه
أهذا ناتها من نقلته
على الإحداق أحلى خطوتيه
ومن أصبى « فائلة » وهي خدر
دم العشاق يصبغ وجنتيه
* * *
مشى وخط المشيب به فرنت
مناحة تاكله بمسميه
وراح يصبغ عن ألم ورعب
اللى واه مرجمة ... وويه
الاستخلاص
الجواهري اليوم في منتصف المعتد الثامن من
حياته التي تسأل الله أن تكون مديدة جدا . وهذا موعد
يوضع فيه للناس حسابهم . فهل عرف الجواهري ما
أراد من دنياه وهل عرفه الناس وبخاصة أبناء وطنه
والأقربون إليه ؟
هذا سؤال صعب إياها السادة لأن عملية الفهم لم
تبدأ إلا مؤخرا ، ولما تسقط بعد كل الحجب الحاجبة بين
الجواهري ومعاصريه ، ولكن الوقت مناسب الآن أن تبدأ
عملية تسوية الحسابات القديمة وتجلي حقيقة الجواهري
التي غطاها حتى الآن غبار المعارك الفكرية والاجتماعية
التي خاضها في نصف قرن .
أول ما يهر الحل الأدبي ، أنه رغم كل الشبهات
التي أثرت حول المسلكية المغلقة للجواهري فإن في
أعمق أعماق الرجل حسا دينيا متوقدا ، ولكنه حس
ديني من نوع خاص ، أنه تحسس إنساني بالدين حيث
لا يكون الدين إلا أداة للسو بالإنسان ؛
آمنت بالله والدين الذي رسمت
به الشرائع غرا منهاجا لحبا

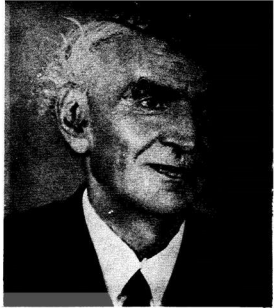
وصنت كل دعاة الحق من زيغ
المصلحين الهداة العجم والعربا
وقد جدت شفيعا لي على رشدي
أما وجدت على الإسلام لي وإبا
لكن بي جنفا عن وعي فلسفة
تقضي بأن البرايا صفت رتبا
وأن من حكمة أن يجتني الربطا
فرد بجهد الوف تملك الكريما
ولم يجد الجواهري طريقه إلى هذا البقين الديني
المتميز بالمسؤولية نحو الإنسان إلا عبر بطولات شهيد
ديني عظيم من الحسين بن علي الذي غناه حبه غناء
يكاد يكون أسطوريا إذ وجد فيه خاتما منطليا وتاريخيا
لرسالة الجد الأعظم الرسول الكريم عليه السلام
ويا ابن البتول وحبي بهي بها
ضمانا على كل ما ادعي
ويا ابن التي لم تضع مثله
كذلك حملا ولم ترضع
ويا ابن البطين بلا بطنه
ويا ابن الفتى الحاسر الاتزع
ويا غصن هاشم لم يفتح
بأزهر منك ولم يفرح
ويا أصلا من نشيد الخلود
ختام القصيدة بالطلع
وعندما كان يتلو بقر هذا الشهيد عام ١٩٤٧
اعترته زلزلة روحانية رهبة أخرجته من شكوكه كلها
على اقتباس دم البطل الكبير .
وقدست ذكراك لم انتحل
ثياب التقاة ولم ادغ
تقمت صديري ورب « الشكوك » يضج بهجرانه « الأربع »
ورن سحاب صفيق الحجاب
علي من القلق المفزع
وهبت رياح من الطيبات و الطيين ولم يقتنع
إذا ما ترحزح عن موضع
تابى وعاد الى موضع
وجاز بي الشك فيما مع « الجدود » الى الشك فيما معي

وسميتها الخسف اعدى ما تكون له
 وأمنع الخسف حتى من يعاديني
 ورحمت اظمى واسقى من دمي زمرا
 راحت تسقى اخا لؤم وتظميني
 وقلبت بالزهد ادرى انه عنث
 لا الزهد دابي ولا الامساك من ديني
 خُـرط القنادر ابنيها وقد خلقت
 كينا تنام على ورد ونسرين
 حراجة لو يرى حمد يرافقها
 هانت وقد يدري خطب بتهوين
 لكن رايت سمات الخير ضائعة
 في الشر كاللغ بين السين والشين
 وايا كانت حدة المعاناة فهو سعيد بانه قد دفع
 دينه كاملا لوطنه وشعبه :

يا دجلة الخير ما اقيمت جازية
 لم اقضى عندي منها دين مديون
 ما كنت في مشهد يعينك منهم
 خبا وما كنت في غيب بظنين
 وكان جرحك الهامي مشاركة
 وكان ياخذ من جرحي ويعطيني
 وكان ساحك من ساحي اذا نزلت
 به التصادد اقروه ويقرونني

على ان حب الاوطان بالقياس للرجال الذين يعطون
 اوطانهم اكثر مما يأخذون منها — هذا اذا اخذوا شيئا
 على الاطلاق — هذا الحب ينسد حتى من حلاوة النصر
 في فم الشاعر لان هذه الحلاوة تذكر ابدا ببرارة التجربة
 كلها حينها يوضع الميزان ويختم الحساب وتغلق الكتب

يا ام عوف عجيبات لباينا
 بينين آمالنا القصوى ويقصينا
 في كل يوم بلا وعي ولا سبب
 ينزلن ناسا على حكم ويعطينا
 يدفن شهد ابتمام في مراسفنا
 عذبا بعلقم دمع في ماقينا
 ويقترحن علينا ان نجرعه
 كالسم يجرعه سقراط توطينا



الى ان اقيمت عليه الدليل
 من « مبدا » بعدم مشيخ
 فاسلم طوعا اليك القيادة
 واعطاك اذعانة المهبط
 فنورت ما اظلم من فكرتي
 وقومت ما اعوج من اضلعي
 وآمنت ايمان من لا يرى
 سوى « العقل » في الشك من مرجع
 هذا اول استخلاص .

الاستخلاص الثاني هو ان على الذين يريدون ان
 يفهموا ما تراءى لهم من تناقضات الملكية السياسية
 للجواهرى ، على هؤلاء ان يفهموه على هدي من نظرية
 الجبين التي بنيت عليها هذا الحديث ، حبه للشعب
 وحبه لنفسه . ان معاناة السنين الخمسين لم تكن
 الا نتاجا صعبا لمحاولة التوفيق بين هذين الجبين او
 الموازنة بينهما ، وقد كلفه هذا الصراع الداخلي غالبا :

ماذا صنعت بنفسي قد احقت بها
 ما لم يحقه بـ « (روما) » عسف « (نرون) »
 الزمناها الجد حيث الناس هازلة
 والهزل في موقف بالجد مقرون



تلك أيتها السادة هي خلاصة التجربة حتى يوم قر
الجواهري أن يهاجر الى مغتربه في تشكوسلوفاكيا .
بقي هناك قرابة اعوام ثمانية حتى دعتة القيادة الوطنية
بعد ثورة السابع عشر من تموز أن يعود الى الوطن .
كانت الدعوة موجهة من قبل السيد الرئيس أحمد
حسن البكر باسم مجلس قيادة الثورة . كانت الدعوة
اعترافا وطنيا فريدا باليد التي اسداها الجواهري
للعراق وللامة العربية ، وكانت اول تركية وطنية من
نوعها في تاريخ العراق ولعلها ان تكون كذلك في
التاريخ العربي الحديث كله فلنسنا نعرف لها اثباها
ولا نظائرا .

واستجاب الرجل لدعوة الوطن ولكنه رجع هذه
المرّة متعبا يترنّ يترنّ السنين وآلام الطريق الطويل :

أرح ركابك من اين ومن عشر
كفك جيلان محمولا على خطر

كفك موحش درب رحيت تقطعه
كان مقبره ايل بلا سحر

ويا أخا الطير في ورد وفي صدر
في كل يوم له عش على شجر

عريان يحمل منقارا واجنحة
أخف ما لم من زاد أخو سحر

بحسب نفسك ما تعيا النفوس به
من فرط منطلق أو فرط مخدّر

خض جناحك لا تهزأ بعاصفة
طوى لها النسر كشحيه فلم يطر

القي له عبرة في جؤجؤ خضب
من غيره وجناح منه منكسر

على انه لا يعود عودته الاخرة باحساس التعب
وجده وانما هو يرجع بروح الفجران لكل الذين آذوه في
ذاته وفي معتقده لان حب الوطن بالنسبة للوطنيين
الحقيقيين هو ظهور لهم وزكاة من شوائب اللؤم
البشري :

أرح عن صدرك الزبد

ودعه يبيت ما وجدا

وخيل خطام موجدة

تثار فوقه قصدا

ولا تحفل فشققة

مشت لك لن تجيش غدا

ولا تكبت فمن حقيب

نممت الصبر والجلدا

وهكذا يعود الجواهري كما بدأ معلما
وطنيا من الطراز الاول .

محمد جواد رضا

— الكويت —

1. Fordham, F., Introduction to Jung's Psychology,
pp. 64 - 65, Penguin Books, 1966

2. Easton, S. C., The Heritage of The Past
P 139, Halt, 1963, N. Y



مع الأموي حديث وشعر!

* احببت القاس واحبوك .. وتحملت في سبيل هذا
الحب وتحملوا .. وضحيث ولم يخلوا بشيء في
حبك ... هل تعتقد ان ثمة قصورا معيننا في
هذا الحب من احد الطرفين ؟ وما سببه ؟؟
— لم يسألني احد هذا السؤال ، رغم اني سئلت الف
سؤال وسؤال

ابتدأت كائنسان يعمل مع الناس .. اقدم ما عندي
لهم .. وبصراحة .. لم تكن لدي خطة مرسومة اسير
عليها وتقضي بأن اقدم ما عندي (للناس) .. اذ ان

كان لي — في مطلع هذا العام — شرف اللقاء
بشاعر العربية الكبير الاستاذ محمد مهدي الجواهري ..
في عاصمة الرشيد .. حيث جرى حديث خص به
« البيان » .. ختمه بابيات عصماء من احداث شعره ..
(عبد البطاط)

(الذي عندي) كنت اقدمه (للناس) لانه ملك يدي .. وهذا خط في اللوح والقدر ، بحيث تم تجاوبه مع الناس دوننا قصد ...

وانقضت فترة دون ان افكر بجواب « لهذا الذي عندي » .. نظرا لاطواء الامر الواقع على لذة خاصة ، بمعناه انه امر اتعامل معه بلا تخطيط مسبق ، فاجده متجاوبا في موجات متصاعدة جميعتي و (الناس) .. واجد الاصدا الكامنة في تصاعد ، لانها اصدا للناس ... واصدا (الناس) هذه طبيعية .. واكثر من طبيعية .. وانا ملتذ بها لانها طبيعية ... اذ ان الذي مر بي « يا اخي » لم يمر بأحد ... وكان عزائي الدائم هو حب الناس وبشاركتهم لي في محني جميعا وانا « بكشر من لحم ودم » احاسب نفسي لانني اعتقد بانني مقصر تجاه (الناس) .
أتذكر — وانا شاب دون الثلاثين — انني قلت (شيئا) .. لانني مخلوق للذي قلته ، وهو في (طينتي) منذ البداية .. ولم أخذه عن الناس ...

أقول اضطرارا قد صبرت على الاذى

على انني لا اعرف الحر مضطرا

وليس بحر من اذا رام خطرة

تخوف ان ترمي به مسلكا وعرا

وما انت بالمعطي التمرد حقه

اذا كنت تخشى ان تجوع وان تعرى عندما كنت ادين بهذه القاعدة ، عبرت عنها نفسي لنفسي .. واجدني في كثير من الاوقات مقصرا تجاه (الناس) ...

خلقت لاتجاوز كل ما يحدث امامي من مصاعب ، ويعوق طريقي من عثرات ، .. وكل ما انعرض له من شيء وشيء ، وخطر وخطر ، واذى واذى ... وفيما يخص الناس ، لا يكفي ما قدمت لكي يقال : « مدح الناس » .. فالكثير يجبني .. والذي لا يجبني يستخف بحب (الناس) ..

كان عندي تصور انني سألتل من قبل (الناس) .. ولم اخف . ولحسن الحظ ، كانت امكانياتي مسخرة لاجل ان اتجاوب مع (الناس) .. ان تكون آلامي آلام (الناس) ، وافرأحي وحررتي هي افرأحي وحررتهم . ان بعض الناس لا يطيعون غير الحب . وفي كثير من المواقف . وهذا لا يكفي .. يجب ان يكون هناك ارادة او موقف او قوة مع الحب . فالناس كثيرا ما تكتفي بالحب في غالبية المواقف ..

*** بين تأثرت من الشعراء ؟ وهل كان لاحد فضل في تلبية موهبتك الشعرية المبدعة ؟**

— من الناحية الشعرية ، كل مجالات الفكر والعلم والادب : مؤثر ومؤثر به ، ومعط وأخذ ، ونافع ومنفع ... دورة العالم هكذا ...

وكواحد من المتأثرين بكل ما تقع عليه يدي وعيني بالنسبة لكل من سلف من الاعلام والافذاذ .. تأثرت ايضا بن عاصرني ، وبالنشأة التي نشأت عليها في العراق وفي اللبنة الاولى : (النجف) .

هذا لا يكفي اذا كان الفرد لا يحفل في اعناق نفسه وتكوينه خبرة الاستعداد لتلقي الاشياء والتأثر بها والتأثير فيها على الآخرين . ثم ان ما عندي من تاهب ومزاج شخصي وجراة ، وضعته واضعه في خدمتي للناس . وطبيعي جدا انني اتحمل فيه ما لا بد ان يتحمل فيها يتجاوز حدود الناس الى حدود الآخرين .. اولئك الذين لا تهمهم مصائر الناس .

*** الحب : هذه الكلمة تعني اشياء كثيرة .. وكل واحد يتناولها من الزاوية التي تناسبه . فما محلها عنك ؟**

— الحب ؟؟ جزء لا يتجزأ من الحياة .. وجزء لا يتجزأ حتى من اعنف صور النضال والكفاح . وهو جزء لا يتجزأ من اعنفس ما عند الانسان « الانسان الانسان » .. « الانسان الشاعر » بصورة خاصة من حيوية وقوة تعبير عن مشاعر النفس .. اقصد : التعبير الابن الصادق الذي لا يستطيع ان يحوره او يتظاهر به خلاف ذلك . واشبهه في تناول التاريخ العالمي ، لذي العرب وغير العرب ، كل فوارس الماركات والفكر وكل فوارس النضحيات في سبيل العقائد والقناعات . لقد كانوا فوارس هذا الميدان ايضا .. فوارس ميدان الحب والجمال . والتاريخ امام من يريد ان يطلع ويستفيد في هذا المجال .

*** هل كنت خفيا في ان تكون شاعرا ؟**

— يقتضي ان هناك بسملة للقدر والارادة الالهية .. لا يد لي فيها . وتدخلت انا فقط في التنمية والحافطة عليها وصيانتها من السواائب .

*** المتنبى شاعر الحكمة .. والمعري شاعر الثورة والتمرد .. هل كان في شعرك تأثير من هذه السمات ؟**

— كما قلت .. لا بد ان اثائر ، على قاعدة التأثير والتأثر الكونية الازلية .

واظن ، لو سئل المتنبى نفس السؤال ، لاجاب جواب القرن العشرين .

المتنبى لم يكن قاصدا للحكمة .. بل كان ناثرا .. وما يبدو حكمة في شعره كان صورة مركزة ومجسدة لثورته على الحياة وعلى اساليب الناس واتباعهم المختلفة ، وتضارب العقائد والاراء وزيف الكثير منها ..



طويل ... » ، في الحفل التائيبي الذي اقيم في لبنان ، قال عنك الناقد « مارون عبود » بانك داعية سياسة ، ولست شاعرا مبدعا !! .. فما هو تعليقك ؟

— هؤلاء النقاد اكثر الناس اعترافا بمعيوبهم ! .. وأبلغ الدلالات على ذلك ما يعبر عنه مارون عبود وأمثاله

ومارون هذا ، رحمه الله ، من « المثليين » لاهواء السلطة والساعين لارضائها بها بغضب الضمير ... اقول ذلك لاني على علم بالظروف التي احاطت بموقفه مني . ولست اعدو الحقيقة حينما اقرر بانه « مدع للفن والادب » .. ما دامت وسيلته في بناء حكمه النقدي تقضي بالاكفاء بيتت او بضعة أبيات من ألف بيت ، يتناوله بالتحصيل ولا يعجبه عشر معشار المعاني المستنتجة منه .. وقد قبض الثمن لقاء ذلك .. فلقد نفيت من لبنان « خدمة لبنان » كما يقال ! ..

واذا كانت السياسة ان ينأى الانسان عن كل ما يمس الناس ، وحياتهم ، ومصائرهم .. فمبروك لشعراء من هذا القبيل !!

ان الشعراء الاعظام ، من قبل ، كانت وظيفتهم الثورة ! ومع ذلك ، فكل شاعر مهما خلق ، لا بد ان يهفو جناحه حتى ولو كان نسرا ...

* الانطفال : جيل المستقبل الباسم .. الاحباء الواعدون بالخير .. هل قلت في شعرك فنا يتقدم الامال والطموحات المرتجاة منهم ؟

— لم احاول بشكل مستمر . ولحسن الحظ قلت

انا عندي نفس النبتة التي كانت عند المتنبي وديسن الخزامي والثلاثين الذين وجدوا في سابق الحطب ..

.. ورغم تأثيري بهم ، فلقد غطت مؤثراتي الخاصة على كل ما حملته منهم .

والحدائثة شيء لا بد منه . فالمثني العظيم لو خلق من جديد لغطى علينا . لان التجاوب مع الناس ووسائل الاعلام والسجون والخير والشر ، مكتشف اكثر من الاول .. اضافة الى موهبته العظيمة ..

اما المعري ، فأكبر الثلاثين .. « كان يأخذ جوهر الجوهر في النقمة ونفس كل شيء »

اذن ، فلكل من المثني والمعري هدايته للناس ، وسلطة التأثير على الناس والتاريخ ... وهما خالدان لحد الان .

ومما قلت في ابي الملاء :

قف بالمعرة وامسح خدها التريا

واستوح من طوق الدنيا بما وهبا

واستوح من طيب الدنيا بحكمته

ومن على جرحها من روحه سكبنا

★ ★ ★

ابا الملاء ، وحتى اليوم ما برحت

صناعة الشعر تهدي انترف الطريا

يستنزل الفكر من عليا منازلها

راس ليمسح من ذي نعمة ذنبا

وزمرة الادب الكابي بزمرة

تفرقت في ضلالت الهوى عصبنا

★ ★ ★

على الحصر ، وكوز الماء يرقده

وهذه ورفوف تحمل الكتبنا

اقام ، بالفضجة ، الدنيا واقدها

شيخ اطل عليها مشفقا حبيب

بكي لاجاع ماضيها وحاضرها

وشام مستقبلا منها ومرتبنا

وللكابة السوان ، واقفهما

ان تبصر الفيلسوف الحر مكتبا ! ..

* عندما رثيت المرحوم عبد الحميد كرامي ، في قصيدتك المعروفة : « باق واعمال الطفافة

شعر
أمل دنقل

قائمة

أه ، من يوقف في رأسي الطواحين ؟

ومن ينزع من قلبي السكاكين ؟

ومن يقتل اطفالي المساكين .. ؟

لتلا يكبروا في الشقق المروشة الحمراء ..

خدائين !

قوادين !

ملبوسين !

من يقتل اطفالي المساكين .. ؟

لكيلا يصبحوا — في القذ — شحاذين

يستجدون أصحاب الكناكين

وابواب المرايين

يبيعون — لسيارات اصحاب الملايين — الرياحين

وفي «القرى» يبيعون الدبابيس و « يس »

وينسلون في الليل ..

يبيعون « الجمارين »

لاهواج الفزاة الساتحين !

هذه الارض التي ما وعد الله بها ..

من خرجوا من صلبها ..

وانغرسوا في تربها ..

وانطرحوا في حبها ..

مستشهدين !

فانخلوها « بسلام » آمين !!

أمل دنقل

— القاهرة —

قصيدة فرضت نفسها علي .. اذ شاهدت طفلا لسم يتجاوز الستين من عمره .. لاحظت نشوج شخصيته وأعجبت به .. نحاولت أن أعبر عن ذلك بقولي فيه :

« بيني الحضارات ... » .

ولي لقطات في هذا المجال : « اطفالي واطفال العالم » .. قילت في المؤتمر العالمي لنزع السلاح ، وترجمت الى بعض اللغات الاوروبية .. وفي مواقع من يوم الشهيد .. ولقطات عابرة أخرى .. وجيل أن يعبر الشاعر عن خلجاته في ميدان كذاك الميدان .

✽ يقول فريق بأن هناك أزمة في الشعر .. بينما يقابلهم آخرون بقولهم بأن الأزمة أزمة شعراء ..

— هناك أزمة في الواقع .. أزمة المتطلعين على الشعر والمتشاعرين .. وأزمة المتطلعين من المتشاعرين .. وأزمة ابتذال الحرف العربي .. والأزمة الام انهما هي تسهيل مهمة كل هؤلاء ! .. وهي في اعتقادي : الصحف التي تسهل الجريمة .. جريمة تأزيم الشعر وتعميق الأزمة .. «الصحيفة لبي بن بى ، وبى بن هي » ...

✽ نحن نطمح ، يا سيدي ، في أن نخص المجلة برائعة من حديث شعرك ..

— قالوا سكنت وانت افصح ملهيب

وعني الجروع لزندها قساح ...

فاجبتهم : انا ذاك حيث تشابكت

هام الفوارس تحت غاب رماح

لكن وجدت سلاحهم في عقلة

فرميت في عقر الجحيم سلاحي

قد كنت احمل فوق اجنحة اها

واليوم احمل مهجتي بجناح

واليوم احمل جرة مسعورة

لا شيء ينجد لها من الارواح

لا بد ابرد حرها فاعرتها

ريش الصبا ووهبتها للراح

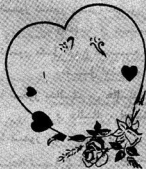
✽ واخيرا .. ؟

— تحية لجلة « البيان » الغراء ، وتحية لرابطة الادباء في الكويت .. وتحيتي للشعب الكويتي عابة ، وللابداء خاصة ، وللمستقبل الذي ينتظر الشعوب العربية بعماء يكون افضل من عطاء حاضرها .

عبد البطاط

— البصرة —

يُنِيكَ عَنْ عِدَدِ الْجُودِ سَمِيرُهَا
وَعَنْ الْكَؤُوسِ الدَّائِرَاتِ مُدِيرُهَا
تُغْنِيكَ الْوَدَاعِ عَنْ الْهَوَى
فَسَدِّعِ اللَّيَالِي تَحْمِي بِسَوَادِهَا
مَا دَامَ قَدْ خَفَيْتَ عَلَيْكَ بِدُورُهَا
بِمِ الْفُتُورِ إِذَا هَمِي
بِمِ لِلْحَسَنِ الْفَائِزَاتِ مَعَابِدُ
صَلَّتْ بِهَا رُوحِي لِشَرْقِ نَوْرِهَا
يَا قَلْبُ طُوبَى لِمَنْ مَشَرَعًا لِقَائِهَا
أَخْضَى تَطِيرُ بَيْنَ أَحِبِّ عَطُورُهَا
فَلَا حَبَّ مِنْ نَعَمِ السَّمَاءِ وَفِيضِهَا
وَبِهِ شِدَا إِنْجِيئَهَا وَزُبُورُهَا
أَنْ الْحَيَاةَ بِلَا غُرَامٍ صَادِقِ
تَحْمِي سَدَى أَيَامِهَا وَشُهُورُهَا
بِأَلْسِ إِذْ بَخَلَّتْ غَيُوسُ أَحَبَّتِي
بَخَلَّتْ عَلَى حِمْرِ الْوُرُودِ جَكُورُهَا
فَتَصَوَّحَتْ أَكْمَامُهَا وَتَسَاوَقَطَتْ
لَهَا أَنْتَهَى قَبْلَ التَّفَادِ عِبَرُهَا
أَهْوَاكِ يَا عَصْفُورَةَ الْأَمَلِ النَّسِي
حَطَّتْ فَرْقًا بِأَضْلَمِي عَضُورُهَا
غُلْبَاتُنَا مَحْرُوقَةً وَسَمَلُونَا
مَشْرُوقَةً مِمَّا فَكَيْفَ تَزُورُهَا
وَبِكَلِّ مَنَعَطِي بِقَلْبِي مَدِينَتِي
حَزَنٌ مَخَافَةٌ أَنْ يَمُوتَ ضَمِيرُهَا
لَا تَسْأَلْنِي كَيْفَ غَابَ غَنَاؤُنَا
أَنْهَلُونَا رَكْعَتَ غُلْبٍ خَرِيرُهَا



الحب
والحزن

يعقوب السبيعي

دَعَهَا بِمَعْتَرِكَ الْحَيَاةَ تَدَوُّرُ
 فَالْمَيْشِ زَيْفًا وَالْأَنَامَ قُشُورُ
 دَعَهَا تَدَوُّرُ تَدَوُّرٍ حَتَّى تَنْتَهِي
 وَيَلْقَهَا فِي صَبْتِهِ الدَّبَجُورُ
 دَعَهَا تَدَوُّرُ بِكُلِّ أَرْوَعٍ نَاصِعِ
 وَبِكُلِّ أَحْشَاءِ الْعَلَاءِ تَمُورُ
 دَعَهَا تَدَوُّرُ بِخَالِكَ مِنْ خَالِكَ
 فِي خَالِكَ . فِيهَا الزَّمَانُ عَاسِ
 دَعَهَا تَدَوُّرُ وَلَا يَقِرُّ قَرَارُهَا
 وَأَبْرُ بِهَا الدُّنْيَا وَأَنْتَ جَسُورُ
 وَاجْعَلْ بِهَا نُبْيَاكَ جَدَّ عَزِيزِ
 فَقَلِيلُ أَيَّامِ الْعَزِيزِ كَثِيرُ
 فَرَضْتَ عَلَيْكَ وَلَسْتَ تَمْلِكُ أَمْرَهَا
 فَكَلَّانَتْ مَغْلُوبٌ بِهَا مَقْهُورُ
 فَاضْرَبْ بِهَا كَيْدَ الْحَقِيقَةِ مَهْمَهَا
 فِي مَهْمٍ . عَمُرُ الْحَيَاةِ قَصِيرُ
 وَأَسْأَلُكَ بِهَا سَبِيلَ التَّجَاحِ وَخُصْ بِهَا
 سُودَ الْخُطُوبِ بِحَقِّكَ التَّقْدِيرِ
 وَأَمْلًا بِهَا الدُّنْيَا سُمُورًا رَائِعًا
 تَرَاهِي بِكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ أَمِيرُ
 وَأَصْبِرْ عَلَى الْأَهْوَاءِ حَوْلَكَ حَوْمًا
 فَذُرُوبُهَا لِلْخَائِمِينَ وَعُورُ
 وَأَصْبِرْ عَلَى أَهْوَالِهَا وَلَقَّهَا
 بِالصَّدْقِ وَالْخُرِّ الْكَرِيمِ صَبُورُ
 بَدَّدْ بِهَا سَحْبَ الظَّلَامِ وَطَرَّ بِهَا
 فُسُوقَ التَّجَورِ يَحْفَكَ النَّكْبِيرُ
 وَأَصْدَعْ بِهَا فِي الْحَقِّ كُلَّ مَمَّوَةٍ
 فَالْحَقُّ أَبْلَجُ وَالزَّمَانُ غَدُورُ
 فَيَسِّرْهَا صَعَبٌ وَصَعِبُ بَسِيرُهَا
 سَهْلٌ وَتَرَبُّ الطَّامِحِينَ يَسِيرُ
 مَا قِيَمَةُ الْعُمُرِ الْمَدِيدِ عَلَى الْأَذَى
 إِنَّ ظِلَّ يُجِيدُ فِي الْأَذَى وَيَقُورُ



أنا والحياة



شعر
 عبدالله زكريا الانصاري

ما غَابَ طِفْلُكَ عَنْ خَيَالِي نَارَةً
فَلَأَنَّتْ نَارِي فِي الْفؤَادِ وَنُور
نَارِ تَاجِجٍ فِي الضَّلُوعِ وَإِنِّهَا
نُورٌ يُفِيءُ وَبَهْجَةٌ وَسُرُور
نُكَرَاكَ رَوْضَ زَاهِرٍ وَخَيْلَةً
أَبَدًا يَفُوحُ عِبرُهَا وَيَقُور

★ ★ ★

يَا مُلْهِمَ الشَّعْرِ الْجَبِيلِ أَبْنَةُ
إِنِّي بِحَبْلِكَ مَا حَيَّتُ أَسِيرُ
كَمْ كُنْتُ أَتَشُدُّ أَنْ أَقُولَ قَصِيدَةً
أَشْدُو بِهَا فَيَخُونُنِي التَّعْبِيرُ
أَزْدَدُ مَخْفُوضَ الْجَنَاحِ كَبِيرُهُ
فِي الشَّعْرِ أَقْعَدُ لَا أَكَادُ أَطِيرُ
إِذْ أَنْتَ فَوْقَ الشَّعْرِ فَوْقَ بُحُورِ
إِنْ الْوُصُولُ إِلَيْكَ فِيهِ عَسِيرُ

★ ★ ★

يَا مُلْهِمَ الشَّعْرِ الْجَبِيلِ بِفِكْرِهِ
وَبِعَقْلِهِ قَدْ هَدَنِي التَّفَكُّرُ
كَيْفَ السَّبِيلَ إِلَى وَصُولِكَ دَلَّنِي
فَلَأَنَّتْ فِيهَا أَرْجِيهِ خَيْرُ

★ ★ ★

قَدْ كُنْتُ فِي هَذَا التَّشْيِيدِ مُعَرَّضًا
بِالْخَاتِمِينَ وَإِنِّي مَعْدُورُ
الْبَائِلِينَ حَيَاتَهُمْ هَدْرًا وَمَا
عَلِمُوا بِأَنَّ الذَّائِرَاتِ تَذُورُ
فَطَفِقْتُ أَتَشُدُّ فِي هَوَاكَ لَأَنَّهُ
فِي الْقَلْبِ مَنَقُوشٌ ، بِهِ مَسْطُورُ
وَتُحَوَّلُ دُمْعَاهَا فِي الْحَيَاةِ تَحُورُ
فَالْعَيْشُ زَيْفٌ وَالْأَنَامُ قَشُورُ
إِنَّ الْحَيَاةَ هِيَ السَّمُوكَا نَرَى
خُلُقِي وَفَكْرِي نَاصِعٌ وَضَمِيرُ

الْعَمُرُ قِيَمَتُهُ حَيَاةٌ حُرَّةٌ
أَبَدًا بِصَاحِبِهَا نَكَادُ تَطْمَئِنُ
وَالْحُرُّ يَخْتَرِقُ الْخُطُوبَ بِرَأْيِهِ
وَالْحُرُّ بِالرَّأْيِ الشَّجَاعِ جَدِيرُ
فَأَبْرَ بِفِكْرِكَ كُلِّ دَرْبٍ حَالِكِي
فَالْمَرَّةُ بِالْفِكْرِ الرَّفِيعِ يُنِيرُ
لَا تَبْتَلِيسُ مِنْ كُلِّ لَوْمَةٍ لَأِيمِ
مَا كُنْتُ فِي الْحَقِّ الْمُبِينِ تَسِيرُ
إِنَّ الصَّرَاحَةَ وَالنَّزَاهَةَ وَالْعَمَلَا
أُسْسُ الْحَيَى وَبِهَا الْحَيَاةُ تَنُورُ

★ ★ ★

إِنِّي رَأَيْتُ الزَّاحِفِينَ وَكَلَّمَهُمْ
عَبْرَ الْحَيَاةِ إِلَى الْفَنَاءِ بِصَمِيرِ
يَسَاقُطُونَ عَلَى الطَّرِيقِ وَلَا يَرَى
إِلَّا صَفِيرَ مِنْهُمْ وَحَقِيرِ
بَلَفُوا مِنَ السَّنِ الْيَقِينِ وَكَلَّمَهُمْ
مَنْهَا لَكَ فِي عَيْشِهِمْ مَفْزُورُ

أَلْفُوا الْمَذَلَّةَ وَاسْتَطَبُّوا عَيْشَهَا
وَلَهُمْ بِأَسْوَاقِ التَّفَاقِي خُصُورُ
فَكَانَ وَاحِدُهُمْ لَمَرُطُ خُنُوعِهِ
وَرِثَ الْخُلُودَ وَقَبْرَهُ مَحْفُورُ
الرَّاكِمُونَ يَجْرُرُونَ ذِيُولَهُمْ
فِي عَالَمٍ مَرْغُوعُهُ مَجْرُورُ
نَضَبُوا عَلَى أَهْوَائِهِمْ إِذْ أَتَتْهُمْ
بِوُجُودِهِمْ سَيْفُ الْأَذَى مُشْهُورُ
بَشَتَ حَيَاتَهُمْ وَبَشَى وَجُودَهُمْ
قَدْ مَاتَ حَيْثُ فِيهِمْ وَشُعُورُ

★ ★ ★

يَا مُلْهِمَ الشَّعْرِ الْجَبِيلِ قَصَائِدًا
فِي الْقَلْبِ نَكَرَكَ كَالسَّرَاجِ مِنْهُ
إِنِّي نَكَرْتُكَ وَالْخُطُوبُ عَوَابِسُ
وَالْوَقْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ خَطِيرُ

صلة حاضرنا الأدبي بماضيه

بمئة :
عبدالرزاق البصير



الزمان الى ابن مسكويه ، الامر الذي
انشأ فتورا بين هذين الادبيين ، وقد
عز ذلك على بديع الزمان واحزنه
فكتب الى ابن مسكويه رسالة مؤثرة
هذا مطلعها :

« بلغني ، اطال الله بقاء الشيخ
ان قيزة (1) كلب وافته باحديث
لي يرمع الحق نور في ولا الصدق
ظهوره ، وإن الشيخ اذن لها على
حجاب اذنه ، ونفس لها فناء ظنه ،
وعاذ الله ان اقولها ، واستجيز
مقولها الى ان يقول بعد ان يؤكد انه
ابعد ما يكون عما نقل عنه ، لكن من
بلي من الاعداء كما بليت ، ورمي من
الحصدة ما رمت ، اعترف مظلوما ،
واحسن ملوما وضحك مشغوما » الى
ان يقول .. فهبني قلت ما حكى له ،
اليس الشاتم مع اسمع .. اليس
الجانب من ابلغ فما لبثت ان قلت :

ابن الفضل احمد بن الحسين بن
يحيى الهمداني ، الشاعر والكاتب
المعروف ببديع الزمان الهمداني وبين
احمد بن محمد بن يعقوب الملقب
«مسكويه» فان كلا من هذين الادبيين
نايعة متفوق تشهد لهما اثارهما بذلك ،
ولكن ابن مسكويه اعلى شأنا وارفع
قدرا من بديع الزمان لما يتحلى به
من اتجاه فلسفي وتاريخي جمل
كتبه مرجعا للباحثين في الفلسفة
والتاريخ وقد وفق الله ابن مسكويه
في حياته ، اذ كان مقربا من الوزير
المهلب في شبابه وعضد الدولة حتى
صار من كبار ندمائه ورسله ، واخص
بالوزير ابن العميد وابنه ابي الفتح .
ويبدو ان بديع الزمان الهمداني كانت
له صداقة وثيقة بابن مسكويه ، مما
جعل قلوب اهل الحسد تنقد نارا ..
فما هي الا ان مشوا بالسعاية ببديع

كثيرا ما تضيق بها يجري من
خصوصيات بين الابداء والمفكرين فسي
عصرنا الحاضر ، حتى تكاد نظن ان
هذه سمة من سمات زماننا وان
ادباؤنا الاقدمين ابعد ما يكون من مثل
هذا السلوك ، ولكن الواقع ليس كذلك
فان حال ادباؤنا الاقدمين مثل حال
ادباؤنا المعاصرين من حيث المنافسة
وتنازع البقاء بالوسائل المقبولة
كالتمكن من المادة التي يتخصص بها
او زيادة الحصول في الثروة الثقافية
او قوة الحججة وانها بالسعاية
والوشاية حيناً وبالجهاد المتذرع
والشتم المردول احيانا . وهذا يدل
بطبيعة الحال على ان التهذيب
والعدالة لم تؤثر الا في نفوس قليل
من الناس ، والشواهد على ذلك اكثر
من ان تحصى . ولكني اود ان اشير
في هذا المجال الى مساجلة جرت بين

فان يك حرب بين قومي وقومها
فاني لها في كل نائية سلم
ولولا خوف الخروج عن القصد
لاوردت رسالة بديع الزمان بطولها
لما تحتويه من حكم أبلغها تجارب اناس
تعرفوا على دخال كثير من النفوس .
ولقد كان لهذه الرسالة وقع مؤثر
في قلب الفيلسوف ابن مسكويه ، فقد
رد على البديع برسالة مشابهة جاء
فيها :

واذا الواثي اتي يسمى لها
نقع الواثي بما جاء يصفر
فهت خطاب الشيخ الفاضل ،
الاديب البارع ، الذي لو قلت انه
المحرر الحلال والمذهب الزلال ،
لنقصته حظه ، ولم اوفه حقه ، لما
البلاغات التي اوما اليها ، فوالله
ما اذنت لها ، ولا اذنت فيها ، وما
اذبعتني عن هذه الطريقة وابعدتني
عنها ، وقد نزه الله لسانه عن
الفحشاء ، وسمعي عن الاصغاء ،
وما يتخذ العدو بيئها مجالا .

واذا ما تبعمنا آثار ابن مسكويه
وجدنا اكثرها يتجه الى الناحية
الفلسفية والتاريخية ككتاب تهذيب
الاخلاق الذي يدل على اطلاع واسع
على الفلسفة اليونانية والاسلامية
وكتاب تجارب الامم الذي مزج فيه
الفلسفة بالتاريخ ، وقد لقي كل من
هذين الكتابين عناية خاصة من
الباحثين . اما آثار بديع الزمان فان
جلها ادبي يدل على ان اللغة العربية
قد اقلت قيادها اليه حتى اصبح
قادرا على ان يرتجل ما يطيب له من
شعر جيد ونثر بليغ وحسبك بمقاماته
برهانا على صحة ما نقول وفي مناظرته
لابي بكر الخوارزمي اكبر الحجة على
ما يمتلكه من ثروة ادبية نادرة ، كما
ان تلك المناظرة تشهد على ما
قصدت اليه في هذه الكلمة من ان
المنافسة بين ادبائنا الاقدمين كانت

ومها يكن من امر ، فان مراجعة
الخصومات الادبية القديمة والحديثة
من الامور المحببة الى النفوس ، نافعة
للعقول موسعة للمدارك ، لان كلا
من المتخاصمين يبذل كل ما في وسعه
لتعزيز رايه باقوى الحجج ، مستندا
في ذلك الى حدث تاريخي غير معروف
الا عند القليل من الناس او بابيات
من الشعر نادرة او باتقال نطق بها
علياء يعتمد على آرائهم مما يجعل
الخصومات الادبية في افضل الوسائل
لدفع المتبعض الى تعميق ثقافته ،
اذ انه يعرف كثيرا من المراجع ويتضح
له كثير من الاستنتاجات الادبية
والفكرية واللغوية ، حسب مادة
المتخاصمين .

ومن الملاحظ ان الخصومات
الفكرية والادبية الرصينة قد ضعفت
في هذه الايام حتى لا تكاد نراها الا
فيما ندر . ولعل سبب ذلك يرجع
الى ان اكابر الادباء يدركون ان قراءهم
لا يكادون يهتمون بالامور الادبية
الجادة كما كانوا في اوائل هذا القرن
فاكتفوا بنشر آرائهم وافكارهم في
مؤلفاتهم ويحثون ليرجع اليها من
يجد متعته فيما يحدث بين الادباء
والفكرين من اختلاف في الراي
والمسألة مثلا جاء في القول المأثور :

عبد الرزاق البصري
— الكويت —

وأمره بالبخل قلت لها اقمدي
فليس الى ما تامين سبيل
ارى الناس خلان الجواد ولا ارى
بخيلا له في العالمين خليل

ومن خير حالات الفتى لو علمته
اذا نال شيئا ان يكون منيل
فعماله فيمال الكثيرين تجملا
ومالي كما قد تعلمين قليل

الدكتورة عاتكة الخزرجي شاعرة عرفت طريقها الى الشعر في سن مبكرة ، وحينما اكتمل صباها واخذت تنشر ما تجود به قريحتها المتفتحة ، عرفت ان الواسط الادبية شاعرة حبيبة خجولة يعتصر الاسم قلبها ويلفه بغلالة من اسى عبق . فقد تركها ابوها بعد مولدها بقليل واحست بالغربة والالم في عالم لا يعرف الا الاتواء ولا يعترف الا بالرجال ، ولذلك كانت تصرخ :

بلوت من الايام كل عظيمة
وحسبي اتي قد ولدت بماتم
وكانت اغاني المهد لي رنة الاسى
ووقع نحيب قد برى قلب ايم
ولقنت في مهدي سجل ماتمي
وكم هالتي فصل الشقاء الجسم

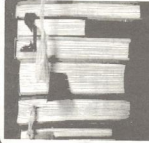
ولكن تلك الحياة الالية لم تحرمها من نعمة العلم فانجذبت الى معاهده ، وطارت الى باريس لتكمل ما بداته في العراق فاذا بها تعود بارقى الاجازات ، واذا



بماتم
الدكتور
أحمد مطلوب

بقلم الدكتور أحمد مطلوب

بها استاذة في جامعة بغداد ، واذا بها تطلع على الناس بدواوينها « مجنون ليلي » و « انفاس السحر » و للاء القمر » و « افواف الزهر » .
والشعر عندها نبع لا يتدفق الا في لحظة لا تجد فيها غيره سبيلا للتعبير عن آمالها وآلامها . وهي في هذا الشعر لا تجنح للمغوض والتعقيد وتركيب الصور ، وانما تتخذ من الوضوح اسلوبا يميزها بين الشعراء ،



معديسوان
أفواف الزهر



للدكتورة عاتكة الخزرجي

وهو أسلوب لا يغرب بل يقترب من العرب في فصاحتهم
وبيانهم .

والشاعرة في ديوانها الجديد « أفواف الزهر » تكل
ما بداته في مسيرتها الشعرية ، وقد عالجت موضوعات
كثيرة تنضج في ثلاثة أبواب هي : الله والوطن والنفس .
بدات الديوان بثلاثة أبيات في الحب سر الملهمين :

الحب سر الملهمين

فهل تلقيت الإشارة

الحب من وحي السما

نور يوجب فيك ناره

الحب معناه السمو

وليس معناه الصغاره

وتكاد هذه الابيات تكون دستور الشاعرة، فالحب
عندها الحياة وبه تذكر الله وتعال الاجر والثواب :

انت عندي معنى به اذكر الله

واعنو للبارء الخلاق

انا والله قد عشقتك في الله

وحزت الثواب في العشاق

وليس غريبا ان يكون هذا اللون « حب » قد
انجست الشاعرة الى الله لتعبد العشق
الالهي ، وتصيدتها « بين يدي الله » تذكر بابيات رابعة
المدوية :

احبك حبين : حب الهوى

وحب لانك اهل لذاكا

فاما الذي هو حب الهوى

فشغلي بذكرك عن سواكا

واما الذي انت اهل له

فكنفك للحجب حتى اراكا

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي

ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

اما الدكتورة عاتكة منتول :

احبك لو صح ان الهوى

تترجمه احرف او معان

احبك للحب لو اعربت

عن الحب قافية او بيان

اخال الهوى فوق ما في اللقى

او ان اللقى دون ما في الجنان

احبك رباه فوق الهوى

ايا من به كنت والحب كان

وتبقي في هذا الحب الجارف منتول في قصيدة
« الى الله » :

تباركت يا رب هذا الانام

غوى واضل فأتى المقر

أمانا له يا حسي الخائفين

فانت الملاذ وانت المقر

وانت الرؤوف الرحيم الودود

وانت المقبل لمن قد عثر

تباركت كل غدا راحل

فمنذك يا رب أقصى السفر

وبين يديك يكون الجزاء

فكبرا بخير وثرا بشر

والقسم الثاني « الوطن » وهو الامة العربية كلها
ولذلك تنوجه بقصيدتها « تحيه حب » الى كل عربي
وتقول :

هواي بها ما حدث عن عهد حياها

وحائسا لثلي ان تحيد عن المهدي

وكيف وقد ملكتها كل مهجتي

واني لآخفي في الهوى فوق ما ابدى

وتتوالى القصائد الوطنية عن العراق والمغرب
والشام والكويت وفلسطين التي لها في الديوان حظ
عظيم ، فقد وقفت الشاعرة عام ١٩٦٧ تنشد قصائدها
وامل النصر في عينها حينما اتجهت الجيوش العربية الى
المعركة وحيث جيش الجزائر :

تفديك يا ارض الجزائر

مفتونة بين الشواعر

اتفدي الجباه السمر

والفرر المكالة الظواهر

أمّدي البطولة والفدا

على محباً منك ظاهر

وتحدثت عن صمود سورية في قصيدة « دقوا عنق
اسرائيل دقوا » ، وحينما وقف القتال انهار قلبها الكبير
ولكنها لم تفقد الأمل :

يمينا سنثار واثار دين

على جيعنا الناقم الثائر

فصبرا جببلا فلليل فجر

وان الاله مع الصابر

ولا تحسبوا البدء فصل الختام

فما اول التثبوت كالأخر

سنثار واليوم آت قريب

وينتصر الحق بالناصر

هذه صورة من وطنية الشاعرة وإيمانها بالأمّة
العربية ، وهي لا تنسى فلسطين أبداً لانها في قلبها
الخائف وذلك تقول في قصيدتها عن البصرة :

أفيحاء هل عودة ترتجي

وبعث يحطم أوثانها

أحقاً نعوذ لحرى التبي

الى القدس نمسح أركانها

وناسو الجراح بحد الصفاح

وعنها نظهر أدرانها

أحقاً نعوذ لمهد المسيح

وتلقى الأهله صلبانها

وإذا كان قسماً « الله » و « الوطن » لا يحفلان
بقصائد كثيرة ، فان الشعر العاطفي كثير وهو ما ضمه
القسم الثالث « النفس » وقد ذكرت منه ثلاثة منون :
الوجدانيات والإخوانيات والمرائي . وكان القسم الأول
أكثر تنقفاً وعاطفة لأنه يمس قلبها ويصور مشاعرها
وأحاسيسها ، وليس كالوجدانيات ما يدفع الى الإبداع
حينما ينطلق الشاعر على سجيته ويسترسل في الحديث
عن آماله وأحلامه وخيئته وآلامه ، فإذا بكل
أهة بيت وإذا بكل زفرة قصيدة .

والقصائد التي ضلها ديوان « أنوار الزهر »
تكشف عن ذلك الوجد وتصور ذلك
الحب وتتسأل الشاعرة في قصيدة « فهم التقينا » عن

هذا اللقاء وزمانه ، وتبضي بها الأحلام فإذا هي لا تذكره
وانما تذكر أنها كانت شفة خرساء بعث الحب فيها روحه
فإذا هي لحن بديع :

فيم التقينا ؟ متى ؟ لا لست تذكره

ولست أنكر ماذا كنت أو كنا

لا لست أنكر إلا أنني شفة

خرساء كانت فصارت في المهوى لحنا

وتبضي القصائد تحبل في آياتها الحب واللوعة
معبرة عن السراب وعيني الحبيب واللغاء والطفيف والغيرة
والغرور والصورة والزبارة والرق والنجوى والمهد
والعتب والحيرة والداء والصن والجرور والوباء
والنهاية ، وتصرخ الشاعرة في قصيدة « فوق ما أصف »

أنني أجبك فوق ما أصف

حبا به يستحسن السرف

لا أنمي فالصدق من شيمي

كلني لكم تبع ، بكم كلف

ان أنكر العشاق أو عرفوا

فيحككم أبدا ساعترف

مولاي ان الحب تيمني

والحب يرغم من به أتف

لي مهجة للحب قد نذرت

وقف عليها الوجد والتلف

أنى اتجهت فأتكم قبلي

أنى انصرفت فليس منصرف

وفي هذا القسم من الديوان تتجلى صورة الجمال
الذي تتخلله الشاعرة وتمشقه ، وأول ما يبدو الصفات
الروحية ، فالحب أعلى من الجمال وأندى من النسيم
وأصفى من ليلة الوصل ، وهو بعض ورد الربى وهو
الصبا والندى ، وهو بعد ذلك العربي السبات :

فكأي الفتى العربي السمات

فديت السمات وما تنقل

بها نقرأ المجد تاريخه

نمل به بعد إذ نهمل

فسمرته من سهوم الرمال

وطلمته الفجر أو أتبل

كان بعينيه سر النجوم

إذا ما نجما ليلها الأليل

ولي قدح من شموخ السيوف

معان بها كل ما يذهل

ولي خلقه آية للكمال

تدل على أنه الاكمل

وترسم الصفات الأخرى غير ما صورته هذه الأبيات ،
فالمعبران زرقاوان كالبحر تكشف ما في نفس صاحبها
وتشعان السلام والراحة والطمانينة حيناً ،
والشوق العاصف حيناً آخر :

يا حبيبي عينك هاتان كالبحر

وكالافق حلوتا الأزرقاقي

سر عينيك يا حبيبي أي الصفو

في العمق في المائي الرقاق

وأرى نفسك الجيلة لاحت

بين عينيك حرة الانطلاق

يا حبيبي عينك هدهدتا روحي

فشاع السلام في أعماقي

وتراءى الوجود حولي طيوبا

عذبة الروح والرؤى والمذاق

يا حبيبي عينك زلزلتا روحي

فأنكى علي جمر اشتياقي

والوجه جيل ، والصوت عذب ، والجبين صلت ،
والخد أسمر ، والغد مشوق :

بورك بأري الخلق سبحاته

مثل معنى الحسن اذ مثلك

وجهك كم ضل به ناظري

فلا ترع أن جار أو ضللك

وصوتك المذب حلا جرسه

كانه تسبيحة من ملك

* * *

يا للجين الصلت أما أوضحه

والوجه يا لله ما أصبحه

والخد قد لوح في سمرة

سبحان من بالسكر قد لوحه

سمرة رقت وراقت فيا

لله هذا الخد ما أطلحه

ولكن بعض الصفات تخرجه من ذلك أحيانا :

فمن لجين الشعر في تبره

ينساب نورا عبر نور يق

على جبين شع منه الضحى

وظلمة يسفر عنها الفلق

والقد مشوق به عزة

كمزة الصارم اذ يمشق

ولم تجتمع هذه الصفات الا في يوسف — عليه
السلام — :

أمولاي أتت الحسن والسرور

تباركت فردا بات في الخلق اكمل

فأنك في دنيا الحاسن يوسف

وهل كان الا الحسن فيك ممثلا

ولم تنس الشاعرة ما حولها وقد عبرت عن ذلك
بالأخواتيات والمراني التي ضمت باقات حزينة في شقيقتها
واستاذيها الدكتورين محمد مهدي البصير ومصطفى جواد
والاستاذ أحمد حسن الزيات والدكتور خليل الطالب .
وقصائد هذا القسم من أروع ما نظمت الشاعرة مع أنها
تخلو من الحرقلة التي تغلب على الراثين ، ولا يكاد يخرج
عن ذلك الا رثاء جواد . لقد بدأت برثاء شقيقتها وكان
من المتوقع أن تبت أحزانها وتعبر عن لها ، ولكنها
اتجهت نحو الحكمة فآذا بها تقول :

أكذا نحوم على السراب

على السراب على السراب

أكذاك نحن ومن نكون

وهل نكون سوى تراب

أتجي للدنيا لتذهب

ما المجيء وما الذهاب

وتتسأل :

اختفاء ما خلف الغيوم
وبين انثناء السحاب

ما سر هذي الروح هل
عنها لكم كشف القباب

ما امر سكان السماء
وقد لقوك على ارتقاب

وملائك الرحمن والابرار
حولك والصحاب

وتحدث عما ستمال من الخير في جنة الله الواسعة،
وتراعا في ثياب من سندس وفي معصبيها اساور من
ذهب .

وتنحو هذا المنحى في رثاء الدكتور البصير والاستاذ
الزيات والدكتور الطالب ، ولكنهما في رثاء الدكتور
مسلطن جواد تجمع اللوعة مع الحكمة :

لعل الضنى عن بعض ما في شاهد
فكيف اداري من جوى واجالذ

الام نصافي الدهر وهو يكابد
وفيم نواللي وهو غر يمانذ

ايكننا العلق التقيس ومن لنا
بذاك الجواد الفرد والفرد واحد

وياحيتي اذ انتشد الصبر ضلة
واستمتح الاجفان وهي جوامد

يقولون اننى هدها الخطب انه
هو المخطب تخشاه الصخور الجلامد

عزيز على مثلي تقول رثاه
تنبئت ان لو قد نعمتي العوائد

واقصمت لا بل عي بالرزء مقولي
امعربة عنى الفصاح الشوارد

وان عزائي عنك ان بني الوري
ونياهم دوما طريد وطارد

ويتنح في الديوان بعد هذا العرض لفنونه ابور :

● الاول :

ان الشاعرة لم تخرج على عهود الشعر العربي ،

فقد التزمت باللغة الفصيحة والالفاظ والصور
والتشبيهات التي جاءت عن العرب . ومن امثلة
ذلك :

يا مالكا ملكك وحيدك
يهنيك ان الروح عندك

غفني من الهجران اني
ان اطيعك العيش بمدك

قسما بما بيني وبينك
انني سامعون عهدك

وفي هذه الايات من تمجيد الكلام وعذب الالفاظ
ما يطرب .

ومن الصور البديعة قصيدة « المسبحة » التي تعبر
عن غيرة المرأة حينما ترى حبيبها يداعب مسبحته بين
اتامله وهو عنها لاه :

اغار من فتنها يا سحرها
تهوى مليكي وهو يهواها

بين يديه لا ينني يضمها
يمناه ما ان بارحت يمانها

الله يا للصبر يا لمنظر
ومخبر الله فيسه الله

جل الذي سوى وجل من برى
فريدة اعدتها الاشباها

الله في جلد لها منعهم
الله ما اصفى وما ابهاها

صفراء كالتبر زكا اهابها
تماجد الشمس سنى او جابها

الشوق اضناها فالقى بها
صريعة بين يدي مضناها

بين يديه لا ينني يشمها
ولا تنني كانه عزاهها

يا عاشقين التقي على الجوى
دنياه ما ان خالفت دنياها

تعاهدا على الوفا واقسما
على الصفا ان يذكرها الله

فلا ترى الاله في عينها
ولا يرى في الحب الاله
يا للفناة لا حياء او تقى
او حرمة او قالة تخشاهما
كم شوهت في حجره والهة
محاربا فيه ونجواها
وعاشقين التقيا على التقى
يسبحان الله ثم الله
والتشبيهات البديعة كثيرة في الديوان ولكن بعضها
يحتاج الى نظر ، ومن ذلك تشبيهه اللطيف بالاعموان :

بالعرب بوحدتنا الكبرى
بالقدس بيافا او حيفا
لماذا « او حيفا » اليس القسم بها احسن ؟
ومثله :

فترى القوم في المحارب صرعى
من خشوع وليس في القوم صاح
اهكذا يوصف المصلون ؟ وهل هم حقا صرعى حينما
يتوجهون الى الله ؟ او ان الوزن اراد لهم ان يكونوا
كذلك ؟

ويضع التكرار في الغواي حينا والغلق حينا آخر ،
ومن الاول تكرار كلمة « البيان » في قصيدة « بين يدي
الله » ، ومن الثاني قصيدة « تحية المغرب » فقد اضطرها
الروى الى ان تدخل كلمات بعيدة عن الشعر وادت الى
تناقض القصيدة التي بداتها بقولها :

والقى بنا ركب الاثر رحاله
فغنمنا ترابا بعض ذراته المسك
والمراد بركب الاثر الطائرة . ثم قالت بعد ذلك :

لقيت بكم اهلي واتزلت منزلي
كانني في بغداد لم تسر بي الفلك
ومن ذلك :

فتنزلت هول المصير
يقر في حمر الخناجر
وهل في الخناجر ما يرتجى بعد الصواريخ العابرة
للغاتر ؟ ولو حذفت هذا البيت والذي بعده لاستقام
المعنى .

ومن ذلك قصيدة « لقاء لم يكن » ، ولو اكتفت
الشاعرة باللمحة الدالة وتركت الشرح والتفصيل
لتخلصت من كلمات كثيرة مثل : « أهل النطق »
و « ملق » و « محققي » و « مستغلق » .
ومن ذلك :

ماذا أقول وعزتي مغلوقة
وكرامتي وكنت على افرنده
وكيف تواد الكرامة على الامرد ؟ ومن ذلك قصيدة

فلا ترى الاله في عينها
ولا يرى في الحب الاله
يا للفناة لا حياء او تقى
او حرمة او قالة تخشاهما
كم شوهت في حجره والهة
محاربا فيه ونجواها
وعاشقين التقيا على التقى
يسبحان الله ثم الله
والتشبيهات البديعة كثيرة في الديوان ولكن بعضها
يحتاج الى نظر ، ومن ذلك تشبيهه اللطيف بالاعموان :

كطيف رقيق وثيد الخطى
تسرب في خفة الانعموان
وتشبيه طلع النخيل بالمران ، وهو لا يعطى
الصورة الجبيلة التي ارادتها الشاعرة في قولها :

ويا بهجة التخلات الحصان
وقد صوف الطلع اردانها
وحلت صفائرها فانثت
على الصدر تستر رمانها

ومن ذلك قولها :

متواضع دمث رقيق رائق
كالنور كالانواء كالاطيف

ولم تخرج على الوزن والقافية ، لانها لا تؤمن
بالشعر الحر والالوان المستحدثة في هذا العصر . وقد
عبرت عن ذلك بقولها : « لم يكن ابو ماضي ممن احلوا
البذعة محل الابداع ومن استهتروا باوزان الشعر
وقوافيه ، ومن حاولوا ان يقتلدوا شعراء الغرب
فاضاعوا عليهم المشيتين ... ان صعوبة الوزن والقافية
لا يشكوها شاعر مبدع ، وانما هي عقبة كداء في وجه
المقلدين . وجبال شعرنا العربي آت من هذا الايقاع
الموسيقي المنغم ، واعجاز شعرنا العربي آت من
رصانة قوافيه وانساق انغامه » .

واضطرها الالتزام بالوزن والقافية الى ان تاتى
بتشبيهات بعيدة قواصاف غريبة والفاظ لا يقتضيها المقام .
ومن ذلك :

انا بنت كل العرب
بنت بداتها او حاضريها

« عيد وعهد » التي جاءت فيها كلمات : « النفق »
و « اندفق » و « المنفق » و « ينفق » و « ينفق »
و « احق » .

● الثاني :

انها لم تتأثر بالآداب الاجنبية ولا سيما الفرنسية
التي تتقنها وكانت لغة دراستها ورسالتها الجامعية في
باريس ، وانما ارتبطت بالتراث العربي وكثر محفوظها
من الشعر القديم الذي يتسلل احيانا الى بعض تصاندها
برفق . ومن ذلك :

وهل انا الا من غزية ان غوت

غويت وان ترشد غزية ارشد

وهو بيت دريد بن الصمة :

وهل انا الا من غزية ان غوت

غويت وان ترشد ففي رشدها رشدي

ومنه :

ادين بدین الحب شرقا ومغربا

وديني بحمد الله ليس به شرك

وهو معنى بيت ابن عربي :

ادين بدین الحب اتى توجهت

ركابيه فالحب ديني وايماني

ومنه :

ورناب به ماء الوداد مرققا

وكم قبل اسقينا الوداد دخيلا

وهو من بيت ابي العلاء المعري :

ورنبا ماء دجلة خير ماء

وزرنا اشرف الشجر النخيل

ومنه قصيدة « ودقوا عنق اسرائيل دقوا » نعى

اقرب الى قصيدة احمد شوقي في دمشق .

ومن ذلك :

صاح هذا الاديم اباؤك الصيد

فرغقا رفقا بهم يا صاح

وهو بيت ابي العلاء :

خفف الوطء ما اظن اديم الارض الا من هذه الاجساد

ومنه :

انا والله اتقي سحر عينيك

واخشى مصارع العشاق

وهو بيت قديم ، وقريب منه قول ابن عبد ربه :

يا سقيم الجفون من غير سقم

بين عينيك مصرع العشاق

ومنه :

وعيناك قال الله : كونا فكانتا

فلم يبق لا لب لدينا ولا عقل

وهو بيت ذي الرمة :

وعينان قال الله : كونا فكانتا

فقولان في الالاب ما تفعل الخير

وقصيدة « هو الحب » من نفس ابن الفارض ،

ولذلك جاءت قريبة من شعره .

ومنه :

وماهي الا غصة فانتباهة

تمر علينا كل ما كان قد حلا

وهو يقول الاول : « وماهي الا ان اراها نجاة » .

ومنه :

وسخرت شعري في هواك عسى به

يفصل شوق كان في الروح مجلا

وقريب منه قول المتنبي :

وقيدت نفسي في هواك محبة

ومن وجد الاحسان قيда تقيدا

ومنه :

وقاك الاله السوء يا سيد الحمى

ولا زال منهلا بنعمائك القطر

وهو بيت ذي الرمة : « ولا زال منهلا بجرمائك

القطر » .

● الثالث :

انها كانت مشبوبة العاطفة قوية الانفعال ، ولذلك

ندت عنها بعض المعاني والابيات المكررة ، ومن ذلك اربعة

الابيات الاولى في قصيدة « بين يدي الله » وقد ختمت

بها القصيدة ايضا ، ولا يزيد ذلك من قيمتها بل يفسد
عليها رتبة ، وحذفها أولى .
ومن ذلك ما جاء منفصلا لبیت واحد في قصيدة
« تحية حب » وهو :

هواي بها اني نذرت جواحي

الى كل شبر في العروبة ممتد

فالمحراء والخليج ومكة والبلحاء والخياف من
منى وسناء والجولان والقدس وليبيا وتونس والجزائر
والغرب ، كلها لا تنتشر اليها القصيدة لان « الى كل
شبر » يغني عن التفصيل . وفي القصيدة نفسها أبيات
تكررت معانيها وهي :

يمينا لقد احببتكم حب واليه

يفديكم بالنفس والمال والولد

وهل بعد بذل النفس في الحب غاية

وهل عنكم في الحب بعض الذي عندي

يمينا لقد احببتكم حب راهب

يرى غير حب الله في الله لا يجدي

وهل بعد هذا الحب في الحب غاية

وهل عنكم بالله بعض الذي عندي

والأبيات الأربعة تصير بيتين يدلان على المعنى بهذه
الصورة أو غيرها :

يمينا لقد احببتكم حب واليه

يرى غير حب الله في الله لا يجدي

وهل بعد هذا الحب في الحب غاية

وهل عنكم بالله بعض الذي عندي

ومنه :

وما نحن الا وحدة نحن وحدة

الا فلتع الاقوام ان خامر الشك

واجل من ذلك :

وما نحن الا وحدة عربية

الا فلتع الاقوام ان خامر الشك

ومن ذلك :

اني وياك وحى انت ملهمه

انا الصدى انت انت الروح والمعنى

وحقه ان يكون :

اني وياك وحى انت ملهمه

انا صدهاء وانت الروح والمعنى

ومنه :

احبنا بين الرباط وطنجة

وفاس سلاما للقاء جيلا

وقالت بعده بأبيات :

احبنا بين الرباط وطنجة

وفاس سلاما ما حيت جيلا

ومنه :

الا لله للاسلام نوروا

ودقوا عنق اسرائيل دقوا

وقالت بعده بأبيات :

فيا أبناء قومي اليوم ثوروا

ودقوا عنق اسرائيل دقوا

والبيت في صورته الأولى اجل وادق تعبيرا .

ومنه :

فيم التقينا ؟ متى ؟ لا لست تذكره

ولست انكر ماذا كنت او كنا

وقالت بعده :

فيم التقينا ؟ متى ؟ لا لست انكره

ولست تذكر ماذا كنت او كنا

ومنه :

وكنت وكنيت وكان الهوى

على غفوة من رصيد القدر

وقالت بعده :

وكنت وكنيت وكان اللقاء

على غفلة من رقيب القدر

ولا يعلم معنى « رصيد القدر » ولعل البيت الثاني

هو الصحيح .

ومنه :

ومست يدك يدي للسوداع

ومرت ليال وجاءت آخر

وكررت بعد ذلك مع تغير يسر لينسجم والموقف الجديد .

وتشابهت قصيدتنا « ادلال » و « من لي الى قلبه » وزنا وقافية ومعنى ، وكان الاولى تنسيق الابيات وحذف المكرر او نشر احدها في ديوان آخر .
وفي قصيدة « فوق ما اصف » جاء البيت :

الحسن بعض من مخابلها

لله قد زانه الهيف

حادا قطع انسياب القصيدة ، ومثله البيت :

انا وان كان العدة لنا

والدر قد يزري به الصدف

فقد جاء « نانا » ولو حذف لانسق المعنى وارتبط البيت الذي قبله بها بعده وكنا :

قولوا لمن جهلوا لمن عرفوا

نحن الا الى عزوا الاولى شرفوا

نبقى وبقى الدهر رايننا
شمسا توهج ليس تنكسف

● الرابع :

انها كانت صادقة في حبها ومشاعرها ولذلك كانت منفعة حينما مستعطفة حينما آخر . ودفعها هذا الصدف الى ان تكثر من الكلمات القديمة ليلين قلب الحبيب ويشعر بالسلطان . ومن ذلك كلمة « سيدي » التي شاعت في « انفاس السحر » كقصيدة « اني احبك سيدي » :

ما كان ظنني سيدي

انا بلا ذنب نرد

والقصيدة الاخرى التي تقول فيها :

يا سيدي كيف السبيل الى سلوك او لهجر
وتقول في الديوان الجديد :

اني على عهدك يا سيدي

ان اخفر العهد ورب الفلق

وتقول :

اني على عهدك يا سيدي

ان عهد الحب عندي غوال

وتقول :

انا يا سيدي وان كنت منها

لا تخلي من بين تلك الحظايا

وتقول :

اما ان يا سيدي ان تفيق

فقد طال ليل الهوى الايل

ومن ذلك كلمة « ولوي » التي تكررت كثيرا في « انوار الزهر » ، ولعل قصيدة « لقاء لم يكن » من اكثر القصائد تحملا لهذه الكلمة التي سقطت من معجم الحب في العصر الحديث .

● الخامس :

انها كانت رقيقة في عواطفها محبة للخمر والاخبار ولذلك كثرت الاخوانيات في الديوان وهي لوان : لون يتصل بالزعماء والحكام ، وهو ليس من هذا الفن . ولون يتصل بالاسدقاء ، وهو لب هذا الفن وعبدته ، وقد اجابت الشاعرة فيه ، وكانت لها مطارحات شعرية مع الادباء ، كالاستاذ محمد بهجة الانري الذي اهدى الى الشاعرة كتاب « خريدة الدهر » فكتبت اليه :

اعجبت بالسفرين حرفا حرفا

فلنحمدن العلم الفا الفا

يا تحفة من ادب مصفى

فققها ونحوها جامعا صرفا

وكتبت اليها :

اوليت عرفا ونفخت عرفا

شكرا لما اوليت الفا الفا

جلوتها من ادب مصفى

كجلوة العروس بل اشفا

فائية رقت ورغت عطفا

تميس دلا وتميل عطفا

وكتبت اليها :

شمر كازهار الربيع مفوف

نبيان مؤتلق النضارة مقرف

بلادك — ان ترشد — بلادي وانها

عشري واحبابي وانفس ما عندي

وبقيت ملتصقة بأسلوبهم في استعمال ضمير الجميع
في مخاطبة الحبيب ، وترديد بعض الالفاظ البعيدة عن
الشعر الحديث كالركب والركاب والركبان .
وسارت على سننهم في مطالع القصيدة ، فهي
تأبى الا ان تصل الى المبدوح بالطائرة كما كان القدماء
يفعلون حينما يتخذون الطايا وسيلة . فهي قصيدة
« تحية المغرب » تقول :

والقى بنا ركب الاثير رحاله

فدسنا ترابا بعض ذراته المسك

وتتخلص بعد هذا البيت فنقول :

بلاد كان السحر أنفاس روحها

فكل قلوب النازلين لها ملك

وفي قصيدة « الى الله » لم يكن المطلع متسقا مع
المعنى العام وهو الحديث عن الشرور والآثام والحق
والفضال ، لانه كان مرحا طرويا :

وضاع البخور وضاعت شموع

وشمشمع في الجو نور عطر

ورف على الروح سحر غريب

وطاف بها في مطاف خطر

والبيتان يقودان الى معنى آخر .

وفي قصيدة « دقوا عنق اسرائيل دقوا » هذا البيت :

متى كانوا لكي يملوا علينا

واوبر حشوها حقد وحمق

والاجمل من ذلك :

متى كانوا لكي يملوا علينا

واوبر كلها حقد وحمق

ليتخلص من كلمة « حشوها » وليكون المعنى أكثر
دقة وشمولا .

وجاءت في قصيدة « الفجاءة بسمه الراغبين » أبيات
بعيدة عن المعنى العام ، فالشاعرة تتحدث عن البصرة
ونخيلها وشواطئها ثم تنتقل الى الحديث عن قدرة الله :



هيمنان يمرح في البهاء وفي السنا

ويومج في مور الشذا ويرغرف

وكبت اليه :

يا بهجة الاثر الحيد تحية

من قلب معجبة بشعرك تشغف

طوقتني بكريم وشيك انني

ازهى به بين الورى واشرف

ومنهم الاستاذ عبد الله زكريا الانصاري والاستاذ
محمد سعيد العابدوي .

● السادس :

ان الشاعرة كانت مبدعة في ديوانها كل الإبداع
لولا هزات قليلة ما كان لها ان تقع فيها ، ومنها انها
ظلت متمسكة بأسلوب القدماء في التعبير كتولها :

تمهل — ابنت اللعن — جرت عن القصد

فليس لثني ان تقابل بالضد



وسبحانه القدس



نازلة
الملائكة

وسبحان باري أسمها
ومن نقطة صاغ انسانها
وسبحانه باعثا من رميم
ومن وزن النفس ميزانها
وسبحان فالق حباتها
لا تلي تبهر مرجاتها
واجرى بها الشمس للمستقر
وقدر سبحانه شأنها
وسبحانه مارجا للبحار
ويهدي السفين ورباتها
واجرى الرياح على هونها
واغرى بها بعد شيطانها
تعاليت يا قدرة من قدير
فما كنت الا بما كانها
فانت عليه الدليل الدليل
وان اشكلت كنت برهانها
والابيات جميلة وحقا ان تفرد في قصيدة لانها
لا تخص البصرة وحدها وانما هي في قدرة
الله تعالى .
وبعد : فهذه الملاحظات العابرة لا تخص الدكتورة
عائكة الخزرجي شاعريتها المفتحة ، فقد عرفها الأدب
العربي المعاصر شاعرة تنفخ بالجمال وتنشد للامة
وتدعو الى الوحدة وتؤلف بين الاجبة ، وتعتبر عملا
فيه الخير .
الدكتور احمد مطلوب
جامعة الكويت

بسوسنة اسمها القدس ، نامت على ساقيه
الى جانب الراهبه
وفوق ثراها انخنت داليه
وتمطر فيها السماء خشوعا ، تصلى الفصول
ويركع سبلها ، تنهجد فيها الحقول
وعبر مساجدها العنبرية أسرى الرسول
فماذا صنعنا بوردتنا الناصعه ؟

★ ★ ★

الهي ، تعلم أنت ونعلم ماذا صنعنا
بوردتنا قد نزعنا ، نزعنا
وريقاتها ودلقنا شذاها الخجول
وهينا صياها لاذرع غول
لاشداق عقربة جائعه
فكيف اليها الوصول ؟
ونخشى غدا ان يهيج الضباب وليل الضباب يطول
وفصل ما بين اقدامنا والوصول
وقد يتمطى عصور الظلام بنا وتزول
كواكبنا ، ثم تأتي السيول
وتجرر شقلاتنا وتطول
ظلال الكتابة ، نفرق في غمرات الازهول
وتأتي الرياح وتمسح جفنا الضائعه
وتخبو امانينا وامتداداتها التاسعه
ويطوي الذبول
سنابلنا ، رب عفوك ماذا تقول ؟
وفي عتياتك كيف ترى سيكون القبول
فانت منحت الجناح الطليق ، ونحن اخترعنا القيود
وهبت لنا القدس أنت ونحن ، دفعنا بها لليهود
دفعنا بها يا الهي ، دفعنا بها لليهود

تارك الملائكة

اذا ما عويل رياح المنايا غدا مر يبحو صدى عمرنا
وهصرنا الموت مائدة الدود ،
واستبنت الموسج المتشعبين شفتينا ومن شعرنا
وسافر طوفاته في شواطئنا الخضى
غلغل مسراه في جزرنا
اذا نحن متنا وحاسبنا الله ، قال : ألم اعطكم موطنا
اما كنت رقرقت فيه المياه مرايا ؟
وحليت بالكراكيب ، زينته بالصبايا ؟
وعرشت فيه العناقيد ، نوعت فيه الثمر ؟
اما كنت لونت حتى الحجر ؟
اما كنت انتهضت فيه الذرى والجبال ؟
فرشت الظلال
وغلفت وديانه بالشجر ؟
اما كنت فجرت فيه الينابيع ، كلته سوسنا ؟
سكنت التائق والاخضرار على المنحنى ؟
جعلت الثرى عابقا لينسا ؟
وضوات بالانجم المنحدر
وفي ظلمات لياليكمو اما قد زرعت القمر ؟
فماذا صنعتم به ؟ بالروابي ؟ بذاك الجنى ؟
بما فيسه من سكر وسنا ؟

★ ★ ★

سيسالنا الله يوما فماذا نقول ؟
نعم ، قد منحنا الذرى والسواقي ومجد التلول
وهذب التجوم وشعر الحقول
ولكننا لم نصنها
ولم نضع الريح والموت عنها
فباتت كزنبقة في هدير السيول
نعم ! ودفعنا باقمارها للاذلول
وقامر جهاننا بالضحى ،

بالربى

بالسهول

ليس حسناً يا مجلة السجامة

بسم
عبد الله يوسف الغنيم

ص ١٠٥ و ١١٦) .
ومن تلك الأخطاء أيضاً « : و فيق
الكاتب في وضع المصطلح الاجنبي
الصحيح امام بعض العناوين الرئيسية
في المقال ، وكذلك في ترجمته لكثير من
الاعلام الجغرافية ، ومثال ذلك قوله :
« بحر » تش « وصحتها » تشس «
(ص ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٢٤) ،
وصحارى « الحبار » وصحتها
« الحاد » (ص ١٢٤) ، وتكوينات
« ام الردومة » وصحتها « ام رضة »
(١٢٣) .
اما الأخطاء اللغوية فهي كثيرة
أيضاً ، منها — على سبيل المثال —
قوله في الصفحة الاولى (ص ١٠٥) :
« ثلاث عوامل » وصحتها « ثلاثة
عوامل » ، وقوله في الصفحة
الاخيرة (١٢٥) : « بعض
الجيولوجيون » وصحتها « بعض
(٤) عدم تطبيق الهوامش مع ما
جاء في النص ، قال في هامش رقم
(١١) مفسراً كلمة « الفئوت » :
(بالتفصيل في ص) فلم يذكر رقم
الصفحة ، ولم تر هذه الكلمة اصلاً
في أي مكان من المقال !!
(٥) الجدول الذي زعم الكاتب أنه
من وضعه ، وأنه « أول جدول يوضع
عن جيولوجية أرض عربية » استقى
مادته من محاضرة القاها الاستاذ
الدكتور زغلول راغب النجار في
الموسم الثقافي لجامعة الكويت
(١٩٦٧/٦٨) ، ومن مفتاح الخريطة
الجيولوجية للمملكة العربية
السعودية .
(٦) شك الباحث من قلة الدراسات
الجيولوجية عن شبه الجزيرة العربية ،
فقال : « وان وجدت فيها بعد
الثلاثينات السابقة ، فقد انصب
جميعها على هدف واحد هو البحث
الجنوبي (تأمل التعبير العلمي !) عن

فيلتزم بذلك بنطاق جيولوجي واضح
درج عليه كل من درس هذه المنطقة
من الجيولوجيين .
(٢) لم يتمكن الكاتب من بسيط
موضوعه على النحو المطلوب ، مع
ركاكة في الاسلوب وجهل بما يكتب ..
ومن ذلك قوله عند تفسيره للعوامل
التكتونية (ص ١٠٦) « أي العوامل
القادمة من طبقتي السيل والسيما
الواقعتين اسفل السالسيما » .
والمعروف ان المقصود من كلمة
السالسيما (Sal - Sima) هو قشرة
الأرض ، وتجمع بين كلمتين هما :
السيل « SAL » وتطلق على
الجزء العلوي من قشرة الأرض ،
ويتربط مع معادن السيلكا والالونيم .
أما السيمما « SIMA » فتطلق على
الجزء الاسفل من القشرة ، ويتربط
مع معادن السيلكا والمغنسيوم .
فكيف تستقيم عبارة الكاتب ،
« المضخة » !!
(٣) اخطأ الكاتب في كتابة معظم
المصطلحات الاجنبية التي استخدمها
في مقاله ، وهناك امثلة اربعة في
صفحة واحدة (ص ١٠٩) . واحياناً
يكون الخطأ مزدوجاً في اللغتين
العربية والاجنبى ، ومثال ذلك أنه
كتب كلمة الهولوسين HOLOCENE
والمقصود بها الزمن الحديث ، على
النحو التالي الهولوسين HELOCENE
وتكرر ذلك في اكثر من صفحة (انظر

نشر في العدد الاخير من مجلة
« دراسات الخليج والجزيرة
العربية » (العدد الاول من السنة
الثانية) مقال بعنوان : « التطور
الجيولوجي لاراضي وسط وشرق شبه
الجزيرة العربية » للدكتور / احمد
رمضان شقيلة . وهو مقال ساقط
من الناحيتين الفنية والعلمية ، ولا
ادري كيف سمح السيد المحرر بنشره
في الوقت الذي اعاد فيه مقالات
لأساتذة اجلاء لهم مكانتهم العلمية ..
وفيما يلي بعض الامثلة الدالة على
ما ذهبت اليه :

(١) كنا نتوقع ان يبدأ الكاتب
مقاله بتحديد منطقة الدراسة ،
والاساس الذي قام عليه ذلك
التحديد ، غير أنه لم يزد على تسمية
منطقته بـ « المناطق الشرقية من
الوطن العربي » ، والمعروف ان ذلك
المفهوم ينسحب ايضاً على كل من
العراق وسوريا ، ثم احوال الكاتب
الغاريء الى شكل رقم (١) ، وهو
عبارة عن خريطة تنفق الى كثير من
الدقة ، فقد اختار الكاتب خطاً
عشوائياً نصف به خريطة شبه
الجزيرة العربية ، وجعل منطقة بحثه
ما كان شرقي ذلك الخط ، دون اي
اعتبار جيولوجي أو جغرافي ، وكان
في امكانه ان يجعل موضوع بحثه
— مثلاً — « النطاق الرسوبي في
وسط وشرق شبه الجزيرة العربية » ،

(١) المقصود من كلمة « بحث » هو المقابل العربي لكلمة « Paper » الانجليزية . وقد كان على صاحب المقال ان يشير عند كتابته للمرجع الى ذلك ، وان يذكر جهة النشر .. وانظر الكتابة الصحيحة لاحد هذين المرجعين في مكان اخر من هذه الكلمة .

مصادر النفط والغاز الطبيعي من قبل
شركات النفط التي اهتمت بابحاثها
الفوائد الاخرى المرجوة من الدراسات
الجيولوجية .

.. وتشكو «الباحث» لها اساس
وهو جهله بالمصادر الجيولوجية ،
فلم تضمن قائمة مراجعه الاجنبية عن
جيولوجية شبه الجزيرة العربية
سوى بحثين اثنين (رقم ٥ ، ٨) ،
وفي غالب الامر انه لم يطلع عليهما
بدليل انه لم يكتبهما على النحو
الصحيح في كتابة المراجع ، فاهم
القارئ انهما كتابان بيننا هما بحثان
(١) من سلسلة ابحاث جيولوجية
قيمة اشرفت عليهما مصلحة المساحة
الجيولوجية الامريكية ، وتشتمل تلك
السلسلة ايضا على ابحاث عن جنوب
العراق والكويت واليمن وعُدن .
ولو كلف الكاتب نفسه غناء البحث
لوجد اكثر من خمسين بحثا عن
جيولوجية المنطقة عدا الابحاث التي
تقوم بنشرها والاتفاق عليها وزارة
البتترول والثروة المعدنية بالملكة
العربية السعودية ، والتي تدخل
ضمن « الفوائد الاخرى المرجوة من
الدراسات الجيولوجية » ، وعدا
الرسائل التي اجيزت من جامعة
الكويت ومعظمها يتعلق بمناطق شرق
الجزيرة .

وليس معنى كلامي ان تكتفي بها
اتجز في هذا المجال ، اذ ان سبيل
البحث لا ينتهي ، ولكن القصد هو
نفي مظنة الفلة التي قد تعطي العذر
للكاتب حتى يكتب لنا بحثا في مثل هذه
الفصالة .

وبعد ،

فان ما ذكرت هو بعض التآخذ
وليس كلها ، وان المسؤولية في ظني
تقع على المحرر الذي قرأ - بسلا
ريب - هذا المقال وسحب بنشره ..

فني هابش صفحة ١١٤ من المقال
يقول المحرر : « عدم ورود عصر الـ
« Paleocena » في هذه الفترة لا يؤثر
على موضوعية البحث من حيث منطقة
اختصاصه التي لم يترك فيها هذا
المصر احدانا جيولوجية بارزة
(المحرر) .

ولا ادري اين درس السيد المحرر
جيولوجية شبه الجزيرة العربية حتى
يعطي لنفسه الحق في اصدار مثل هذا
الحكم ، وابن هي الامة العلمية التي
تقتضي التوقف والتثبت قبل ان يقول
رابا في موضوع ليس من اختصاصه ،
وليس هناك من داع ليلظهر السيد
المحرر عليه في هذا الموضع بالذات ،
الا ان يكون قصده ان يذكرنا ببرائش
وما جنته على نفسها في سالف
الدهر !!

فقد جهل الكاتب عصرا اسمه
الباليوسين فلم يذكره عند مروره
للتاريخ الجيولوجي هنا ، ولم يذكره
ايضا في الجدول الذي زعم انه من
وضعه (ص ١٢٣) . و اراد السيد
المحرر ان يجازي على هذا الجهل ،
والجأزة على الجهل لا تكون الا جهلا ،
كما قال بعضهم في شرح بيت عسرو
ابن هند :

الا لا يجهلن احد علينا

فنجعل فوق جهل الجاهلينا(٢)
لقد التمس المحرر للكاتب عذرا كان
اشنع من الخطأ الذي وقع فيه
الكاتب ، فقد اخطأ ابتداء في كتابة
اللفظ الاجنبي لكلمة الباليوسين ، ثم
زعم ان ذلك العصر لم يترك احدانا
جيولوجية بارزة .

.. يقول الاستاذ الدكتور زغلول
راغب النجار - وهو من المتخصصين
في هذا العلم - في المحاضرة التي
اشرنا اليها قبل قليل عن الاحداث
التي مر بها ذلك العصر الجيولوجي :

« مع فجر حقبة الحياة الحديثة (أي
منذ ٦٥ مليون سنة مضت) بدأ البحر
في طفيان هائل يغطي معظم ارض
شبه الجزيرة مرسبا صخورا جيرية
بحرية مارل عميق السحنة وتمتد
الصخور الجيرية الى اقصى امتداد
ظهور ذلك العصر غربا مما يشير الى
ان شواطئه قد امتدت الى ابعد من
حدود ظهر صخوره الحالية » .

« وقد غطى بحر تلك الفترة (فجر
العصر الثلاثي او عهد الباليوسين)
معظم الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة
فيما عدا جبال عيান ومنطقة الحفد
التي يبدو انها لم تكن مغطاة بمياه ذلك
البحر تبعا ، بتدفعنا الى الشمال
والشرق ليمتد الى جنوب غربي ايران
وجنوبي العراق والاردن » .
(ص ٣٥٦) .

ويمكن للمحرر ايضا ان يطلع على
احد المراجع التي زعم الكاتب انه
رجع اليها وهو :

Powers, R. W, and others (1966),
"Geology of the Arabian Peninsula
Sedimentary geology of Saudi
Arabia . USGS. Prof. paper 560
D. P. 84 .

واذا شاء السيد المحرر ان نزيده
معرفة بذلك العصر زدناه ، فقد
اقتصرننا هنا على المراجع التي جاء
ذكرها في المقال حتى نبين له ان
الكاتب ايا انه لم يقرأ المراجع
المذكورة ، او انه لم يحسن قراءتها !
والمحرر مسئول ايضا عن الملخص
الاجنبي للبقال الذي تضمن بجانب
الاطعاء الواردة في نص الكتاب
اخطاء اخرى كثيرة من امثلتها :

١ - اخطاء في ترجمة المصطلحات ،
فمن ذلك ان المصطلح المقابل لكلمة



(٢) الذي ذهب اليه اكثرهم في معنى الجهل في هذا البيت هو « التندي » ، وحالة صاحبا هنا تعبير صورة من صور التندي على العلم .



النقري يتذكر



الشاعر
فيصل
السعد

ARCHIVE
://Archivebeta.Sakhril.com

①

— موقف الانا —

وقال أنا الرب لا تستطيع التقاط الحروف
من البحر إلا بامري
ولا تستطيع التحري
عن السر ، فالسر فوق الرفوف
وفي الدم ، بين الخطي والنياب
وبين عيوني ووجه اقتراب
فلا تبحث الآن عني
لان ليالي العنور تطول
وتطعمك السوط والتفي خلف الحدود
ولكن هذي السياط التي فوق ظهر العباد تزول

التواءات وهو « Folds » قد ترجم
في الملخص بكلمة « Curves » وتعني
« منحنيات » ، ويكثر استخدام
المصطلح الاخير في فن التفصيل !
٢ — جاء في الملخص ان العمليات
الخارجية المؤثرة في سطح الارض هي
التحت والارساب والنقل ، في حين ان
الترتيب المنطقي الصحيح هو التحت
والنقل والارساب (ص ٢٦٢) .

٣ — جاء في الملخص الاجنبي ان
الزمن الاركي « Archean » ينقسم
الى ستة عصور هي الكامبري
والاوردوفيثي والسيلوري والديفوني
والكاربوني والبارمي .. والصواب
ان الزمن الباليوزي « Paleozoic »
هو الذي ينقسم الى تلك العصور وهو
تال للزمن الاركي .

والحرر مسئول ايضا عن اخطاء
الطباعة الكثيرة الواردة في نص المقال
وفي الملخص الاجنبي وفي الفهرس
ايضا ، ووصلت عدوى الاخطاء
الطبعية الى اسم الكاتب نفسه ، فقد
جاء اسمه في الفهرس الاجنبي
(ص ٢٧٢) Shaquayah وورد في
الملخص الاجنبي (ص ٢٦٢)

« Shaqliyah » وتكتفي بهذا المثال اذ
لا يتسع المجال لذكر بقية الاخطاء .
وختاماً يحسن ان نقف عند كلمة
السيد رئيس التحرير في افتتاحية
المعد حيث يقول : « تهل السنة
الثانية من مسيرة مجلتنا هذه وقد
تحقق بعض من هدفها وهو
« الاستمرار » . وجعل كلمة الاستمرار
مخسرة ومحاطة بالاقواس
لاضغاء الاهمية عليها ..
ونقول لا لذلك « الاستمرار » الذي
يحققه الاستخفاف بمقول القراء
والبيت بأبوال المجلة التي هي اموال
الدولة .

ومهلاً .. فان اغلظ المواطنين
الحصا على الصفا ، ومن لم يصبر
نفسه ابتذله غيره ، ومن لم يصبر
على كلمة سمع كلمات .

عبدالله يوسف الفينم

هم الموصل الان للضوء ،

هيا تمال

اعني على نهضة قد تجيد اجتياح السموت

تمال اعني غاي اموت

ومن مات لا يستطيع التقاط الحروف المضيئه

ومن خلقته القطارات مات

وذاك القطار الذي يوصل الفكر للضوء مات

وخلفني ، من يعين الذي خلفته المسيره ؟

ابعد بقية ضوء الحروف الكسره

لذاك الذي يشتري

خيولي وهذا الظما

بقطرة ماء ستسني صحابي الخطا

ولا تبقى الا حدودي

وتصبح انت النبي الذي ضم خطواته للشهود

واصبح سر الوجود

لاني ساتهي زمان المسياط

واصرخ :

— انا المطر الهاطل

انا القتال

انا المتخذ القادر

على كسر كل القيود

٢ موقف الغرور :

خلقت حزينا لتبحث عني وارويك من ماء فكري

كؤوسا تخليك تدرك اني ، ساحل كل المسافات ، فكر

الغزة الكسح الذي اجتاح لون التراب المعرى ،

سمنسناه ان البحار التي في حروفي لها موجة الصبر ان

اصطباري طويل وموتي بعيد ولوني هو العالم المنتظر .

فلا تخنق الامنيات التي حشرجتها السنون الطوال

فكل الدروب تؤدي الى نوري المستقر الظلام الذي صا

استطاع الحصول على النور ، ان ابتعاد العباد عن النور

يعني الارق . فكن قطرتي المشتتة التي تعرف الدرب

نحو الفرق .

٣ موقف التبرير

وقال بان الذي لا يقع في الخطا

سيجهل سر الدروب

وقال :

— اكون صريحا مع الذات في السلم او في الحروب

وقال : ساكبو

واكبو

واكبو

فلا تهر العين ان الظما

سيضطرنا لارتياح الخيول العليله

لان الذين يجيدون لحم الخيول

٤ النتيجة :

ابقظني المخطيء ، كدت اجن لان الفكر نثار

اسقطه الزيف ، تساقط تحت الاقدام

فكرا يخلجه الحاضر . يففو

في الحلم تتباطر

ونسي ان الاغنام

ماتت كي تبعث روحا تدرك ان المخطيء نام

والعالم لا يحتل الاوهام

من قال بان الضوء سيأتي من اقبية العتمة ؟

من قال بان حليب امرأة عاهرة ،

يأتي من حلماتها مثل حليب امرأة ابدها الضوء ،

عن العار ؟

من اخر تلك القمه

ياتيني صوت ينبني

ان المتخذ في داري

ايه يا احزان العمر المسروق

اخبرك الان بان المهم نكائر

وساعرض كل بضاعتي الخجلي في السوق

واريد وصولا لقطار الفكر الموصل للضوء

خلفني الضوء

فات قطار الضوء وخلفني

لا تضعوا قيوداً على اكتشافات المستقبل

سوار مع المخرج السينمائي مايكل انجلو انطونيو

ترجمة
مشوقت
فهيم

مقدمة :

المخرج الإيطالي مايكل انجلو انطونيو من المخرجين القلائل الذين ساهموا في تطوير السينما العالمية مساهمة تصل الى حد تغيير بناء الفيلم واحداث ثورة في طريقة تناول الموضوع السينمائي ، لدرجة انه يستحيل فهم السينما المعاصرة بدون فهم فكر انطونيو وعمله .

بدأ انطونيو حياته ككاتب سينمائي في مجلة « سينما » وكان قد أسسها موسيليني ، ابن الدوتشي ، ورغم طابعها الفاشستي الا انه استطاع أن يوجه صفحاتها الى الاهتمام بنوع من السينما يقوم على خروج الكاميرا من الاستوديو ونزولها الى حياة الناس الحقيقية وتصويرهم في أماكن عملهم وفي بيئتهم الطبيعية . كان ذلك عام ١٩٣٦ ، ثم بعد ذلك بأربعة اعوام اتجه انطونيو الى الاخراج ، وكان اول افلامه ، وهو فيلم تمبر بعنوان « الناس على نهر البو » (١٩٤٣)

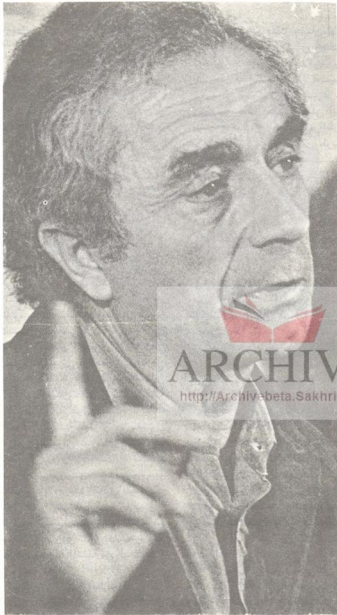
تطبيقاً لأرائه ، ولأن الفيلم يمزج الموضوع الروائي بالدراسة التسجيلية للبيئة ، فقد اعتبره النقاد نوعاً جديداً من السينما الواقعية ، ومن هنا أطلقوا على اتجاهه : « الواقعية الجديدة » .

على هذا فانطونيو هو الرائد الحقيقي لتيار السينما الإيطالية الذي ظهر في أواخر الحرب العالمية الثانية، بادئا بفيلم روسيليني ، ودي سيكا، وفيسكونتي ، ليصبح نموذجا يرجع اليه دعاة التجديد في أوروبا كلها منذ أواخر الخمسينات ، كمخرجي الموجة الجديدة في فرنسا كمخرجي تيار السينما الحرة في إنجلترا .

الا ان الغريب حقا هو ان نفس السينمائي الذي دعا الى الواقعية الجديدة هو الذي يدعو الى الخروج من الواقعية والاتجاه الى نوع من السينما يعتمد على تتبع ايقاع الحياة الانسانية في الواقع اليومي ، لا ليستخرج دلالاته الاجتماعية، بل ليصل

الى عملية ادراك شامل لمعنى الحياة . فكلنا نعيش في سجن هو سجن الزمن ، والذين هم مجموع سلوكنا اليومي ، احتكاكنا بالآخرين وتأملنا لما حولنا وعزلنا وضياعنا احيانا وخروجنا من العزلة لكي ننسى انفسنا غشي ضجيج الحياة الحلوة ، حياة الليل .

ومنذ عام ١٩٥٨ ، اي بعد اربعة افلام طويلة هي : « يوميات حب » (١٩٥١) و « النساء فيمبا بينهن » (١٩٥٣) و « الفسادة بلا كامبليا » (١٩٥٤) ، يقدم لنا انطونيو فيلما بلا حكاية ، بلا موضوع اذا كان المقصود بالوضع هو تاريخ حياة مجموعة من البشر ننتبعهم من خلال أعمال واحداث وتسلسل في زمن مطرد . كان ذلك هو فيلم « المغامرة » وهو محاولة لتتبع ايقاعات حياة ثلاث شخصيات تعيش في أزمة عاطفية ، وطوال الفيلم لا نرى سوى الطريقة التي يعيش بها الناس أزمتهم ، نرى



فتاة تتعلق بمهندس شاب لكنها لا تنق فيه ، لانه من النوع الذي يهرب من السأم الى عديد من المغامرات النسائية ، فهو دون جوان اقرب الى دون جوان كما صوره الكاتب الفرنسي والفيلسوف البر كايو . انه دون جوان وجودي . والفنائة تختفي اثناء رحلة في يخت يملكه احد ايرستقراطيين ، وعيشا يبحث عنها حبيبها المهندس ، وعيشا تحاول العنور عليها اقرب صديقاتها اليها ، الا أن عملية البحث عن المختفية تؤدي الى ميلاد حب بين خطيب الراحلة وبين صديقتها ، كأنها الحياة تبعث حبا جديدا من اطلال حب يموت .

ويسير انطونيوني في هذا الاتجاه حتى يصل الى قمته عام ١٩٦٠، وذلك بفيلم « الصحراء الحمراء » ، وفيه يصل الى ربط الاسباب بالنتائج : قالسام هنا لا يصبح ميافيزيقيا ، بل يرتبط بأساسه المادي : انه التكوين الاجتماعي للمجتمع الاوروبي في الستينات ، يتمثل في استهلاك عقول الأفراد ، مهما كانوا مبدعين ، وفي استهلاك طاقاتهم مهما كانوا اقوياء، وذلك كي تنمو وتتطور شركات البترول العملاقة . فنحن نرى زوجة احد مهندسي شركات البترول تبحث عن زوجها وتريد ان تستعبده لنفسها ، فهي تعاني من الغربة مع زوجها على الرغم مما يديه من اهتمام مصطنع بها بل انه لا يشعر بأزمته الشديدة عندما نخونه مع مهندس يعمل معه في نفس المصنع بعد محاولات مستتيرة بذلتها بلا جدوى لكي تجعله يحس بمدى حبها له ، وهي تكابد الغربة أمام المصنع الضخم الذي يعمل فيه زوجها ، وحيال الضوضاء الشديدة التي تحدثها آلاته والدخان الاسفر السام الذي تتخلص منه مداخن هذا المصنع . وتفشل الزوجة في استعادة

زوجها لان الفساد قد تغلغل الى قاع النفس ، لان تخريب التكوين الذهني للبهنسس هو وآلات المتقين مثله ، قد تم نهائيا ، ولا تجد الزوجة نفسها الا وهي تواجه الفراغ فتنصب بانتهار عصبية .

وكما يحلل انطونيوني أزمة المجتمع الاستهلاكي من خلال أزمة البترول في ايطاليا ، يحلل في فيلمه التالي « تكبير الصورة » BLOWUP (او انفجار كما سمي اثناء عرضه بالقاهرة) أزمة تفسيخ الحضارة الاوروبية باختياره نموذجاً محددا هو المجتمع الانجليزي الذي تحول الناس فيه الى اجسام تمارس اي عمل . وحين يحاول البطل ، وهو مصور فوتوغرافي ، البحث عن الحقيقة او عن سر امرته ، ينتهي الى لا شيء . وضد خطر اللاشيء ، وضد خطر انهيار الحضارة يواصل انطونيوني ، فيلما بعد فيلم ، رسالته كسينمائي معاصر .

وفي السهور الأخيرة زار مايكل انجلو انطونيوني بولنדה ليشارك في برنامج نظمه « المعهد الثقافي الايطالي » وكان حضوره مناسبة لعقد مناقشات حول اعماله . كانت الندوة الرئيسية بعنوان « مايكل انجلو انطونيوني - مثل السينما الجديدة » ، والتي نظمها « نادي ندوة الفيلم البولندي » في معهد وارسو للتكنولوجيا . وقدم النادي العرض الاول لآخر افلام انطونيوني وهو : « المنة » . وقابل انطونيوني اعضاء النادي في ندوة خاصة ، وقد أجرى معه هذه المائدة مندوب مجلة « بولنדה » :

سؤال : القبة المطلقة التي تميز افلامك (وهذا معروف من سجل اعمالك) هي استغلال الفكر ، والخيال وتطور القيم الاجبالية الاصلية . كيف يستطيع الفنان ان يحافظ على استقلاله في عالم مليء بالضغوط من كل الجهات ، وخاصة في السينما حيث لا يتاح للفنان ان يعمل

في هدوء كما هو الحال في الكتابة والدراسة ؟

انطونيوني : هناك جانبان لهذا السؤال : جانب اخلاقي وجانب سياسي . الاستقلال الاخلاقي : يمكن للفنان ان يحافظ عليه من خلال حوار مع نفسه ، مع ضميره .

اما من حيث المعنى العملي فيمكن للفنان ان يتجنب الضغوط ، والظروف الخارجية وما الى ذلك عن طريق واحد هو الوصول الى الاستقلال الاقتصادي . وواضح ان هذا الموقف خاص بالمجتمع الغربي الذي اعيش فيه .

سؤال : نعرف انك كنت حريصا على ان يكون لديك خلفية ادبية واسعة تقرأ كتب معينة وشاهد لسير ادبية وكناقد ادبي ، وتضع كل هذا في خدمة افلامك . هل يمكن ان تقول لنا شيئا عن هذه الخبرة ؟ ثود ان نعرف ما اذا كانت هذه الامور القديمة « تمنى الان شيئا بالنسبة لك ام انها مجرد فكريات ؟ هل تغيرت نظرتك الى الادب بوجه عام ، واذ كان ذلك صحيحا ، فكيف ؟

انطونيوني : ان نظرتي للادب كما عبرت عنها في سؤالك بقيت دون تغيير منذ كنت طالبا بالجامعة ، بمعنى اني قرأت كثيرا اثناء الدراسة وقرأت كثيرا الان ، لاني احب القراءة ولاني اجد القراءة ضرورية . ان الكتاب حقيقة بالفعل والقراءة توحى لي بأفكار للاملام . ولكن الادب وحده لا يكفي ، بمعننى ان الاشخاص والاحداث التي يقدمها لي الادب قد مرت من خلال مرشح ، اعني من خلال رؤية وحساسية شخص اخر ، وعلي ان اضع ذلك في الاعتبار اذا اردت ان احتفظ بأصالي .

سؤال : هل تعتقد ان بإمكان الفيلم الواحد ان يجمع بين « العنصر البلازكي » (نسبة الى بلزاك) والعنصر البروستي (نسبة الى بروس) بمعنى هل يمكن للفيلم ان

يجمع بين المشاكل النفسية ، والاخلاقية والاجتماعية ؟

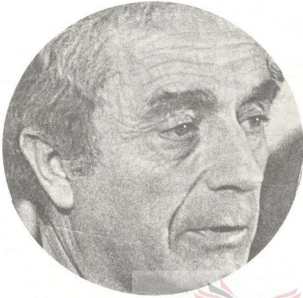
انطونيوني : اعتقد ان اي موضوع اجتماعي لا يستطيع ان يفلت من التحليل النفسي . وحسب علمي ، فالجميع مكون من افراد . وانما اقول دائما ان المجتمع هو بطل روايات بروس .

سؤال : هل ما زالت تجربة الواقعة الايطالية الجديدة تجربة حيوية بالنسبة لك ؟

انطونيوني : كانت تجربة تاريخية حيوية في وقتها . عندما كنت في البداية عام ١٩٤٣ كانت الفاشية ما تزال رازحة فوق ايطاليا . كان فيسكوني ، ابو الواقعة الايطالية الجديدة ، يصور فيلما على سفاف نهر البو وكنت انا اصور فيلما تسجيليا اسمه « رجال البو » على مبعدة كيلومترات . لقد امدتني تجربة الواقعة الجديدة بقدر كبير من الاشباع ، اعني : اكتشافي الخاص للواقعة الجديدة . وقرب نهاية الحرب ، بدأت اتحرك في اتجاه مختلف . كنت اقل اهتماما بالعلاقة بين الافراد والمجتمع ، واكثر اهتماما بتحليل ما تركته الحرب من اثار على عقول الايطاليين ، او ما سمياه النقاد « بالواقعة الداخلية الجديدة » . ان الواقع - كوضوح - اقل احتراما اليوم عما كان عليه في تلك الايام . وقد انتهت الواقعة الجديدة كحاجة اخلاقية وجمايلة .

سؤال : تدل اقوالك الواسعة الانتشار على اعتقادك في ان الحضارة المعاصرة سوف تنتهي الى أزمة . ولكن فيلم « الصحراء الحمراء » (وأفلامك الأخرى أيضا) تتوعدنا الى الاعتقاد بعكس ذلك (بانك لست هذا المتشائم) . ذلك انك تهرب بالعودة الشاعرية الى الماضي ، هل هذا هو المخرج ، وكيف يمكن لنا ان ننظر الى المستقبل ؟

انطونيوني : ان فيلم « الصحراء الحمراء » ليس متشائلا . انه ينتهي



بهذا الحوار :
الولد : بابا ، لماذا الدخان أزرق ؟
الأم : لأنه يحتوي على السوم .
الولد : إذن فالطيور التي تطير
هنا سوف تهوت حتما .
الأم : لا . الطيور تعرف ذلك ولا
تطير هنا بالمرّة .

ان هذا الحوار لا يوحي بالعودة
الى الشاعرية . أرجوك لا تضفي
على لقب ايدولوجي أو مبشر . رغم
خطر الاضطرابات وربما حجابات
الدم ، فربما نرى في الثلاثين سنة
القادمة خطوة كبيرة الى الامام لصالح
الانسانية كلها . هذا ما اعتقده ، يمكن
بالطبع ان اكون مخطئا .

سؤال : كل ثلاث سنو تثير الكلام
حول أزمة السينما العالمية ، ومع ذلك
تؤكد السينما حيويتها مرة أخرى .
كيف تصف انت الموقف الحالي
للسينما ، امكانياتها ومهامها ؟

أنطونيوني : مواضيع كثيرة ممنوعة
بالنسبة للسينما اليوم . وبسبب
قيودها الفنية تحاول السينما
المعاصرة بالكاد ان تقترب من تفسير
بعض الإبعاد الميتافيزيقية وبعض
الانطباعات . فالحلم اذن ليس استخدام
احسن الأدوات لتقديم صورة أجمل ،
وانما تقديم المحتوى بشكل اعق ،
ومعالجة التناقضات والتفكير ،
والمناخ الجديد . وبهذا المعنى فإن
العمل السينمائي الذي يقدم على
الشريط المغنط يمكن ان يعطي نتائج
باهرة كما هو الحال عند استخدام
اسمعة ليزر .

انا لا اضع قيودا على اكتشافات
المستقبل . أومن ان كل ما يقدمه
الخيال العلمي قد يصبح مثل لعب
الاطفال بالنسبة للاكتشافات التي
ستتم . ان الوضع الحالي للمعرفة
العلمية يضع قيودا حتى على الخيال
العلمي . رحلات الفضاء الخارجي
هي فقط التي احسنا صنعها بها ، وهي
علي اي حال ، تتخذ عالمنا كإطار
مرجعي . ولكن من يستطيع ان يتنبأ
بما يجتبه المستقبل لنا ؟ اننا نثير اسئلة

وباريس ولوس انجيلوس وروما .
ويدهوني بـ « مايكل أنجلو » وادعوه
بـ « رومان » . ولديه حيوية
وطاقة خرافية ، وهو شخصية فنية
غير عادية .
ترجمة : شوقي فهم — القاهرة —



المراجع :

- مراجع المقدمة :
- ١ — دراسة للناقد السينمائي
صبحي شفيق .
- ٢ — سينما ٧٢ . النشرة الشهرية
للتقانة الجماهيرية — العدد الثاني
(تحليل لانلام انطونيوني)
— المقابلة :
منشورة بالانجليزية في مجلة بولندية
عدد اغسطس ١٩٧٥ .

عينية ليس لها اجوبة . ولكن : الا
يكون الوعي بلا مقولية السؤال
أمرأ جوهريا في حد ذاته . لئله قليلا
بفكرة اننا نستطيع ان نخلق في ظروف
معملية الموقف الذي تخيله « بوي » في
روايته « جزيرة مهجورة » التي
تسكنها فقط صور اشخاص غيـر
موجودين ، بكل ما يثره هذا الموقف
من غموض وسحر والاتلاق . ولكن
مفهوم السحر والغموض والاتلاق قد
يتغير ايضا .

سؤال : سؤال آخر ، هل تقول
لنا شيئا عن رؤيتك لبولندية ، للثقافة
البولندية والسينما البولندية ؟
أنطونيوني : هذا أول اتصال لي مع
بولندية . ولم يكن لدي من قبل اي فكرة
رغم اتصالي بفنانين بولنديين . هناك
الكثير مما يقال . ولكني لا احب الكلام
عن كل خبراتي الشخصية . لقد رايت
افلام فايدا ورومان بولانسكي . وكنت
قد قابلت بولانسكي في نيويورك

انسان هذا العصر في تقلباته

سيظلون ورثة للمستغلين الذين
اطاحت بهم ثورتهم .

لقد أصبح الرعب الشدي ،
والتلوث ، والتناقص في الموارد
الحيوية ، والغرور — المؤقت على
كل حال في ميدان انتصارات الانسان
في غزو القمر — وكذلك : التزام ،
والمركز في المدن ... من الأمور
الفرجة بشكل يتعذر معه اقصاء
التخوف من كون التقدم الصناعي انما
يقود الانسانية الى الهلاك !!

وهنا يقدم لنا علم السلالات
الحيوانية أمثلة للسلوك الانتحاري
الذي يمكن ان ينتهجه فجأة جنس حي
يحكم على نفسه بالموت .

اذن ، فعلى كل سياسة ان تثير
وجودها وان تراقب ذاتها بذاتها ،
براجعة مستمرة للقيم التي تنميتها .
لقد جعلنا تسير الانسان اسهل
فأسهل ، واصر فأصر فوق اديم
هذا الكوكب . بيد ان هذا التسير
بالذات كان هو جوهر البسداوة التي
طالما نظرت اليها شعوب الحضارات
المقدمة منذ القرن الخامس عشر
نظرتها الى شر المساوي .

وبينما ينسب ابن خلدون للبديوي
المنفعل تفوقا متميزا في العقل ، نجد
مفكري الغرب في العصر الكلاسيكي
ينسبون مثل هذا التفوق للحضري في
المدن . وارتبطت الانسان بالارض
— او بالارتباط الذي اعتبرته أوروبا في
العصور الوسطى نصرا للنظام
والتنظيم — يعتبر على العكس نوعا
من العبودية . وفلسفة كهذه تستشير
على اية حال في التحكم بنمط تفكيرنا ،
ولكن ... الى متى ؟

ان الفكرة التي تستحسن الولادة
والعيش والموت في نفس المنزل وفي
نفس البقعة من الارض ، فهي فكرة
رعوية ومستنكرة عند القبيسين على
نواحي السياحة وشركات الطيران
ووكالات السفر ، ولدى مستبشري

البشرية ام لا . ونحن نعلم بأن
(قابيل) مثلا ، كان قد فضل حرارة
الارض . وهذا يوضح لم احترف
احفاده الحداثة ، بينما لم تكن سلالة
(هابيل) — الذي كان قد انصرف
الى تربية الدواجن — بحاجة الى
الادوات المعدنية .

وهذه الوقائع ، غالبا ما يجري
تجاهلها . كما يود كل فرد من
مجموعة ان يجعل مطلقا : اما نموذج
المجموعة او المجتمع الذي هو جزء
منه ، واما ذلك الذي يصبو الى
احلاله محل النموذج القائم بالفعل .

لقد كنت اتساءل ، منذ مطلع
سبتمبر ، عما اذا كان النظام الثقافي
خيرا هو ام شرا . لكن ، لم يطرح
تساؤلا كهذا : لا حول قرن .. ولا
كارل ماركس . ومن هنا ، كانت
« مدائح » ماركس المذهلة للراسمالية
.. وكانت الحماصة الغربية لدى جول
فرن لالات التي يحلم بها متجنبا دائما
تفحصها عن كتب .

اما اليوم ، فيبدو لي ، وفي اجلى
صورة ، ان (الراسمالية) و
(الاشتراكية) انما هما وجهان لعملة
واحدة هي : الثورة الصناعية .
واذ يدين ماركس النظام الذي
تناوله بالنقد ، لا يشجبه كليا ، بل
يقدر له منجزاته .. اخذا عليه فقط
ما يشل حركته من تناقضات تكاد
ان تدمره . الا ان العمال المتعاونين

كتب الفكر الفرنسي المعروف :
ايمانويل برل ، في مجلة (احداث ادبية
» نوفمبر لبتيرير « (١) ، يقول :

اذكر ان الفيلسوف (برغسون)
كان قد لاحظ اننا — في مسيرتنا طوال
٢٥ قرنا في المسالك التي اخطئها
انماطون — لم نحقق سوى القليل
من التقدم .. رغم الكثير من الجهود
المبذولة خلال تلك العصور جميعا .

ومن جهتي انا ، لا اؤمن بالمجتمع
المثالي ، ولا بالانسان المثالي .. في
وقت يصرح به علماءنا بأن العلوم
الانسانية قبيحة بتحويل الانسان
المثالي هذا الى هباء منثور في مساحة
الكون .. هو والمجتمع الذي يعتبر
هو نواته او صورة له .

والحقيقة ان على كل مجتمع
الالتزام باتباع منهج معين من القيم ،
يعني ان على فئة ما من الناس ان
تختار هذا النمط او ذاك النمط من
العيش . وهذا الاختيار الاساسي
يتحكم في قيام الطبقات والتراكيب
الاجتماعية ، او في غيابها ، لان
الجوهر بالنسبة لها .

ان مجتمعا من صيادي البحر في
جزائر المحيط الهادي ، لا يستطيع
ان يستكمل بنيته بنفس الطريقة
التي يتشكل بها مجتمع لصيادي
البراري فوق هضاب اسيا ، اذ يجب
قبل كل شيء معرفة ما اذا كان
المقصود هو العيش كالرحل ام
كالحضر ، وما اذا كانت الحرائة
وسيلة مقبولة لدى تلك المجموعة

« الكونكورد » . على أن هذا لا يمنع أن يكون أجدادنا قد نظروا إليها ببساطة ويسر ، كما لا يمنع ، بالمقابل ، أن يستعيد الأجداد وأحفاد الأجداد تطبيقها دونما أي تمقيد . وبتنا نرى أصحاب الإجازات وقصد انتهى بهم الأمر إلى استئراء العرائل التي تعترض تجوالهم .. حتى أن هوية البعض منهم باتت تتمثل في سلوك الطرق المسدودة بغية جبع أكبر قدر من الروايات الصالحة للتجبع بها أمام الإصحاب فيما بعد .. إلا أنه ليس أكيدا أن يستمر أهل المدن إلى الإبد في البحث عن « البهجة » بحشر سياراتهم ، الواحدة فوق الأخرى ، في شوارع مدنهم المزدهمة . ويبدو أنه يجب النظر من هذه الزاوية إلى مشكلة البطالة ، وكذلك إلى مشكلة التزامم والتراس في المدن . واذ يذهل الحاكمين ذلك الجمود الذي بات يشل تجسرة السيارات — بسبب خشيتهم في الواقع من تعطل ملايين الرجال الممتدين في تحصيل رزقهم على هذه الصناعة دون غيرها — فلا بد من التساؤل هنا عما إذا كان هذا الجمود لم ينتج — وبكل بساطة — إلا من ذاك التزايد المتصاعد في الإنتاج الذي دأبت هذه الصناعة على اتباعه طوال السنوات الخمسين الأخيرة ؟! .. وهلا يتبنى الذين كانوا قد قدموا حياتهم لتقدم هذه الصناعة لو لم يفعلوا ذلك أبدا ؟! .. تباه كما صرح (اينشتاين) في أواخر حياته حينما سئل عما كان يتبنى القيام به لو قدر له أن يبدأ حياته من جديد ، قائلا :

— « كنت أفضل مهنة تركيب الأدوات الصحية وتسليكها .. على عملي كفيزيائي !! .. » . ثم أن اللجوء إلى تحديد المعطيات التي تقاس ونقاس وقتها معدل

مستويات المعيشة ، للحكم — بالتالي — على أن ارتفاعها مرغوب فيه دائما ، وعلى أن انخفاضها ينطوي دائما على أفدح الضرر .. لمو نهج منهاتن . غني ميدان الإنتاج القومي الصافي ، قد يرضينا — أخصائيا — « تزايد » استهلاك المواد الكحولية والمخدرة ، ومعه « تزايد » اشغال المستوصفات والمستشفيات والمختبرات لمواجهة كل الأضرار الناشئة عن ذلك الاستهلاك . وفي ميدان آخر : كلما تنسع دائرة التدخين بين الناس ، تزدهر بالمقابل زراعة التبغ وصناعته .. وبالتالي ، كل المهن الطبية والجراحية ، لمواجهة أمراض السرطان الرئوي ، وكافة حوادث الطرق .. التي تجد تعبيرا عنها في الخطوط البيانية الجنونية — الارتفاع ...

ومن المستغرب حقا ألا تقابل الأزمات الاقتصادية بأي فحص أو تحميم نزيه — للأسباب التي اطلقنا . والملاحظ أنه يجري كل يوم ترديد هذه المقولة : « لقد انخفض إنتاج سلعة معينة بنسبة عشرين بالمائة » ... مع اغفال القول الأصح بأن هذا الإنتاج انها تصاعد بنسبة ثمانين بالمائة خلال السنوات العشر الأخيرة . هذا مع العلم بأن الإنسان سريع التكيف والتبدل ، ميل بطبعه لكل تغيير . فبينما كانت الهواية الجالية لسعادة الشعب الروماني كله طوال عشرات السنين ، هي التفرج بشديد اللهفة على النساء المتروكات نهبا لأتياب الوجوش المفترسة ، أو على المتصارعين المتقاتلين حتى الموت ... نرى أن احتفالات كبهذه ما لبثت أن اخفت فجأة من حيليات تسلياة الشعوب .

وبينما يتخلل البعض من « ربة » العفة بواسطة المصورات الخلاعية ،

نجدهم يعودون عن هذا الغي ، بالتيسك من جديد بأعذاب التعفف . لقد كان ثائرو حركة مايو ١٩٦٨ الطلابية (في فرنسا) على حق إذن في مطالبتهم للحكم القائم بأن يتحلى بهلكة التخليل . ذلك أن القصور المخيلة لدى القائمين على توجيه المجتمعات الحديثة يعتبر الأصل والصورة ، معا ، للتدهور الاجتماعي الناتج عن التحجر والجمود . وبات من الواجب في البلاد الاشتراكية ، كما في البلاد الرأسمالية وفي المجتمعات المتقدمة حضاريا كما في المجتمعات النامية .. إيجاد ملويات جديدة ، وخلق زعامات تلفت حولها الجماهير ، لتحل محل ما يتوارى من اشباه ذلك . لكن معظم السياسيين لا يخبون الخيال .. بل يرضون انفسهم بالأحرى أن يرددوا ، دونما كل أو مل ، المقولات التقليدية ومفارقاتها ...

لطالما فكرت في شديد الاستغراب الذي سينعكس على وجوه مفكرينا القدامى ، أمام مخترعات عصرنا ، وبدعه واضوائه الباهرة .. لو قدر لهم طبعنا أن يروها اليوم بأعينهم . ولكنني واثق من أنهم — بعد تركهم لدنيانا المصنعة المصطنعة ، ودخولهم لقاعات مجالس نوابنا وشيوخنا — سيجدون أجواء مألوفة لديهم ، وستحتقنون من أنهم قد حلوا أو بعثوا في هؤلاء المتواجدين تحت القباب العالية المهيبة ... بل سيرون أن بإمكانهم اللقاء نفس خطبهم دون أن يلحظ احد كبير تغيير ! ..

.. ولست ادري أن كان يقتضي الفخر والاعجاب بهذا الاستقرار الغريب لتلك الفصاحة والبلاغة في الخطابة ، أم يفترض ذلك منا الرثاء والاشفاق ...

عصام عسيران

— عن الفرنسية بصرف —



رحيل

«البياتي»

الحب مدنت العشق

حلمي محمد القاعود

المتنبي في عصره .. ملأها بالشعر والموقف ، وفي كلا الحالين ، فإن أحد الشعارين البياتي أو المتنبي كان يحمل من هموم الحياة وأرق التفكير ما يدفعه الى التقلب في شتى اجواء الحركة الثائرة والفكر المتطور بحيث ينتهي الى موقف يتميز سواء اتفق معه الناس أو اختلفوا .. ويتبلور هذا الموقف بعدئذ ليتخذ صورة عقيدة ثابتة يرحل بها صاحبها الى شتى بقاع الوطن أو خارجه تعبيرا عن

لا يخلو المحيط الادبي من صوت الشاعر العراقي عبدالوهاب البياتي شاديا بقصيدة ، أو من صوت يتحدث عن اشعاره باعتباره واحداً من الذين أسهبوا في الانقلاب الشعري المعاصر ، وباعتباره واحداً من لهم وزنهم الفكري والفني في حياتنا الادبية منذ نشأ ادبياً ، فسي بغداد خلال أربعينات هذا القرن حتى يومنا . وقد ملأ البياتي الدنيا الادبية المعاصرة ، كما فعل

ايمانه بها واستشهاده من أجلها .

وتأتي قصيدة البياتي « الرحيل الى مدن العشق »
التي كتبها ما بين السابع عشر من حزيران ١٩٧٢ الى
الخامس والعشرين منه ، لتكون عصارة مركزة لمراحل
التطور والتحول والتبيز في حياته الانسانية والفنية ،
ولا نبالغ اذا قلنا انها تحل في ذاتها كل خصائص المراحل
التي مر بها البياتي ، وتقلب خلالها ..
والحق ان تجربة البياتي الشعرية ، غنية وثرة ،
ومغمة بالقضايا الحيوية والانسانية ، متكاملة ومركبة،
وكلها تصب أو تكاد في بؤرة التجربة الواحدة .. التجربة
الأم التي نذر نفسه لها ، واعطاها من عمره الكثير ..
وهي تجربة تعبر في ملاحها البارزة عن الهوية الضائعة
والذات المفقودة خلال المطاردة الطاللة والمحاصرة الطاغية
لطلائع الحرية الانسانية ومبادئ العدل والاخاء
والتعاطف الانساني ، ويستشف من قصيدة الشاعر
انه دأب البحث عن الحب بمعناه الانساني الكامل ..
الحب الشفاف ، الحب الذي يرتقي الى مرتبة التصوف
الذي يدين به محيي الدين بن عربي صاحب « ترجمان
الاشواق » والغائل بينه الشهر :

أدين بدين الحب أتسى توجهت

ركايبه فالحب ديني وايماني

وهو الحب الذي ينبع من فهم عميق لجوهر الشريعة
الاسلامية كما تمثلها محيي الدين بن عربي ، واهتدى به
البياتي في قصيدته المشهورة « عين الشيطان » وتحوّلات
محيي الدين بن عربي ، في ترجمان الاشواق » ، وطرقت
بوضوح بين في « الرحيل الى مدن العشق » .

وقد لا نهما الان التفاصيل الشخصية او الحياتية
للتجربة البياتية ، بقدر ما يهمنا ان نسجل ما وصلت اليه
هذه التجربة في الديوان او المجموعة المسماة «قصائد حب
على بوابات العالم السبع » وما اظهرته قصيدته «الرحيل
الى مدن العشق » من تركيز واضح على متابعة البحث
عن الحرية واضاءة مشاكلها والغناء العذب الجبيل
للحب الصوفي في ذروته ، رغم ركام الحضارة المعاصرة ،
ووثنيها وجوسيتها وظلالها المخيف .. انه كشاعر
يحلم كان يراوده الامل بأن يجد عالما حضاريا بالمعنى
المتكامل ، ولكنه — بالهول ! — وجد الحضارة اسما
واساسا للظلم والظلمة والعنف والقبود ايضا ..

الله والقينار في لهفتي

اليهما اوقدت نوار الدليل

بحر بي العشق ، وها انتني

اموت في بوابة المستحيل

ادرج بالاكفنان ، لكنني

اقوم بعد الموت في كل جبل

احمل اوراق مع الريح والد

عشب الى مدائن العاشقين

او قظ مولاتي من نومها

وعندليب قبر الياسمين

وفي فؤادي حسرة انني

سوف اعود عاشقا من جديد

اختار نفسي الدرب نفس اللظى

ونفسي حبسي الراضى المستريب

تتألف القصيدة من أحد عشر مقطعا .. الاول
والاخر جاء في صياغة عبودية بمتأ ، اما بقية المقاطع
فهي حرة التفاعيل مختلفة الاطوال ، وسوف نرجس
الحديث عن تركيب القصيدة حتى نطل اولا على اعمائها .
تبدأ القصيدة — كما هي العادة في قصائده
الآخيرة — بداية صريحة بحثة فيها ظلم العاشق ، ولهفة
النائه الحيران ، فلا يجد اياه سوى الله والقيسار
يوقد اليهما نار الدليل ، لعله يجد ، بل هو واثق انه
سوف يجد هناك الاين والطيبانة والعدالة ايضا ..
ثم يجد الانس حتى يكمل الرحلة عبر الظلمات .
ومن غير شك ، فان المقطع الاول انضج ما في
القصيدة حيث يكثف الشاعر داخله كل تجربته ،
ويستخدم كل اهتمامه الفكري وعطائه الفني في التجويد
والنظم .

يحكي لنا الشاعر قدرته على المقاومة رغم القهر،
والقبالة بعد الموت ، ثم يدعونا الى الحياة بالعشق
والحب ، نفس الدرب ، نفس اللظى .. وهو ما يتوعدنا
الى تذكاراته الماضية في الغربة والنفي والمحاصرة ،
وجهه للكلفة واخلاصه لها .. وهذا ما سبب له خسارة
جسيمة افتقد فيها كل حبيباته ! والحبيبات تعني اشياء
كثيرة ، ومن ثم تتناهب نوبة الحزن الباكي المنتحب على
العاشق القهور وابن السبيل الخاسر بمنن الطاعون،
ويتحول الحزن الى شيء أكثر قسوة .. يتحول الى
خوف .

أخاف ، قلبي كاد من خوفه

يسقط تحت اقدام العابرين

عندما يتسأل — كما هي الحال دائما — ويلقي سؤاله
الازلي ... من اين يأتي النور؟ من اين يأتي، والليل في كل
الدروب يرصد العاشقين ؟ تساؤل بات مكرورا في أكثر



جميعاً لتشكل جوقة من العازفين والمنشدين للحن
الغربة ، والرحيل الدائم ، والثورة الأبدية في دمه ، رحيل
مع الكلمات ، و ثورة بالرموز ابتداء من عين الشمس
وبيكاسو حتى ناطم حكمت وخزامى والحلاج ونهر
الغربة والعراق ..

ينتقل الشاعر في المقاطع التالية ليمزج الحديث عن
بيكاسو بنهر الغربة وأزمان الغبراء . لقد رحلت سيدته
تاركة مدنته العارية في العاصفة ، ومع ذلك فاته بكلهاته
العاشقة ما زال فوق جواده يقهر صمتها ! انه قد
الاصلاء من الشعراء ولو تساقطوا .. وها هو نهر
الموت يهر بحكمت ولوركا وإيلوار والمنتبي وأبي تمام وإلي
وعائشة وخزامى ، ففي عصر الارهاب والمشق والموت
والثورة يرحل البحر الى الصحراء رغم سقوط الشعراء
وتفمنهم وهرهم وذبولهم ، لانهم يتركون بصماتهم
كشهادة للقادمين حتى يتهم المتهم الاول المتهم الثاني .
بيد انه ما زال يؤكد رحيله ومتابعته لمولاه التي يبحث
عنها من باريس الى بغداد يحمل صورتها وجواز السفر
الملغى .. ينزف قلبه في كل مطارات العالم ويستجدي
قطرات المطر ، ورغم انه يفرق في الرحيل ، فاته يلحق
جراحه ، وخزامى محبوبته القديمة تضحك .. ثم تظل
تضحك في عصر الارهاب ، ولكنه يخاطبها :

سأظل احبك : انت النار — العشق — المنفى —

توفى — بغداد

سأظل احبك : انت النار الأبدية في عرس الصحراء .

يعدية الرحيل ، والشوق الى الوطن والعودة الى
المنفى « أهو عبدالله نديم ، آخر » ولكنه يجسد كل
حبيباته قد رحلن ، وعدن الى الوطن المنفى .. البحر
الابيض وبيروت والشارع والمتهى والفجسري والمطر
والسحب والضحك والفرور والنار .. الكل عاد الى وطنه
— مفناه — الا شاعرنا المسافر ابدا ، المتابع لرحلة
النفى والعذاب .. يحمل حبه ويحمل موته فداء لايامته .
يختم الشاعر قصيدته خاتماً قوياً ، فيؤكد ما سبق
قوله ، وبما استقر عزمه عليه .. انه يعطينا هاهنا بعد
رحلة الغربة والنفى والعذاب بحثاً عن الحرية والحب
وخزامى وعائشة ، صورة رائعة تنطلق ملامحها بالهوية
الانسانية رغم دخان بابل ونار المجوس المشتعلة :

يسائلني العراف عن نار بابل

وما خبات في باطن الغيب بابل

وكان على اقدامها التجم ساجدا

وكان على الاسوارحي يقاقل

فصليت للنيران في عراشاتها

وقال مغني الشمس ما انا قائل

من قصيدة للشاعر .. ولكنه لا يملك انكاره او تجاهله،
انه سؤال يضيئه ، ويتهجر فيضطر الى طرحه دائماً
امام الحصار ، ولكنه بعد ان يطرحه يلخص لنا قصيدته
في بيتين ، ويشرح عذابه ، ثم يؤكد ايمانه بالثورة
الدائمة والدائمة :

برح بي العشق ، وها انني

تحت السموات وحيدا طريد

محترقاً في طرق المنتهى

وحاءلا ناري لعصر جديد

يحمل ناره الى عصر جديد بأسانه وقدره ، عزمه
واصراره .. الرحيل ابداً والثورة ، والنار رمز مجوسي
استلهمه الشاعر بتأثير قراءته في التراث الفارسي ،
بيد انه رغم ذلك ينتقل الى تأموسه المزدحم ، القديم والحديث
ومن خلال الرحيل ثانية ، نرى مفرداته التي حملها معه
في سطور دواوينه وداخل ابيانه لتبعث حية لاهباً من
جديد . كما نرى كل رموز الماضي خلعت ثوب التاريخ
وأصبحت تشعق بالحياة ، ويبدو أن الشاعر وضعها



نجومى وبابا حسن

لأول مرة يطأني « بابا حسن »
رأسه ، وبصيت .. بعد أن تعودت
على مزاحه ، ونكته الباردة . وكان
صعبا على نجومى التمسى لا تتجاوز
الخامسة عشرة أن تعرف سبب حزن
إيها أو « بابا حسن » كما تناديه
دائما . وحين حاولت المزاح معه ،
وجدت مسحة الكآبة تطوف كالغيوم
على محياه ، فتواري ابتسامة شقية
واشراقه عيني . جلس بجوار
النافذة يرنو إلى البعيد ، شارد الذهن

قصة
حني
سيد
لبيب

هكذا يختم فصلا من ملحمة النفي والغربة بالصلاة
في عرسات النيران ، ويتفق مع معنى الشمس انقاسا
تاما ، ويسدل الستار على المسرح ليبدأ في اعداد فصل
جديد من ملحمة لا تنتهي .

سوف تطرح هذه التجربة المركزة اماننا سؤالا :
الى أين وصل البياتي؟ والجواب لا يمكن تحديده بالطبع ،
لان البياتي ما زال يقرض الشعر ، وما زال يبعثنا
كل يوم جديدا يستحق الاهتمام والدراسة والبحث ، وان
كان هنا قد وصل الى درجة عالية من التقاء المصوفي
والفكري تظهر بوضوح شديد .

بيد أننا سوف نلاحظ في هذه القصيدة ان البياتي
قد وضع بتركيبها قضية هامة ، ما زالت تشغل السراي
العام الأدبي ، وهي : أي النمطين : الشعر العمودي
المقفى ، أو الشعر المرسل استطاع ان يستوعب
التجربة المعاصرة ويعبر عنها تعبيرا جيدا ؟ ان البياتي
يرد بهذه القصيدة الطويلة على من يتصبون لهذا أو
ذاك بالنظم على كلا النهجين ، اذ انه تسقط امام صياغته
حجج كل فريق ، وتبقى القضية الاساسية تفرض نفسها
على الجميع ، وهي : هل استطاعا التعبير عن الهموم
المعاصرة ؟

ان التعبير عن قضايا الملحة اصبح ممكنا من خلال
الشعر العمودي المقفى كما فعل البياتي في « الرجل الى
مجن العشق » ، كذلك فان تناول هذه القضايا من خلال
هذا الشعر يفوت الفرصة على الذين نجحوا بهذا
الشعر ، واستخدموه لاغراض سطحية وبمؤدلات وقافية .
واذا كانت صلاحية الشعر المرسل تبدو أكثر وضوحا
واتساقا في الاعمال المسرحية والابوابية ، فان شعرنا
المقفى يمكنه ان يمتد بالغنائية الى وجداننا العربي ،
وينجز طاقاته الخلاقة والبديعة لمحاربة العفن والفساد
والانتفاض على المهانة والمذلة ، ومواكبة الحرية والسير
في طريقها الى النهاية ...

وبعد ..

فاننا نستطيع القول ان البياتي عبر عن الاصالة
الفكرية والفنية معا ، وأنه اثبت بذلك قدرته على الغناء
الشجي ، وأن طفا هوائه احيانا خلال القصيدة فهو هتاف
الحرية ، وتوهج الشوق للاجباب الذين رحلوا ، وفارقوا
وما زلنا ننظرهم حتى اللقاء ، لننوجد معا بالحب والصفاء
والحرية .

حلمي محمد القاعد



فانز الهمة . همت بسؤاله عن سبب حزنه ، فنصحتها بالصمت حتى يهتدي الى حل لمشكلته الكبيرة ، فاذعنت ، وهرمت الى كتاب تقرا فيه ، لكنها لم تنو على المذاكرة . وبانت ليلتها قلقة،تجهد ذهني في امر هذه المشكلة الكبيرة ! . ثم هذا التفكير الى انه تذكر امها التي ماتت منذ عشر سنوات ! . واستراحت الى هذه الفكرة ، ونامت حزينة وقد اثارنها ذكرى الام . ثم مرت الايام بطيئة ثقيلة ، فقد امتد حزن الاب الى الايام التالية . كما لاحظت ان بعض طلوع الاناث تختفي من البيت ، سألته عن سر ذلك فقال : — اعمل على اصلاحها .

ويتقظ احساس نجوى ، وتفكر جديا في حزن ابينا . لاحقته بالاسئلة، واضطرت ذات مرة الى البكاء ، ومن خلال دموعها عانيت بابا حسن بكلماتها الحزينة :

— لماذا لا تبوح لي بسر احزانك ؟
ويرد عليها بصمت المجه ، فزجره بكلماتها الملاحظة :

— لست صغيرة يا ابني ، بدأت افهم الحياة ...

ويبتسم الاب لكلماتها الحانية . لم يكن يتصور انها ستصر على ان تعرف ، وتلاحظه بامرارها . تنهد في راحة ، وشعر بأنه يمكن مصارحة نجوى بكل شيء ..

كان يعمل باحدى الشركات ، ثم اضطرته الظروف الى التضامن مع زملائه من اجل زيادة اجورهم ، وكان مطالبهم عادلا ، وفعلوا تحقق لهم ذلك. الا ان اجهزة الابن بالشركة اعدت كشفا باسواء المشتبه فيهم ، ووضعت امام كل عامل المخالفات التي ارتكبها .. وقد انحصرت اغلب هذه المخالفات في الاضرار وتحريض الزملاء وتعطيل العمل ... ودس رئيسه النافس محفوظ ادهم اسمه ضمن هذه الاسماء ، وتم تحقيق اداري، وتقرر فصله . تسلم قرار الفصل كالطمية القوية . انه صاحب مبادئ

واضحة ، ولا يشوبها التواء . وكان يستبسل في الدفاع عنها . حقالم يكن يجوز رشاء رئيسه النافس، حيث كان ينتقد تصرفاته التي لا تنم عن اتباع طريق الحق والصلة العامة، وكان معروفا بثورته التي يعتز بها . اتهمه البعض بانتمائه الى تنظيم سري فكان يدفع عن نفسه هذه الشبهة :

— اني اناصر الحق والحرية .
وكانت كلمتا « الحق » و « الحرية »

اغنيتين يترنم بهما . وكان يرى خلاص الامة في اتباع طريق الحق وتحقيق الحرية . لم تكن مبادئه الثابتة سببا في فصله ، ولكن تضامنه مع زملائه ، جعل الشبهات تحوم حوله ، فانتزح بحفظ ادهم رئيسه النافس هذه الفرصة المواتية ليتخلص منه ، ودس اسمه ضمن المشافعين الخاطرين على انتظام العمل . فكان قرار الفصل ، وكانت اللطمة القوية التي تحدث مبادئه ، وفعل الى ان طريق الحق ليس سهلا ، والدفاع عن الحرية ليس سهلا . تسلم قرار الفصل بيد مرتشة ، ففكر في نجوى الصغيرة . كيف يربينا ويميل على استعاضها ! . انه يعمل دائما على بث مبادئه في عقلها المتفتح ، ولا يمكن ان تنسى نجوى تلك الكلمات التي يرددوها كثيرا :

— اتبنى ان تكوني انسانة رحيمة بالضعفاء ، قوية مع الاقوياء .

وكانت تفهم كلماته بطريقتها البسيطة . فتعطف بجزء من معروفيها على المساكين . اما الاقوياء فتعرف منهم زميلتها الشقية «دولت» وكثيرا ما تتعارك معها لنصرة زميلتها الفتية الغلبانية « زينب » . وتعرف من هؤلاء الاقوياء « ابلة فنيه » ، لكنها تعجز عن مواجهتها ، فتكتفي بكرهها. وكلها كبرت ، كبر معها مفهوم كلمتي « الحق » و « الحرية » . وصارت تنتشيت برأيها ، وتستقل بشخصيتها القوية . ويلحظ ابوها تطور شخصيتها فيزداد اعجابه بها ، ويشلها بعطفه .

تكشفت لنجوى الصغيرة الحقيقة كاملة . بابا حسن عاطل وعرفت سبب اختفاء قطع الاناث قطعة بعد قطعة . وبكت كثيرا . ثم فكرت في طريقة تساعد بها بابا حسن. انها تلميذة في الاعدادية . سألته عن امكانية التوظف بدون الاعدادية ، فابتسم :

— لا تحلمي بها .. ربنا يفرجها. لم تكن الاجابة مريحة ، فانخرطت في البكاء من جديد . وكانت الدموع وسيلتها الوحيدة للهروب من ضعفها وعدم قدرتها على فعل شيء من اجل بابا حسن الذي يكافح من اجلها . وماذا يمكن ان تفعل ولما تزل تلميذة صغيرة ولا تعرف كثيرا من امور الحياة ؟

شردت طويلا ثم قالت :

— بابا حسن .. ما رايك في ان تعمل غفانا كبيرا ؟

وقهقه الاب عاليا ، ولاول مرة منذ فصله ..

— غفان .. وكبير .. انك تطيبين خاطر بابا حسن .

— حدثتني كثيرا عن فريق التمثيل بالشركة ونجاحك الكبير في التمثيل .. كما حدثتني عن الحائك النسي اطربت الجميع . لماذا تتجاهلك هذا النجاح ؟ .. لماذا تخاصم عودك الحزين الراقص فوق الدولاب ؟ .. وما عليك الا ان تسمع التراب ، وتبرن اصبعك على اوتاره .

شرد طويلا ، امنع النظر في ملاح ابنته .. بارك الله فيك يا نجوى .. فيالها من كلمات حلوة اسمها فيطرب لها الفؤاد !

— ماذا استطع ان الحن واليد خاوية والنفس مصدودة ؟

ابتسبت نجوى ..

— اسمعني اغنيك الجميلة « ابتسم للحياة » .

صمت قليلا ، ثم اطلق تنهيدة ثم عن الحصرة ..

— ألم تعلمني ان الكفاح من اجل

الحياة الشريفة تتطلب ارادة قوية ؟ .
ارتقت كرسيا ، واشربت بعنفها
ترنو الى العود الجاثم فوق الدواب ،
ثم تدبدها اليه . فكت الغطاء
القماش المترب ، وتحسست العود ،
ثم مررت انايلها الرقيقة على اوتاره ،
فصدح بنغمات رقيقة ايظلت حواس
بابا حسن . . فيمكك العود ، ويصلح
اوتاره ، ويمرن يده التي سرت فيها
الدماء ، ودبت فيها الحياة . . انبعثت
نغمات حلوة طربت لها نجوى ،
وحفزت بابا حسن الى ان يغنى من كل
قلبه « ابتسم للحياة » . . تهللت
اسارير نجوى ، فقد عاد بابا حسن
شابا من جديد ، وانتصر على محنته
والآمه .

ثم فوجئت به بعد ايام قليلة يعود
مبتسما ، وفي يده لفافة لحم ، وكيس
به فاكهة . . تيل ابنته فرحا :
« عملت في فرقة فنية .
— مبروك يا بابا حسن ، أصبحت
فنانا كبيرا .

— لا كبير ولا حاجة . انها فرقة
على قدر حالها . تكسب قوتها اليومي
ولا تضمن قوت الغد . على اية حال
الجدل لله ، فهذه بداية . . وهذه
ايضا ارادة الحياة التي سمعتك
تترنن بها فاستغفرتني الى السعي
الحثيث من اجل لقمة العيش .
ورفض ان تشاركه في اعمال
الطهو ، ناصحا اياها بالذاكرة . .
وكان هذا اليوم بداية حياة سعيدة
لنجوى وبابا حسن .

بدا الحظ ينقسم لهما ، فقد حصلت
نجوى على الاعدادية ، ثم امر بابا
حسن على ضرورة التحاقها بالثانوي .
لكن الايام لا تبسم على الدوام ،
فسرعان ما تكفر وترجع اياما غبراء ،
طاوية ايام السعادة والهناء ، مما
يطلب جهاد النفس ومثابرتها . . فقد
عاكست الاقدار الفرقة الفنية
المسما « مسرح الاندلس » . وكانت
الفرقة تناوي انظروف ، تنقل من
بلد الى اخر مع مواسم الموالد ، حيث

كان يترقبها جهورها المتواضع .
واحس صاحب الفرقة احمد برغوت
ان الفرقة في حاجة الى دماء شابة
تجذب زوار الملوجست .
حسن في بيته ، وتعرف على ابنته
نجوى . اعجب بخفة دمها ، ووجد
انها خالته المنشودة من اجل جذب المزيد
من المشاهدين . لكنه حاذر مفاتحة
ابنها ، لما يعرفه عن نزيمته واعتزازه
بها وحرصه على مواصلة تعليمها . .
الا انه لجأ الى تخفيض اجره . تذمر
بابا حسن قليلا ، ثم ما لبث ان رضي
بالقروش التي بدات تقل اسبوعا
بعد اخر . وتذكر اضربه عن العمل
مما ادى الى فصله . . تذكّر ايام
البؤس التي عايشها عاطلا وقلبه يتلوى
بين ضلوعه ، لما وحزنا على ابنته
الصغيرة . قتل لبخس الاجور برغم
تجاهه الساحق في اطراب الجماهير ،
والعزف على عوده . بدا صاحب
الفرقة احمد برغوت بخدشه عن
نجوى ، ويساله عن احوالها
الغرامية . ثم افصح عن رغبته في
ضم نجوى للفرقة ! . ابى بابا حسن
بشدة . ونزع في وجهه .

— لست اعد لها مثل هذه الحياة .
انها الصورة الجميلة التي تزين
حياتي ، انها سلواي الوحيدة .
ابتسم احمد برغوت ابتسامة
خبيثة ، وهو يريت على كرسيه
المكورة ، كأنه يخشى ان يفقد اثرائه
.. ثم قال :

— آسف يا حسن . . فإغائك لم
تعد تجذب الجمهور . اريد بمساعدتك ،
فارجو ان تساعدني ، فمكر على
ملك .

ادرك حسن ان عمله مرتبط بشرط
قاس ، فرجع الى البيت معثر
الخطي ، لكنه امر على التحدي ،
والرفض .
طالع نجوى وجهه الحزين الكئيب ،
لكنها في هذه المرة عرفت قصته .
سالته :

— ما بك ؟

فصمت . . صرخت باكيا :
— الان عرفت كسل شيء .
استغفت الفرقة منك . . ملامح
وجهك تقول لي ما قالته عنديما
فصلت من الشركة .

لم يستطع كتمان الخبر . .
شردت نجوى قليلا ، هل تضحي
بمستقبلها الدراسي وتعمل مع ابها ؟ .
انه يرفض ذلك كل الرفض . . ولكن
كيف يعيشان ؟ . قالت ضاحكة :

— بابا حسن . . لا تحمل هما :
— كيف ؟
— ساعمل معك . .
— لا يمكن .

— ارجوك يا بابا حسن . . لا
تقاطعي . . سائر لك . .
وانصت بابا حسن الى ما تقوله
الصغيرة :

— ساعمل معك في نمرة واحدة ،
نغني سويا ، نذهب معا ، ونرجع
معا . . والشغل ليس عيبا .
— لم اعدك مثل هذه الحياة .
— انها الظروف .
— ودراستك ؟
— اذاكر في البيت .

ومن جديد ، فتحت له ابنته نافذة
الامل ، وافق بابا حسن بشروط
فرضها على احمد برغوت . . ولن
تظهر نجوى الا مع بابا حسن كثنائي
ضاحك . . ولن تمثل نجوى اي دور
من ادوار الاغراء . . وسيختار
بنفسه فساتين نجوى . . و . . و . .
وتعليمات كثيرة ابلاها على مسدير
الفرقة فاضطر ان يرضخ ويوافق .
فان جمال نجوى ، وخفة دمها قد
استحوذا اليه واضطره الى الموافقة
على كل الشروط من اجل انجاح
فرقة الهزيلة . ووضع اعلان كبير
عن الثنائي الضاحك « نجوى وبابا
حسن » . . وقد ادى الثنائي
استكشاث قصيرة تحكي قصصا من
حياتها المليئة بالآلام ، لكنهما رغم
هذا يضحكان للذنيا ويفغيان لهما ،
يضحكان عليها . . نجحا نجاحا فاق

التصور، مما حفز الثنائي على مواصلة الطريق بأقدام ثابتة .

صادف في احد شوارع العاصمة رئيسه النائم ، الاستاذ محفوظ ادهم ، الذي تسبب في فصله . اعرض عنه ، اشاح بعينيه في الجهة الاخرى ، الا انه امسك بذراعه هاتفا :

— اهلا حسن افندي .. والله زمان .. اين انت ؟ .

واستقط في يده الموقف . نظر الى عينيه الشابتين ، وابتهامة الفتاق على وجهه تقضحه . لم يمهله ، وقد انتفع في الحديث ، مذكرا : بياه بجهوده في سبيل انتاذ الموقف ! . لكن الادر سارت على غير مايتصور ، ولم يعد يملك التصرف في شيء . ود حسن لو يفتتح اكاذيبه ، ويميط اللثام عن وجهه الحقيقي . لكنه احس بان هجومه لن يجدي مع حديث محفوظ ادهم اللثوي . انه كالحرابا يتلون حسبما تشاء الظروف . واضطر حسن الى الحديث عن عمله الحر كمتاول ، يكسب في اليوم الواحد اضعاف راتبه الشهري الزهيد ! .

ولكنه لم يقو على مواصلة الكذب ، فقد خالجه احساس طاغ بان هذمائه المواضيع لا يتنطق مع اكاذيبه . عالج الموقف في حسم ، مد يده مصافحا يد محفوظ ادهم ، اليد التي دست اسبه وسط المشاعبين ، دون سند قانوني .

— كما ترى .. فانا ذاهب لانتجاز اتفاق مع مقاول لبناء عمارة بوسط البلد . الوقت عندي كالسيف ، كل دقيقة لها قيمتها ! .

نجح في اسكات لسانه الشامت ، لكنه فشل في ترويض نفسه على التفاوض والرضا . ولا يزال اسم محفوظ ادهم كالوصصة على جبينه ، بعد ان تسبب في شقائه وتعامسه .

وبن جديد ، يتقبح الجرح الملتئم . ان قوته اليومي يتهدهد الخطر كل يوم . وابنته نجوى — تلك الاشراقة الحلوة — تكافح معه ، وهو كاره .. آه لو يدري محفوظ ادهم كل هذا ! .

طلعت نجوى وجه بابا حسن الكاسف ..

— يبدو ان الفرقة استغنت عنا .. او ذهبت الى حال سبيلها .

وابتسم ابتسامة مصطنعة :

— في هذه المرة تخونك الفراسة .

— اذن لم الاكتئاب ما دمنا نعمل ،

وتتحصل على اجرنا ؟ .

— اكتشفت ان الرزق ليس كل شيء .

— يبدو انك غاوي فلسفة ، على

المعوم ساسم ، بشرط ان افهم ما

تقول .

شرد قليلا ، ثم تمتم وكأنه يخاطب

نفسه :

— انه محفوظ ادهم ! .

بشدا بابا حسن الطيب القلب

يحدثنا في هدوء عن محفوظ ادهم

سبب بلواه . الا انه لن يحاربه ،

لن ينقمت منه ، فما كان الانتقام وسيلة

يرتاح اليها .. مغوضا الامر الى

الله .

زاره احمد برغوث ، وكان على

غير عادته ، ضاحك الوجه ، بلش

الاسرابر . وبدا كرشه المتدلي في

قلق ، وكأنه استراح واستقر ، لا

يزعج صاحبه ، او ينزعج منه .

وصدق حدس نجوى وبابا حسن ،

فقد اتاهما احمد برغوث بالخير .

— اليوم وقعت عقدا مع مدير ملهى

ليلي .

واسكرتهم فرحة جنونية ، فراحوا في نشوتها يتضاحكون ويتساربون ، وينغنون بالمستقبل المشرق . وانشرحت صدورهم لامل عريضة قد لا تسمعها السماء ! .

وشدت نجوى اهتمام جهور الملهي بأغانيها المرحية التي تشدو بها مع بابا حسن ، وصفق لها الجمهور كل ليلة .

تغيرت حال الاسرة الصغيرة شيئا فشيئا ، تغلبا على المضايقات المالية التي كانت تواجهها كل يوم .. مما جعلها يخشيان القد وما فيه من نذر سوء . واليوم تغير الحال ، وبدا الفجر ييزغ بنور الامل . وتهايت نجوى لامتحان الثانوية العامة ، الابل الحلو الذي نبت في قلب ابينا ، وروته هي بعرتها وامرارها . وقد استلم بابا حسن صموده من صمودها ، وصلابته من صلابتها .. حتى صارت نجوى هي الراس المفكر في كل المشاكل التي تواجه بابا حسن ، وكلما تذكر محفوظ ادهم ، تذكر معه تعليق نجوى الساهر :

— كلما صادفته ، طلع لسه لسانك ! ..

واصبح اسم محفوظ ادهم ، مقرونا بهذا التعليق الساهر . وبات محفوظ ادهم ، دون ان يدري ، يبعث ابتسامة حلوة تسري عن الرجل الطيب كل مشقات الحياة .

وذات مساء ، صفق جمهور الصالة طويلا للثنائي كعادته كل مساء . وانحنى الاثنان لتحية الجمهور لكن عيني بابا حسن لتلتقيان بعيني محفوظ ادهم ! .. كان يشحك ويقهقه مرة اخرى يصادفه الرجل الحرابا ، ويطلعه الوجه الثعلبي . ماذا يفعل ؟ .. هل يخرج له لسانه ساخرًا يتهكأ ؟ .. لا .. لا .. لن تلغ السخرية .. بدا حسن — عن غير وعي منه — يقلد محفوظا في ضحكه وقهقهته .. ويصفق مثله ، فظن الجمهور ان بابا حسن يشاركرهم التصفيق ، فازداد التصفيق المصحوب بصفير الشباب .



امسكت نجوى يد بابا حسن وشدته
الى الكواليس . سألته :

- ما بك ؟
- محفوظ ادهم قاعد في الصالة .
- ملظ ..
- انه يضحك شامتا .
- الف ملظ ..

وانقطع بابا حسن عن جههور
الصالة عدة ايام ، ولازمته نجوى
تداوي اكتنايه النفسي بضحكاتها
الطليقة .

— لقد تقصصك غفريت اسميه
محفوظ ادهم .. لازم تعرض نفسك
على ولي من اولياء الله ! .

ومن جديد يتنسم بابا حسن ..
— ليس العمل عيبا ، وان شاء
الله ربنا يحقق امانيها ، ونكون من
الفنانين الكبار .

— لكني ضحكت عليه مرة ، وقلت
له انا مقالو كبير .

— ولا يهمك .. كنت مقالوا ،
واصبحت فنانا .. وكله شغل .

وتنهي الايام ، وقد روض بابا
حسن نفسه على مواجهة الحياة
بالبشر والابتسام ، ونجح في التخلص
من عقدة الشبانة التي يطلع بها
وجه محفوظ ادهم .

ثم طالعته صورة محفوظ ادهم
في صحف الصباح ، منها في قضية
اختلاس . وكان القبض على محفوظ
ادهم بشير امل لنفسه المكشوفة المرحقة .
واحسن بانتصار المدامها طال الزمن .
وحمد الله ان يده شريفة برغم كل
ما حدث . وبدأت الشركة تعيد النظر
في امر العمل المفصولين ، وتبحث
حالاتهم .

ولم ينتظر بابا حسن طويلا ، حيث
وصله خطاب يفيد بالغاء قرار
الفصل ، ثم زمت نجوى اليه خبر
نجاحها في الثانوية العامة .

اشرق وجهها النسائي ، وكانت في
هذه المرة اشراقه زاهية ، كاشرافة
الربيع ، بعد شتاء قاس .

حسني سيد ليبي

— القاهرة —



جنة القريني

اليك ساكتب هذا المساء ..
كتساب الحياة وسفر البقاء ..
واكل ريشما بيوم الضياء ..
وارزبل لخي عتير الفضا ..
لملك تسمع يا شاعري ..

عبرت البحار، وجبت القفار ..
وظفت باوجه كل مدار ..
لعمي اقبال وجه هزار ..
فريد المعاني ، غريب الديار ..
إلى ان وجئت يا شاعري ..

كمثل غروب الشتاء الحزين ..
كعصف الرياح بقلبي السكون ..
كليل بتم يذاري الحزين ..
ويتست ما في الخشام شجون ..
كذا كان ذابي يا شاعري ..

وفي ذات يوم حباتي القدر
بليلة شمس تدور التكر
وتلهب صدري بشي الصور
فكان لقاي بك المختصر
ملياً لثني يا شاعري

فكنت بمسحة جسد عشت
ورقة حزن على ناظريك
وبسمة هز عشت مرشفتك
وسر التلق بين يديك
وسحر الرجولة يعدو إليك
فكنت بسرّك يا شاعري

رفيق الحسام حبيب السمر ..
وليت بوجه كلاب الهجر ..
هواك ارتجال ويوم مطر ..
وعندك شوك الدروب الثمر ..
وتهوى الخيال ونار الفرو
فيا لسموك يا شاعري ..

ويَقْد ؟ فماذا عساي اقول ؟
لنجم غلاة يباري الاصول ..
فهيما حديني اليه يطول ..
سيعجز قبل بلوغ السبيل ..
يراعي ، وابقي لحين الوصول ..
فهل انت تسمع يا شاعري ؟ ..

مصنفات الحلاج

للدكتور
كامل مصطفى
الشبيبي
استاذ الفلسفة
الاسلامية في
جامعة بغداد

باسلوب اتقوى وعارضة اصفى ولمس ان بعضها سهل والبعض الآخر شنيع . لكنه نص على العموم على « ان الحلاج تصانيف زهرا ورهوزا وكلاما مهذبا في الاصول والفروع » . اما موضوعات المصنفات فستعود اليها بعد ادراجها هنا مرتبة بحسب العنوان :

المصنفات

- ١ — كتاب الابد والمابود : واضح ان هذا الكتاب يعرض للقدم والقديم والحدوث والحادث اي الله والعالم .
- ٢ — الاحرف الحديثة والازلية والاسماء الكلية : ولعله يبحث في فكرة خلق القرآن باعتبار نص المصحف ثمرة لصنة الهبة قديمة هي الكلام الرباني بطريقة ربما وجه بها الحلاج الفكرة توجيها سبق به او عاصر — والسبق ارجح — ابا الحسن الاشعري والاشاعرة في فكرتهم عن كلام الله النفسي القديم في مقابل النص المدون المحفوظ بعد انفصاله عن الذات الالهية .
- ٣ — كتاب الاحاطة والفرقان في ان الائمة اثنا عشر على نسق الائمة لقوله تعالى « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا » . واضح ان هذا الكتاب يسبق طبيعة ميتافيزيقية افلوطينية وغيثاغورية على التشيع الاثنا عشري بشكله المعتدل ، وربما بشكله الغالي النصيري او المؤله ، باصدار الائمة عن النبي اصدارا اشراقيا

خلف الحلاج عددا من المصنفات جاء ذكرها نسي محاكمته واخباره ومنعت الدولة تداولها بعد قتله ، وقد ادرج ابن النديم عنوانات ستة واربعين منها في غير تبويب ولا تنسيق (١) ، وزاد المقدسي كتاب « الاحاطة والفرقان » في « ان الائمة اثنا عشر » على نسق الائمة ... » (٢) ، دون اشارة الى غيره ، واثبت البيروني الى مصنفين متواصلين هما كتاب حم الاصغر وحم الاكبر (٣) . واكمل ابن تيمية عدة الخمسين بنصه على ان الحلاج « صنف كتابا في السحر معروفا وهو موجود الى اليوم » (٤) وان لم يذكر عنوانه . على انا نرجح انه كتاب « الصيهور في نقض الدهور » كما يأتي كل هذا ، بالطبع ، بقطع النظر عن الديوان الذي جمع بعد الحلاج بجهد المعجبين به ومنهم ابو عبد الرحمن السلمي والهجويري وعن كتابين آخرين يردان في ثنائيا هذه الدراسة .

ويبدو ان ثبنا الذي حوى عنوانات اثنين وخمسين كتابا — ليس منها كتاب السحر الغفل من العنسلوان الذي ذكره ابن تيمية ولا كتابان اخران يردان في ثنائيا هذه الصفحات — انها هي جماع مصنفات الحلاج بشهادة الهجويري الذي حكى في كتابه « كشف المحجوب » (٥) انه رأى بعينه خمسين مصنفات لهذا الصوفي في بغداد ونواحيها ، وشهد بعضها في خوزستان وفارس وخراسان . وبعد قراءته لها ظاهرا ، حكم بان بعضها كان مكتوبا بعقليات المريد البدئي وبعضها

في المعرفة الالهية يتمثل في توجيه انتقال العلم والصيغة انتقالا يشبه تلقي القمر نوره — الشمس دون ملازمة ودون قصد أو ارادة كحال العصية نفسها . وقد ورد ذلك على عموه في كلام الحلاج من لحاظ آخر .

٤ — كتاب « الاصول والفروع » : وبين انه يتناول جانبين الدين ، من حيث تلقيه وتنسقه ، تساولا يقسمه الى جانب عملي واخر نظري كما فعل متفقه المتكلمين ، والاصوليون بعد ، في تقسيم التراث الديني التشريعي الى هذين القسمين .

— كتاب « الالف المعطوف والالف المألوف » « ضمن : خزان الخيرات ، الاتي » . وسنقول فيه كلمة عند ادراج الكتاب الاساسي . وينبغي ان نشير في هذا المجال الى اخراج هذا الكتاب من هذا الاحصاء المرقم لاحتياال وقوعه ضمن الكتاب المذكور .

٥ — كتاب الاملال والابواب : لعله يتناول موضوعا لغويا أو أدبيا أو صوفيا .

٦ — كتاب التحليات : وقد جاء في الفهرست على « المتجليات » ونظنه تصحيفا ونرى ما اشتباه ارجح . وموضوع الكتاب يجري في نسق مع افكار الحلاج ، والصوفية على العموم ، في بنائهم لنظريتهم الخاصة في المعرفة الالهية .

٧ — كتاب تشخيص الظلمات : لقد جاء هذا الكتاب في الفهرست على « شخص الظلمات » وهو عندنا تصحيف واضح . وبين في رأينا ، انه يبحث في فلسفة الحلاج في مسألة ظهور الظلام الى الوجود مشتقا أو غير مشتق من النور . ولعله ناقش فيه الفكرة المجوسية والمتويفية ولعله يحدسها لاثبات التفسير القرآني للموضوع نفسه .

٨ — كتاب تفسير : « قل هو الله اهد » : وأوضح انه يتناول الصفات الالهية ويعرض للمسيح ، بوصفه روح الله وكونه كمثل آدم ، وصلته بالذات الالهية عند المسيحيين ومنتد المسلمين وعنده ان كان له رأي خاص .

٩ — كتاب التوحيد : بين ان هذا الكتاب يدخل في صلب علم الكلام ، ولعل الحلاج سجل فيه فكرته عن هذا الموضوع الاساسي في العقيدة الاسلامية .

١٠ — كتاب حم الاصغر .

١١ — كتاب حم الاكبر : ذكر البيروني هذين الكتابين بالجيم المعجمة ، لا الحاء المهمله ، وهو تصحيف مغلل يسأل عنه محقق الكتاب . وواضح ان حم

تشير الى احدى الحواميم التي يحفل بها القرآن كاشارة الحلاج الى الطواسين (= جمع طس) والى كثير من عنوانات السور القرآنية الاخرى التي تتعدد في ثبت مصنفاته .

١٢ — كتاب حمل النور والحياة والارواح : ولعله يشير الى نظرية الكون النظامية او الى آية الميثاق التي تثبت للانسان وجودا ذريا غير جسمي قبل تسعيب البشر الى افراد لهم تعددهم واستقلالهم الفردي ، وكيف تم ذلك من الناحية الدينية والعملية .

١٣ — كتاب خزائن الخيرات : الذي وصفه ابن النديم بانه « يعرف بالالف المقطوع والالف المألوف » . وما يرجح كون هذا الكتاب « الالف المعطوف » لا « المقطوع » اتصاله بكتاب « عطف الالف المألوف عن اللام المعطوف » لابي الحسن الذهلي (علي بن محمد ، من رجال القرنين الرابع والخامس الهجريين ، العاشر والحادي عشر الميلاديين) الذي حققه ج. ك. ثادييه ونشره له المعهد الفرنسي بالقاهرة سنة ١٩٦٠ م . وما يذكر ان هذا الكتاب ، الذي لم يطلع عليه المرحوم ماسينيون لا مخطوطا ولا مطبوعا عند تحريره لمصنفاته عن الحلاج ، تضمن اخبارا واسعارا واشارات الى الحلاج . فلعل مصنفه استعار عنوانه من مصنف للحلاج على الصورة التي تصلح للتصحيف تسمية الاصل منه .

وعلى العموم ، فالالف تعني الخلق هنا ، والحلاج يبحث عن الخلق المألوف المعتاد في فهم الناس والخلق المعطوف عليه المتصل به مما لا يعرفه الناس وينفرد هو بتفسيره وإيضاحه . وما يحسن ذكره هنا ان للحلاج كتابين يرجحان هذا التوجيه هما كتابا : الوجود الاول والوجود الثاني . فكان الخلق المألوف هو الوجود الاول ، والخلق المعطوف هو الوجود الثاني أو شيء من هذا القبيل .

١٤ — كتاب خلائق القرآن والاعتبار : والاعتبار مذهب فكري واجتماعي لجماعة من الاسلايين اشار اليه الجاحظ وتبناه سهل بن عبدالله التستري وقطبن اليه وبحثه ، في رسالته الجامعية ، زميلنا الاخ الدكتور محمد كمال ابراهيم جعفر بكليسة دار العلوم . فكان الحلاج يشير في مصنفه هذا الى القواعد القرآنية لمذهب الاعتبار المعاصر له .

١٥ — كتاب خلق الانسان (علمه) البيان : لقد جاء هذا العنوان في الفهرست على : « خلق الانسان والبيان » وهو — في رأينا — تصحيف والمراد به ، فيما يلوح لنا ، الخوض في العلم اللدني والمعرفة المهمة على نسق تعليم الله آدم الاسماء كلها دفعة

واحدة بوحي منه تعالى . وربما اريد بهذا الكتاب جر المعرفة مع الاعمال في قوله تعالى . « وهو خلقتكم وما تعملون » ليكون التعبير الانساني والبيان الذهني شيئا لا دخل للانسان فيه .

١٦- **كتاب الدرة الى نصر القشوري :** ومعروف ان نصرا كان صديق الحلاج وحاميه في محبسه (المريح) في بغداد . ويبدو ان الحلاج حرره على نسق كتب ابن الراوندي الشيعي المعتزلي المتهم بالزندقة ككتاب الزمرد وكتاب الناج وغيرهما . والمظاهر ان الحلاج حذا فيه حذو ابن الراوندي في افكاره واسلوبه . ومعروف ان الاعتزال لم يكن غريبا على الصوفية ، على العموم ، وخصوصا فيها يتصل بفكرة نفي الصفات التي وجهوها وجهة خاصة .

١٧- **كتاب « الذاريات ذروا » :** (ولعله : والذاريات ذروا) باعتباره ، على الراجح ، تفسيرا لهذه السورة من القرآن .

١٨- **كتاب « السياسة والخلفاء والامراء » :** وقد جاءت كلمة السياسة على « السياسة » ولا يستقيم بها المعنى والتتابع ، فالسياسة هم من عدا الخلفاء والامراء من شاركوا في سياسة الدول الاسلامية ، ومن هنا لا تستقر الجلالة الا بالسياسة . وقد ذكر ان هذا الكتاب قد وجد في خزانة علي بن عيسى الوزير وانه كان يدور حول آداب الوزارة (انظر كتابنا : شرح ديوان الحلاج ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ٤٥) .

١٩- **كتاب « سر العالم والمبعوث » :** ولعله يتناول الصلة بين النبي والعالم ويعكس رأي الحلاج في النبوات وسلاسل الانبياء .

٢٠- **كتاب « السمرى وجوابه » :** ومعروف ان السمرى كان من اسدقاء الحلاج واتباعه ، ومن خدمه واخلصوا له الى نهاية حياته ، وكانت اسرة السمرى تخدم الحلاج في السجن ، ويبدو ان صديقه هذا سأل ان يحرق له جوابا تحريريا على سؤال خطر له ، ليكون له من الحلاج تذكارا عزيزا وتوجيها قيما .

٢١- **كتاب « السياسة الى الحسين بن حمدان » :** وواضح ان هذا الكتاب — ولعله كان بعنوان « السياسة » وان كنا لا نرجحه — يدور حول العمل السياسي وكيف ينبغي ان يكون وعلى التنظيم السري وكيف ينبغي ، اذ المعروف عن الحسين بن حمدان انه كان قائدا عسكريا انتقلابيا طموحا وانه دوح الدولة بمحبياته وطموحه حتى عفى عنه بآخرة . من هنا يبدو ان الحلاج كان يريد لهذا

القائد ان يكون خليفا له موحيا من قبله طبعيا في مشاركته الكفاح من اجل تحقيق اهداف سياسية مشتركة تتمثل في اسقاط النظام العباسي السذي كانت الكتل السياسية والقوى الدينية والمعارضة الاممية تترسب به الدوائر .

٢٢- **كتاب « الصديق والاخلاص » :** ويذكر هذا العنوان بما ورد في اخبار محاكمة الحلاج من انه اُحال الى كتاب الاخلاص للحسن البصري باعتباره مصدرا للفتيا التي اصدرها من اماكن الاستغناء عن الحج بطريقة اخرى غير شد الرحال الى مكة . وقد ذكر ايضا ان المصدر كان « كتاب السنن » للحسن البصري وكذا كتابا شيعيا اسعابيليا . والمظاهر — والله اعلم — ان الحلاج ، يقطع النظر عن مصدر معلوماته ، كان يحيل على كتابه هذا ضمنه تحريجات اخباره واسانيده وحججه .

٢٣- **كتاب الصلاة والصلوات :** ولعل الصلاة مصححة من كلمة اخرى لم نبتينها بها يكن الامر — وعلى فرض الصحة — لعل الصلوات تعني الصلوات على النبي وآله باعتبارها وسيلة لاجابة الدعاء وإظهار الكرامات كاي رسخ في التصوف بعد .

٢٤- **كتاب الصيهور في نقض الدهور :** وصف الحاج خليفة هذا الكتاب في مصنفه المخطوط « سلام الوصول » (مخطوط شهيد علي ، باسطنبول ، رقم ١٨٨٧ ينقل ماسينيون) المخطوط بأنه كتاب « في علم الحروف والطلسمات والسيما والكيما » .

لهذا عقدنا صلة بين هذا الكتاب وبين كتاب الحلاج ، المعروف في رأي ابن تيمية وفي ايامه ، بأنه كتاب سحر . ومن هنا لن نضع الكتاب الذي ذكره ابن تيمية رقبا في هذا البث الى ان يتضح لنا انه غيره .

موفق هذا ذكر لفظ « الصيهور » في طبعة ليزج من الفهرست على « الصهيون » وفي طبعة مصر منه على « الصيهور » . والفصل السبعة (٦) بين الدهور والصيهور ، وتنصيص الحاج خليفة عليه بالحسروف نفسها .

يضاف الى هذا ان ماسينيون اشار الى ان بقية تدقيق من هذا الكتاب الضائع للحلاج ، وانها وردت في مقدمة كتاب قناطر الخيرات للجيطالي (ابي طاهر اسماعيل بن موسى النفوسي ت ١٣٤٩م) ، وحدد مكانها بالمصنفين الثالثة والرابعة من جزئه الاول . وواضح ان ماسينيون يشير الى نسخة مطبوعة من هذا الكتاب هي التي اصدرها الشيخ محمد يوسف الباروني من الطبعة البارونية بمصر سنة ١٢٠٧هـ / ١٨٩٠ م ، والى ذلك اشار محمود خليفة الفاهر محقق

الطبعة الجديدة (مصر ، مكتبة وهبة ١٩٦٥م) في المقدمة : (٢/١) . لكن نص العبارة المذكورة غير محدد الا بقول ماسينيون في صفة الجيطالي بأنه « اعد استعمال مقدمة كتاب الصيهور للحلاج في رأس كتابه : قناطر الخيرات » (٧) .

فاذا صح هذا فلا بد ان المقصود بهذه الفقرة النص السابق على عبارة « اما بعد » في قناطر الخيرات المذكور (١/١-٢) وننتقل هنا ننصها انهابا للفائدة وان كان الامر يحتاج الى مزيد تحقيق وتحقق .

قال الجيطالي في فاتحة كتابه قناطر الخيرات : « الخلد لله المتوحد بالالوهية والكبرياء ، المنفرد (المنفرد اصلا) بالديمومة والبقاء ، المتقدس عن نقائص العاهات ، تعالى عن العيوب والافات خلق كل شيء قدره ، واخترع الانسان وصوره . خضع كل شيء لهيبته ، وتواضع كل شيء لعظمته ، وذل كل شيء لعرته ، واستسلم كل شيء لجبروته . لم يزل عالما بجميع الحداثات على ما هي عليه من الصفات : من تفاصيل اجناسها ومجاري انفساسها قبل وجود اعيانها وجريان ازمانها . شاءه الحكيم في ازليته فظهرت على وفق مشيئته .

ليس له شريك في انشائها ولا ظهير في ايجادها . انشأها لا من شيء معه موجود ، وانتخبها على غير مثال معهود . اخترعها دالة على قدرته وتحقيقا لما (كان) من ارادته ، وما خلق الجن والانس الا لميادته . عالم في الازل لما هم عالمون وبأجاليهم التي ينتهون ويزارتهم التي لم لها آكلون . فهم لما علم منقسم منقادون ، على ما سطر في كتابه المكنون باضون . فجميع ما وجد بعد العدم ، من الاشياء والامم ، فقد سبق به من الله القضاء وجف به القلم . فالأجل محدودة والانفس معدودة والارزاق مقسومة والاعمال محتومة والاثار محسوبة وفي اللوح مكتوبة .

لا يستأخر شيء عن اجله ، ولا يسرته قبل حلوله ولا يفوت احدا رزقه القسوم ولا يتعدى ما قدر له في امره المحتوم . سبقت كلمته الحسنى لعباده المرسلين وأوليائه المخلصين كما حق القول منه لاعادته الغاوين . كل ميسر لما خلق ولا يتجاوز ما وقت له « ويعلم ما تكن صدورهم وما يعلمون » « واذا قضى امرا فانبا يقول له كن فيكون » .

احبده حيد من اخلص له الاتابة وادعوه دعاء مؤمل للاجابة واشهد ان لا اله الا الله الملك الحمود الذي ليس بولد ولا مولود ، واشهد ان محمدا عبده المرئى ورسوله المصطفى : لرسله الى الثقلين « بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » ، فيبلغ به رسالة ربه ناصحا لامته حتى اتاه من ربه اليقين بعد كمال الدين .

صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الاخيار واصحابه المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان الى يوم تشخص فيه الابصار » (٨) .

٢٥- كتاب طاسين الازل والجوهر الاكبر والشجرة النورية : يبدو ان هذا العنوان لا ينطبق على كتاب واحد وانما يتجاوزها الى ثلاثة فيزيد عدد مصنفات الحلاج اثنين . ذلك ان طاسين الازل فصل واحد او سفر واحد او سورة من كتاب الحلاج المشهور (الطواسين) (جمع طس اشارة الى السورة المكسبة المعروفة) وقد نشر ماسينيون الطواسين بنصه العربي والفارسي محققا عن نسخ مخطوطة في استنبول ولندن مع حواش نقلها من الكتاب الفارسي « شرح شطحيات » لروزيهان البقلي .

واذ لا يتضمن كتاب الطواسين الاشارة الى « الجوهر الاكبر والشجرة النورية » بته ، تعود لنسجل رجحان كون « الجوهر الاكبر » و « الشجرة النورية » عنوانين لكتابين ضامعين من كتب الحلاج . اما الطواسين نفسه فكتاب في الفتوة فمفسلة على نحو عقلي واقناعي صاغة الحلاج صياغة تنفجر ذاتية وثقة وإيمان وقوة . وما يذكر ان طاسين الازل (دون الانقباس) محفوظ وما يذكر طاسين الازل (دون الانقباس) محفوظ في المكتبة الرضوية بايران وله بصورة في معهد المخطوطات العربية تحت رقم ٣٢٩ . وبالنسبة للنقسم الحادي عشر من كتاب الطواسي الذي عنوانه « بستان المرمر » تحتفظ المكتبة عيناها بنسخة مخطوطة له تم نسخها سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م ولها بصورة في معهد المخطوطات العربية ايضا تحت الرقم الآنف الذكر .

٢٦- كتاب « الظل المندود والماء المسكوب والحياة الباقية » : في تفسير قوله تعالى : « وظل مددودماء مسكوب وفاكهة كثيرة » في صفة اهل الجنة وحياتهم الباقية . والآيات في سورة الواقعة ٣٠، ٣١ ، ٣٢ . ويبدو ان عبارة « الحياة الباقية » ، في العنوان ، مستمدة من صفة فاكهة الجنة الكثيرة التي يصنها القرآن بانها « لا مقطوعة ولا ممنوعة » . فكان هذا الكتاب تفسير تاويلي لسعادة الانسان الباقية في الجنة ولعل فيه ردا على ابي الهذيل العلاف الذي كان يرى انقطاع حركات اهل الجنة على نحو اخذه عليه زملاؤه المتكلمون .

٢٧- كتاب الفعل والتوحيد : وواضح ان موضوع هذا الكتاب يدور حول عقيدتي المعتزلة المعروفةتين اللتين انتقلتا الى الشيعة الزيدية والائنا شريفة بعدد ، وربما دار حول تناولها تناولوا آخر مستقلا عن الجميع .

٢٨- كتاب علم البقاء والفناء في التصوف ظاهرا وواضحا .

٢٩ - كتاب الغريب «و» الفصح : وقد ورد العنوان في فهرست بنقص الواو ولا مناسبة في بحث الغريب الفصح بل المناسبة في المقارنة بينهما ، ولعله الكتاب اللغوي النادر للحلاج .

٣٠ - كتاب «في آداب الوزارة» : ذكره الصابي في كتابه « الوزراء » ووصفه بأنه « دفتر منسوب إلى الحلاج فيه آداب الوزارة » . وزاد بأنه وجد في خزانة علي بن عيسى الوزير (انظر كتابنا شرح ديوان الحلاج ، ص ٤٣) ولعله أحد الكتب السياسية الآتية بعد ، وإن كنا نرجح أنه مستقل عنه .

٣١ - كتاب في تفسير (قوله تعالى) « ان الذي انزل (الصحيح : فرض) عليك القرآن لرادك إلى معاد » (التخصيص ٢٨ : ٨٥) . ويبدو ان موضوع هذا التفسير هو اثبات الرجعة وهي العقيدة الشيعية المعروفة .

٣٢ - كتاب القرآن والفرقان في الفرق بين المصلحين وحدودهما فيها يبدو .

٣٣ - كتاب القيامة والقيامات : ويبدو ان الحلاج تناول فيه موضوع القيامة بمعناها المألوف مرة ثم بمعنى القِيَامَتَيْن وهما الرجعة التي هي القيامة الصغرى والقيامة الكبرى التي يجري فيها الثواب والعقاب ، وأخيرا بالمعنى الرمزي على الطريقة التي نتجدها عند الاسماعيلية واخوان الصفا والفلاسفة على العموم .

٣٤ - كتاب الكبر والعظمة ، في الصفات الالهية - فيها يبدو - على رأي الصوفية وارتباطها بالسلوك الصوفي بمقتضى التقسيم الثنائي لها الى صفات الجلال التي منها الكبر والعظمة والى صفات الجمال التي منها الرحيم والغفور وما إليها .

٣٥ - كتاب الكبريت الاحمر : الذي يشير في معناه الى العنصر النادر الوجود ، ولعل الكتاب في السلوك الصوفي على الاسلوب الحلاجي في طلب التصفية الروحية . وما يذكر ان لعبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣هـ / ١٥٦٥ م) كتابا مطبوعا بهذا العنوان .

٣٦ - كيد الشيطان وأمر السلطان : ولعله يعرض لما في السياسة المعاصرة له من شرور واباطيل .

٣٧ - كيف كان وكيف يكون : في موضوع من موضوعات علم الكلام فيها يبدو .

٣٨ - كتاب الكيفية والحقيقة : ولعله الكيفية في الحقيقة او بالحقيقة .

٣٩ - كتاب الكيفية والجاز : ولعله الكيفية بالجاز اومى الجاز . والظاهر ان الكتابين يدوران حول دحض

مقولة الامام مالك والظاهرين والحشويين السلفية من منع المسلم من التصدي للصفات الالهية وبحنها بحثا عقليا والاكتفاء من ذلك بالتسليم المطلق والإيمان الاعمى . ومعروف ان شعار هذا الفريق كان قول الامام مالك :

« الاستواء منه معروف والكيف منه مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة » ، وذلك فيها يتصل بقوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » الذي يمثل إحدى الآيات المتشابهة المتصلة بالصفات الالهية .

وكان من رأى الحلاج والصوفية على العموم ان الكيف معلوم ايضا لكن الغيب هو المجهول (راجع شرح القصيدة ١٥ من ديوان الحلاج بتحقيقنا وفي هذا الكتاب الذي تقدم له بهذه الفقرات) .

٤٠ - كتاب لا كيف

٤١ - مدح النبي والمثل الاعلى :

٤٢ - كتاب مقالات السبع عشرة في علم السيمياء على سبيل الرمز (٩) .

٤٣ - مواجيد المارفين : وقد جاءت الكلمة الاولى على « مواجيد » وهو تصحيف واضح ورد في فهرست والمواجيد : هي العواطف وطريقة التعبير عنها عند الصوفية تجاه الحق تعالى .

٤٤ - نور الاصل : الذي يذكره البيروني وحده (١٠) ، وربما تناول الحلاج فيه فكرة نورانية الله على النحو الذي جاء في القرآن ووافق عليه الاسلاميون قبله ، من نحو هشام بن الحكم مثلا ، ثم وجهها الحلاج الوجهة التي استقرت عنده وصارت اساسا لمذهبه في المعرفة والتصفية الصوفية . ونور الاصل يذكر بالشجرة النورية الماضي .

٤٥ - نور النور : الذي ذكره ابن التديم ، وربما حمل الذهن على التوحيد بينه وبين سابقه . والحق اننا نرجح استقلاله اذ نلن الاول يبحث في جوهر النورانية واتصالها بالله وبحث هذا استمداد الانسان .

المعرفة من الله على نحو استمداد القمر نوره من الشمس كما ورد في كلامه نصا . ومعروف ان فكرة النور القرآنية ترد في سورة النور والآيات الكثيرة الاخرى التي ترد كثيرا في القرآن ، ومنها استبد الاشرافيون عقيدتهم بعد قتل الحلاج بقرنين ونصف من الزمان . وما يذكر ان لابن عربي رسالة في هذا الموضوع بعنوان « رسالة الانوار » وقد شرحها عبد الكريم الجبلي بكتاب سماه « الاسفار عن رسالة الانوار » ط . دمشق . ١٩٥٩ .

أن ثبت كتب الحلاج ، الذي توصلنا إليه ، يمد نحو خمسة وخمسين كتابا أنزل الزمان ستره على أربع وخمسين منها ، ولم يبق منها الا على كتابه الطوسيين وحده — وكان آخر كتاب حرره الحلاج . وإذا كان لنا ان نعد ديوان الحلاج مصنفه لكان ترتيبه السادس والخمسين . ولجميع اشعار الحلاج ومناجياته قصص مشوقة يجدها القارئ في فصل تحت عنوان «ديوان الحلاج» من كتابنا هذا .

الموضوعات التي طرقها الحلاج

باستقرار الثابت السابق لكتب الحلاج يتبين تعدد الموضوعات التي خاض فيها وان كانت تدور في حلقة محدودة عنصرها كلامي وفلسفي وصوفي . ويبدو ان الحلاج بدأ من اللغة مكتب فيها كتابته :

« الغريب والفصيح » « والامثال والابواب » على اساس موجه يتصل بموضوعه الخاص . وعلى عادة المتكلمين ، على الصدور عن القرآن وفهمه ، كتب الحلاج عددا من الكتب في تفسير آيات وسور من القرآن تخدم غرضه العقلي والروحي . بل كتب في فهمه الخاص لطبيعة القرآن نفسه كتابه : « القرآن والفرقان » « وخلق القرآن والاعتبار » . وفي التفسير كتب الحلاج — بما ادرجناه من كتبه — « تفسير قل هو الله احد » كتاب حم الاصغر وحم الاكبر وتفسير سورة الذاريات وسورة النجم وصورة الرحمن وكتاب « خلق الانسان عليه البيان » وتفسير آية الرجعة من سورة القصص وتفسير : « ان الذي مرض عليك القرآن لرادك الى معاد » . وطبيعي ان طابع هذا التفسير يتخذ مادته من افكار الحلاج العقلية الكلامية بل الفلسفية . لهذا كان من الطبيعي ان تدور موضوعات مجموعة من كتب الحلاج حول مباحث كلامية صريحة لا تغفل شكا ، من ادله على هوبتها كتبه : التوحيد والعدل ، والتوحيد ، والاصل والفروع وكتاب اليقين . وفي ثانيا هذا الموضوع وتفسيراته كتب الحلاج كتابه السابق في الرجعة وكتابه في مدح النبي والمثل الاعلى وكتابه الاخر في العصبة في تفسير سورة النجم وكتابه في الاحاطة والفرقان في ان الائمة اثنا عشر على نسق الائمة لقوله تعالى : ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، واعتبار الائمة اهلة تستمد نورها من الشمس يعود بنا القهقري الى فكرة الحلاج حول استمرار المعرفة الالهية الدنيوية كاستعداد القبر للزور من الارض ، وعلى هذه الفكرة اوخذ لاول القبض عليه . فكان كتاب الاحاطة والفرقان توجيهه اشراقي للشمع الاثنا عشرى قام به الحلاج بنفسه ربا سابقا واعباصا على الاصل لالاخوان الصفا والشعبة النصيرية والمفوضة ان لم يكونوا اثنا عشرية .

وحيث ان علم الكلام يرتكز على فلسفة التوحيد

٤٦ — كتاب النجم اذا هوى : (الصحيح والنجم اذا هوى : سورة النجم ٥٣ ، ١) في تفسير هذه الآية وخصوصا ما يتلوه من قوله تعالى : ما خلصناك من الهوى وما غوى وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ، عليه شديد القوى الخ . وبما يذكر ان قصة الغرائيق المعروفة ملصقة بهذه السورة لعل الحلاج تعرض لتفنيها في ثانيا شرحه الصوفي لها اذ تعارض هذه تعارضا تناقضيا معها .

٤٧ — كتاب الهياكل والممالك والعالم : ولعله في المعرفة الانسانية وكيف تتم — بوصفها وجودا مطلقا — مجردا — للهيكلي الجسمي الانساني بوصفه جسما بائيا محدودا . ومعروف ان للسهرودي القنول كتابه هياكل النور الذي يدور حول موضوع مشابه .

٤٨ — كتاب هو هو : والمطلون عندنا انه يبحث في الذات الالهية وتفردها عن كل شيء آخر في الممالك بالصمدية استمدادا من قوله تعالى « ليس كمثل شيء » وغيره .

٤٩ — كتاب الوجود الاول ،

٥٠ — كتاب الوجود الثاني : واضح ان المقصود بالكتاب الاول هو الوجود في عالم الذر مصداقا لقوله تعالى : « واذا اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم . السبت برسم قالوا : بلى شهدنا » ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » (الاعراف ٧ ، ١٧١) وهي عقيدة صوفية بحثها الجند البغدادي والصوفية (راجع رسائله) وتسمى هذه الآية عندهم آية الميثاق . وبما الوجود الثاني فهو الوجود المادي في الاجسام الذي يختتمه يوم القيامة على الصورة المعروفة .

٥١ — كتاب البيظلة وبند الخلق : ولعل البيظلة محررة من لفظ آخر . ويبدو ان الكتاب يبحث في الموضوع السابق ايضا .

٥٢ — كتاب اليقين : والظاهر ان هذا الكتاب يدخل ضمن مباحث الحلاج في علم الكلام الذي عرفه المصنفون المتأخرون بأنه « تحلية الايمان بالايقان » . يبقى ان نشير الى كتاب السحر الذي اشار اليه ابن تيمية وتوقفنا في فصله عن كتاب الصيهور المذكور ، والى كتابي : الجوهر الاكبر والشجرة النورية اللذين اقتريا بالطواسين ورجعنا استغلالهما عنه ، ثم كتاب نور الاصل الذي ذكره البيروني فتوقفنا عن تسجيله تحت رقم مستقل لشبهه بكتاب نور النور الذي سجله ابن التديم للحلاج . بهذا يبدو

أصلا لم يكن بد لاي متكلم من الخوض في الذات والصفات
والاسماء الالهية على أساس عقلي متقن . من هنا وجدنا
في كتب العلاج سبعة كتب على الاقل في هذا المجال منها
كتبه : « الكبر والعظمة » و « نور النور » و « وهو هو »
« ولا كيف » و « الكيفية والحقيقة » و « الكيفية والمجاز »
« وحمل النور والحياة والارواح » وربما غيرها .
وفي العالم والوجود وفي الحدوث والقدم والخلود
في الجنات وفي النور والظلمة كتب العلاج كتبه :
« كيف كان وكيف يكون » « والوجود الاول والوجود
الثاني » و « البتلة وبدء الخلق » و « خلق الانسان عليه
البيان » « والابد والمابود » « وتشخص الظلمات »
« والصهور في نقض الدهور » « والقبالة والقبالات »
« وآخر » « الظل المبدود والماء المسكوب والحياة الباقية »
وهي موضوعات يأخذ بعضها برقاب بمس في ---
واضح وارتباط ساذج وكثنا تراها باعينا .
واذ كانت هذه المباحث وسائل لتحقيق غاية رمى
اليها العلاج ، وذلك بينائه فلسفة صوفية خاصة ، كان
من المتوقع بل الواجب ان يكتب مصنفات في التصوف
نفسه ومكوناته البارزة . في هذا المجال خلف العلاج
كتبه : « علم البقاء والفناء » و « مواجيد المرافين »
« والصدق والاخلاص » « والطواشين » و « الصلاة
والصلوات » . وفي علم المعرفة الصوفي كتب كتابه :
« التجليات والهيكل » « والعالم والعالم » . وفي أسرار
المعرفة كتب كتبه : « الالف المخطوف » « والأحرف
المحددة والازلية » وربما كتابه « الامثال والإيوان »
ورجل مثل العلاج في ممارسته للخرافق العملية
طبيعي ان يكتب فيها سراحة او ضنا ، ومن هنا ذكر
عنه تصنيفه لكتاب الصهور الذي عد كتابا في السحر
او تصنيفه لغيره على نحو ما ذكر ابن تينية . وفوق هذا
اذا كان العلاج عالما بالكيمياء والسيما علم لا يؤلف
فيهما ؟ وهكذا جاء كتابه « المقالات السبع عشرة »
منطويا على هذه المعرفة بالذات . ومما يثير الاهتمام
جدا ان ابن ابي جهور الاحصائي (محمد بن احمد بن
ابراهيم ، ت. بعد ١٩٠١هـ / ١٤٩٦م) جعل العلاج في
صف واحد مع السيد المسيح في القدرة على احياء الموتى
والتصرف في الحياة وعد ذلك علما « هو المتعلق بطول
العالم الروحاني - وهو عالم المعاني والامر - ويتعلق
بعرض العالم الجسماني - وهو عالم الخلق والطبيعة
والاجسام - » . (انظر كتابه المجلي ، ط . طهران
١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م ، ص ٨) وختم هذا المصنف عبارته
بقوله : « وهذا كان علم الحسين بن منصور العلاج » .
وعاد يقول : « فاذا سمعت احدا من اخوان هذه الطريقة
يتكلم فيه بالحروف في الحروف فيقول : ان الحرف
الغلاتي طوله كذا ذراعا وعرضه كذا ، كالعلاج وغيره ،

فانه يريد بالطول فعله في عالم الارواح وبالعرض فعله
في عالم الاجسام ذلك المقدار المذكور » . وفي النهاية
صرح ابن ابي جهور الاحصائي بان « هذا اصطلاح
وضعه العلاج » (ايضا ، ص ٨) . ومن هنا يتبين ان
الكيمياء والسيما والكرامات والمغوثات والمعجزات كانت
عند العلاج علوما من العلوم تطلب بالمعرفة وتكتب عنها
التصانيف ، وهو امر بالغ الخطورة في دنيا البحث الحديث
حقا ، اذ يحذف من شؤون العلاج باب الكرامات بقضه
وقضيضة ويجعله من مخترعات الخيالات والاهوام .

بقيت السياسة باعتبارها القالب العملي للتنظيم
الروحي الجديد الذي حلم العلاج باقامة دولة الاولياء
على اساس منه . من هنا لم يكن غريبا ان نوسع
بكتابه : « السياسة والخلفاء والامراء » و كتابه الآخر
« السياسة » او السياسة الذي كتبه باسم الامير الحسين
بن حمدان . وربما كان كتابه الدرة الذي قدمه الى نصر
القشوري في نطاق هذا الموضوع بالذات . بل لعل
كتابه الى السري وكتاب « كيد الشيطان وامر السلطان »
من هذه المقالة ايضا . واذا ساء لنا ان نحكم باستقلال
كتابه الذي كتبه في آداب الوزارة ساء لنا ايضا ان
ننسى الى هذه المجموعة من الكتب .

وبعد فان من غرائب التاريخ ان ينقطع ذكر كل
هذه الكتب التي صنفها العلاج وتتبدد فلا يبقى لها اثر ،
الاكتابه الطواشين ، واغرب منه الا يشرع بعضها في
كتب مستقلة ومن يدرى فلعلها تنظر البنا الان من زاوية
في صقع من اصقاع العالم الاسلامي بطوله وعرضه :
واذا قدر للصيرفاني ، شبيه العلاج في الافكار والمسير ،
ان يبقى له « كتاب التكليف » مبتكرا تحت عنوان « فقه
الرضا » فلعل كتابا من كتب العلاج تتداول تحت شمس
المطبوعات وفي ظلام المخطوطات دون ان ندري ، ولعل
نشاط الباحثين المحدثين في الشرق والغرب يسفر عن
اكتشاف مصنفات العلاج .



- ١ - فهرست ط . ليزج ١٨٧٢م ، ص ١٩٢ ، وط . مصر ١٨٤٨
ص ٢٧١ .
- ٢ - البدء والتاريخ للبغدادي ٢٦/٥ .
- ٣ - الآثار الباقية عن الائم الخالية ص ٢١٢ .
- ٤ - جامع الرسائل ، بتحقيق د. محمد رشاد سالم ، مصر ١٢٨٩هـ /
١٩٦٩ ، ص ١٨٨ (= رسالة في الجواب عن العلاج : هـل
كان صديقا ام زنيقا ؟) .
- ٥ - طبع لتفرد ١٩٢٩م ، ص ١٩١ .
- ٦ - للمصيرفاني لفة « شبه منبر من طين لناع البيت من صفر



قصة قصيرة



— آه هل ينسى الإنسان الحبيب
الأول ... ؟
لا أنسى كيف لحقتها — لأول
مرة — في الطريق ... كانت تتوسط
غنة من أترابها . وكل واحدة وسبها
الجمال بسمه رائعة ... لكنها ،
وحدها كان جمالها صارخا ، تنف
عليه الميون شاحسة ... سمعتها
تتكلم بصوت رقيق ، له غنة تتمثل

وتحوه « كما في القاموس المحيط للفيروز آبادي ، فكان معنى
العنوان : الكتاب « الحاوي » لتقضى الدهور أو صوان أو
خزانة تقضى الدهور باعتبار موضوع التقضى شيئا هينا لا يستحق
عناء المحافظة عليه أو صونه في موضع أمين .

٧ — انظر المقال : « حياة العلاج بعد موته » للمسيون وترجمه
د. أكرم فاضل في مجلة المورد البغدادية ، المجلد الأول ،
العدد ٣ — ٤ ، ص ٦٤ ب .

٨ — قاطر الخيرات ١/١-٢ وربما كانت نهاية العبارة المقصودة الى
قوله « فلما يقول له كن فيكون » ويلاحظ ان الاسلوب بعد
هذه الكلمات لا يختلف عن سابقه مما قد يصلح حجة للتشكيك
في نسبة العبارات السابقة الى العلاج قبل ان يرد فيه نص
واضح او بينة مقنعة .

٩ — مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده (ابي الخير
احمد بن مصطفى بن خليل ، ٩٠١ — ١٢٩٥/١٢٩٥ — ١٢٥٦)
بتحقيق كامل كامل بكري وعبد الوهاب ابو القور ، القاهرة
١٩٦٨م ، ٢٤١/١ . وقد ذكر طاش كبرى زاده ان السيباء نزع
من السحر ، وعرضها هكذا « علم السيباء » وقد يطلق على
غير الحقيقي من السحر كما هو المشهور وحاصله احداث مثالات
خيالية في الجسو لا وجسود لها في الحس . وقد يطلق
على ايجاد تلك المثالات بصورها في الحس ، ويكون صورة في
جوهر الهواء ، ولهذا يسرع زوالها لسرعة تغير جوهر الهواء ،
وعدم خطفه ما يتغير زمانا طويلا ، لكنه يسرع القبول وسريع
الزوال لرطوبته ...

واجبال الحال ان يركب الساحر شيئا من خواص او ادهان
او مالمعات خاصة او كلمات خاصة توجب مخرجات خاصة وانفراك
الحواس ماكولا او مشروبا او نحو ذلك ولا حقيقة له ... »
(افسا ص ٢٤١) وانظر كشف القنون للحاج خليفة ، الذي
نوي بعد طاش كبرى زاده بقرن من الزمان ، (ص ١٠٢) فانه نقل
عبارة الاخير نقلا حرفيا واسقط ما يتعلق بالعلاج منها .

١٠ — الاثر الباقية عن الامم الخالية ص ٢١٢ .



في لحن كبير ، وسمعتها تنضح ...
ولم ادر : ماذا ملك على نفسي ؟
اتخرج ضحكها البريئة ، ام ما نركته
الضحكة على وجهها ، وبين عينيها
من خطوط تبت الحياة في التماثيل
الصامتة ، مكيف اذا كانت التماثيل
حية ؟ ورايت من عينيها عجباً ...
لاني - لأول مرة - امنت بأن
العيون تتكلم ...

ادركت - عند مرآها - انها لا
تزال طالبة ... وها هي تعود الان
مع صوحيباتها الى البيت ، وبين
أيديهم حقائب رشيقة ، سوداء .
نفخت الكتب حجبا .

وعددت الى البيت ، ولا تزال
صورتها تتلاحج امامي ، كان رساما
خيبتا رسمها على لوحة صدري ...
كلها عزمت ان اذهل عنها تصدتي لي،
واخذت خطوطها تنمو شيئا فشيئا ،
حتى يمحي كل شيء في ناظري الا
صورتها .

ومنذ ذلك اليوم ، كان دأبي ، عند
الاصيل ، في الساعة ذاتها ، ان
اخطر في الشارع الذي تمر به ،
لأنظر اليها ، وأحدق فيها ، دون
ادري الاسباب التي تدفعني الى
ذلك ...

وفي اليوم الذي لا اراها فيه تستبد
بي الشكوك : هل اتعدها عن
الحضور مرضي اليها ؟ هل احسنت
بنظراتي ، وملاحظتي لها ، فقاتلت ،
وغيرت طريقها ؟

ان الحب ، مثله مثل كل شيء ،
خلطه بمفاجأة واحدة ، ثم يهتك بنظرة
بعد نظرة ... ثم تتعاطف الروحان
الهائمتان في روح واحدة . ثم يبدأ
الطريق الشائك الذي يفتحه القدر
او يسده الى الابد .
لقد صدق ظني .

ذات يوم ، التفتت الى لاول مرة ،
فاذا بنظرتها تنكسر على نظرتي ،
وتعقبها ابتسامة لم تنفجر عنها
شفتاها الا قليلا .

لكن هذه الابتسامة الاولى
المحافظة لم تلبث ان اتسعت ، حتى

استطاعت ان تكون رسول القلب
الى القلب .

كانت لا تخرج الابرقعة صاحباتها ،
لكنها بعد تلك البسبة ، امست تنقو
الى الانفراد على الطريق ، لبيتني
لها ان تعبر عما في نفسها لنفسي .
وما هي الا ايام حتى رايتها
تتبالها في الطريق ... وانا خلفها
اخذت الخطى لامشي الى جانبها ،
وفجأة قالت ، وهي لا تزال تتبالا :
- من انت ؟ وماذا تريد من
انتهي ؟

قلت لها :
- انا ظلك الامين ...
فقالت :

- اظل عابر ؟ ام ظل مقيم ؟
ادركت مغزى سؤالها ، وقلت
لها :

- الحب الحقيقي يابى أن يكون
عابرا .

ابست لجوابي ، وأدركت انني
لست تاجرا من تجار الهوى ...
فقلت لي :

- اريد ان اراك ... وليكن
المقعد الذي يواجه حديقة العابة ، على
الساعة الخامسة مساء غد .

قضيت الساعات الطوال - بين
المسامين - كاتني اقضي دهرًا طويلا ،
وانا احدث نفسي بالف سؤال من
اسئلة لا تنتاهي ...

- ماذا تريد من هذا الموعد ،
وهذا اللقاء ؟

وفي هذا الموعد المضروب ، اقبلت
على حديقة الورد ، وميزت المقعد
الذي اشارت اليه ، من بين المقاعد
... جلست عليه ، ورحبت اناهل ،
امامي ، الوردود المفتحة بمختلف
الالوان ، وانشق شذاها الذي تعطر
الطبيعة نفسها به .

لماذا اخترت هذه الجلسة
الشعرية ؟ ومتى تعرفت الى هذا
المقعد ؟ وماذا يعرف المقعد من
تصنتها ؟

كنت اتطلع الى ساعتى ، وأقدر
الزمن دقيقة دقيقة ... وكأنها كل
دقيقة ساعة في حساب الزمن الذي
يحيط بي .

وفي الميعاد نفسه ، رايتها تدرج
نحو المقعد على مهل ، تلتفت يمينه
ويسرة ، كأنها تريد ان تثبت من
وجودي .

وما ان رايتني حتى حيقتي ، وجلست
في طرف المقعد ، فكان بيننا فراغ لا
يشعر العابر عنده بأننا كائنات جئنا
الى لقاء .

ابتدريتي بالسؤال :

- من انت ؟ لقد حيرني امرك
وجذبتني نظراتك ... هل انت
تجنبي حقا ؟

وقع السؤال على وقع الصاعقة ،
وسرت في جسدي رعشة كرعشة
الكهرباء فقلت :

- انني شعرت - منذ رأيك في
اللحظة الاولى - بانك رفيقة طريقي،
وانا رفيق طريقك .

ضحكت ، وقالت :
- هل تعتقد بأن الحب تجربة ؟
فاجبت :

- انه تجربة ... اذا اتفق
القلبان على احتمالها .

هزمت راسها ، كأنها وافقت على
ما قلت ، وقالت :

- اذن ، يمكننا ان نواصل الطريق
معا الى نهاية التجربة .

واستأنفت مني ، وانصرفت عنى،
بينما تسمرت على المقعد ، وعيناي
وحدهما تتبعان ظلها حتى توارى ..
تكرر اللقاء ، وفي كل لقاء كانت
التجربة تتعمق .

وفي يوم ، فاتحت اهلي بالزواج
... فانكروا ذلك علي ، لاني لا ازال
فتى مجهول المستقبل . ولكنني
اصررت ، وعرضت عليهم اسم
الفاتة التي اطلبها ، واسم العائلة
التي تنتهي اليها .

وما هي الا ايام حتى كان
القران ...



تزوجت تلك الفتاة الحسنة ...
فناة الطريق ... فناة الحديقة .
وصارت ريحانة بيتي ، وشغل قلبي
... ورايت في زواجي راحة نفسي ،
وواحة سعادتي .

أما هي فما زالت تواصل دراستها
الجامعية ، وأما أنا فقد وقعت على
عمل لائق ، ينهض بامر معاشنا .
كانت تمر الايام ... كما يمر
الربيع ... في كل يوم تفتتح زهرة
جديدة ، ويغني طائر جديد . والسعادة
التي كنت احلم بها — في الطريق —
غرقت البيت حتى جلبت هناء العالم
كله .

وفي يوم ... ارتمت على تقبلي
بحرارة ، وتعانقني بالترام ، وهي
تقول :

— يا كريم . انني ابشرك بأننسي
حامل ... هل يسرك هذا ؟ تكلم .
تكلم .

سمعت هذه الكلمة ، فملت اليها
أقبلها بحرارة ، وأعانقتها بالترام ،
وأنا أقول ضاحكا :

— سيجي — بعد قليل — من
يخطئك من يدي ، ويخطفني من
يديك ...

فصاحت غاضبة :

— إذا كان هذا ما سيكون ، فأنني
لا أريده ...

فأجبتها مداعبا :

— ولكن معنى هذا الخطف ...
أن يرتبط الاثنان بالمعدة الخالدة
الطبيعية .

قلت :

— إذا كان هذا هو الغاية فأننا
قد اتفقتنا .

ومرت ايام ، وجونها كان يتكور
أكثر فأكثر وكلما تحرك الجنين في
احشائها كانت تضحك وتقول :

— انه ، منذ الآن ، يلطمني
برجليه ... اي ولد سيكون ؟

وبعد تسعة أشهر جاءها المخاض ،
وبدا بصورة طبيعية ، ثم أمسى
عسرا ...

نقلتها الى المستشفى ونذير السوء
يهيب بي ، بصورة لا شعورية ، ولما
يشس الأطباء من الولادة الطبيعية
قررروا فيما بينهم أن يلجأوا إلى
المشاور ...

داعها الأمر ، في البداية ، ولا
انسى نظرتها إلي ، ملأ بالخوف
والتلق ، فشجعته على أن تقدم
وتقلوها — أمام عيني — فناة صفراء
شاحبة ، ترتعش بحياتين : حياتها
وحياة الجنين ، والقيت عليها نظرة
مذعورة كأنها شعوري الباطني
ينبئني بشر ...

ولكني ، مع ذلك ، كنت مطمئنا
الى براعة الأطباء ...
كنت انتظر على باب غرفة
العمليات ... وفي قلبي نار الانتظار .
وبعد ساعة ، فتح الباب ، فاردت
اقتحامه ، وإذا بالطبيب يدفعني
برفق .. فسألته :

— ماذا وقعت ؟
سكت الطبيب ، ونظر الي
باشفاق ... شددت عليه بمنس
وأعدت سؤالي :

— ويحك ، ماذا وضعت ؟

كان صوته أبلغ من البيان ...
أحسست أن الأرض تدور بي ...
وصحت :

— لقد فهمت . دعوني أراها .
لماذا تمنعوني ؟

اقتحمت الباب ... لاراه نائمة
نوما طليعيا دون أن تغض عينيها ،
صحت بلهفة :

— حبيبي . حبيبي !
وانطرحت عليها ، أقبلها ، الشها ،
أعانقتها .. كانت كتلة باردة ...

كلوح الجليد .. ثم فقدت وعيي ..
— يا الهي . أهذا ما انتظرناه من
الولادة ؟ يا للولادة التي تنتهي
بالموت . سيكون لحن الموت ممتزجا
بلحن الحياة ؟

أوصيت حمار القبور ببناء ضريح
رخامي يحضن ترابها .. ولكن ، متى
ينتهي التبر ؟ بعد شهر ؟ ليس ذلك
بكثير .

وقبل أن ينتهي بناء ضريحها ،
عرت الحفار نوبة قلبية أودت بحياته ،
وظلت الحجارة ماثورة هنا وهناك ،
منها ما صقله ازميل الحفار قبل موته ،
ومنها ما لا يزال باقير صقل .



تأخر بذلك بناء الضريح الحفار
الذي كان يوارى الاموات تحست
التراب ، ويرفع لهم شواهد فوق
التراب ، أمسى ودیعة طلي التراب .
يا للحياة التي لا تنتهي تجاربها
المفاجئة في الاحياء .

اهملت ، اياما بناء الضريح ، حتى
ارى حفارا اخر ، لا يكون مميره
مسير الاول .

بعد ليال معدودة ، استراحت
عيني ، لأول مرة الى النوم ، فاذا بي
اراه . . . في الحلم . انها كانت
نفسا تنهادي ايامي على شفرها
ابسابة غائمة ، كانها ملونة بالتراب .
ولما دنت مني قالت لي :

— احسن بك يا حبيبي ان ابقي ،
حتى الان عارية ؟

نهضت من نومي مذعورا ، واتا
احول ان اضنها الي . . . ماذا تريد
من كليتها ؟ كيف تحيا حياة عارية ،
وهي تنهادي ايامي برداء عرسها
الابيض التاسع .

لم افهم ماذا تعني ؟
بعد ليلتين عاودتني مرة ثانية فسي
الحلم ، وهزني ، وهي تقول :

— حبيبي ! هذا هو الشتاء يقبل
بعد قليل ، وانا اشعر ، منذ الان بلذع
برده . ابروتك ان ابقي عارية ؟

هل يمكن ان تتوارد هذه الرؤى
على عينا ؟
فكرت مليا ، ورحلت امسر ما ترمي
اليه . . .

لعلها تشير الى الضريح الرخامي
الذي بدأت به ، ولم اكمله .

انطلقت مسرعا الى حفار اخر ،
وطلبت اليه ان يعد ضريحا ، واطبعته
بالمال ، كان من حسن الحظ عنده
ضريح لاتاس آخرين ففضلني عليهم ،
وشرع بالبناء .

حتى القيور التي نبنيها تخسون
اصحابها .

وفي اليوم الذي اكتمل فيه بناء
الضريح زرتة وحيدا ، وببيدي باتة
ازهار ، وقربة ماء .
طرحت الازهار على قبرها ، ونديت

ان الموتى يحيون ، هنا ، في جانب
من جوانب نفسنا المظلمة ، العميقة ،
دائما .

وفي كل مساء ، كنت اغدو الى
حديقة الورد ، واجلس على ذلك
المقعّد الخالي الذي شهد على حينا . .

من ذا تنتظر هذه الحديقة ؟ وبمن
ذا يرحب هذا المقعد بعدنا ؟ ان عندك
ابننا الحديقة ، قصصا كثيرة عن

الحب ترويها وان عندك ، ايها
المقعّد ، عشاقا كثيرين ، تحبهم
وترحب بهم .

لكن قصة حينا ستبقى قصة
يتيمة . . . ووردة خالدة ، لا تشبه
هذه الوردود التي تتفتح في الصباح ،
وتذبل في المساء .

ذلك كان من دأبي في الحياة .

وفي كل مرة اجلس على هذا
المقعّد ، يتجسد لي الماضي حيا ،
وانا انتظر . .

كان طينها وحده يعود . . . يمر
لحظة ، ثم يتلاشى . . .

وابقى انا والمقعّد امام حديقة
الورد .

حلب — خليل الهادي

التراب بالماء ، ورحلت اخرج من
واقعي المأسوي ، لتأخيل من دناس
تحت الازهار حية ، كما كانت في عالم
الحياة .

ان هذا التأخيل وحده كان اكبر
عزاء لي في هذا الموقف . . . وبهذا
التأخيل تنتصر ارادة الانسان على
الموت .

وفي الليلة ذاتها ، طرقتني زائرة
كعادتها . . . لكنها ، هذه المرة ، كانت
تفويض بشاشة ونضرة ورضا .

انحنت علي ، تلثم يدي ، وتقول :
— لعلك تأثرت مني . . ان الذين
يحبون كثيرا ، هم الذين يتالمون

كثيرا . لقد قيمت اليوم بواجبك ،
وكسوطني بعد عري ، فشكرا .

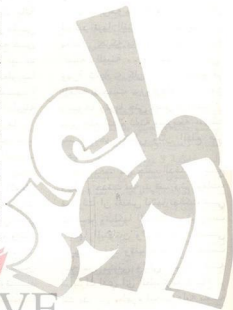
ارتاحت نفسي الى هذه النجوى ،
نهضت على غيش الفجر ، وقصدت
المقبرة ، وكانت مقبرة الا من قبور

منثورة ، هنا وهناك ، منها اللاصق
بالارض ، ومنها الذي ارتفع عنها
قليلا . ولا صوت الا صمت الموت .

دنوت من ضريحها الرخامي ، ولا
تزال الازهار ندية ، وشذاها الفواح

كانها ينبعث من الاعماق ، حابلا
رائحة لحم بشري .

ارتيت على القبر الذي اصبح
كل شيء املكه في حياتي الفارغة .



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

للروائي الروسي: ايفان تورغينيف تعريب : توفيق ونوس

ارجواني متهاوج وجذوع السرخس
انطوية تزهو بلونها الخريفي واغصان
العنب المصفورة بلونها الناضج . . .
ثم بغنة ترى كل شيء في المكان يزرق
بغموض . الظلال الباهتة ، ماتت
للغور ، واشجار البتولا وتفت ببيضاء
بلا رونق ، ببيضاء مثل تلج طسري
سقط قبل ان تعانقه اشعة شمس
الشتاء الباردة . وبخلصة مأكرة ، بدا
المطر الصافي ينهمر ويهمس خلال
الغابة .

وربقات البتولا كانت لا تزال كلها
خضراء تقريبا ، فقط هنا وهناك قد
تفت ورقة حمراء أو ذهبية وكانت

ان يحدد الفصل الحالي من السنة . .
لم يكن رعشة ضاحكة مرحة للربيع ،
ولا همسا مكبوتا للصيف ، ولا
تشعريرة أو رعدة مترنحة بل ثرثرة
منعسة باهتة .

نسيم واه كان يطن بتردد عند ذرى
الاشجار . والايكة الرطبة كانت تتلون
مثلها الشمس تنزع أو تختبئ خلف
غيمة وفي لحظة ما كانت الايكة كلها
متألقة ، ولكن كل شيء فيها ابتسم
فجأة . . واكتسبت جذوع البتولا
الناعمة الرنوق الصافي للحبر الابيض
وبدت الوربقات الدقيقة المتساقطة
على الارض فجأة مرقطة بذهب

في الخريف ، وفي حوالي منتصف
ايلول ، جلست في ايكة من البتولا . .
وكانت السماء تظفر منذ الصباح
الباكر مع فرجات متقطعة من الشمس
الدافئة ، من آن لآخر ، وكان الطقس
يومذاك متقلبا فتارة تكون السماء
ملبدة بالغيم البيضاء الكثيفة ، ونجاة
تراها تخلو من الغيوم في مواضع
مبعثرة وللحظات قليلة . وعند ذاك
تبدو لك السماء خلف هذه البراقع ،
زرقاء صافية الاديم كعين ساحرة .
جلست انظر حولي واصفي
لخفيف اوراق الاشجار فوق رأسي
والذي يستطيع المرء لمجرد سماعه

مشهدا رائعا لاتراها تلهب في اشعة الشمس المتسللة بين شبكة الصنينات الكثيفة المغسولة بالمطر الخالي . ولن تسمع هنا عصفورا واحدا اذ كلها مختبئة وصامتة . ما عدا ذلك العصفور يدوي بجرس معدني رنان مثل صوت القرقف الساخر .

قبل تعريجي على هذه الايكة ، مررت مع كلي عبر غابة من اشجار الحور الباسقة . اقر بانني لا احب تلك الاشجار بجذعها الليلي الشاحب واوراقها المعدنية الخضراء الضاربة للرمادية . والتي تندفع عليها كلها تستطيع وتنتشر كبروكية مرتعشة في مهب الريح . انني لا اهتم لاهتزازها الابدي لانها اوراق تنكب على الجذوع الطويلة باهمال واربتاك ، اكثر ما تلاثم احدى امسيات الصيف . حيث تواجه اشعة الغروب الحمراء وتغسل من الجذر الى القمة بوهج اصفر واحد غير متكرر او يوما من الايام العاصفة حيث تهتز وتحف وتهمس للسماة الزرقاء وكل ورقة منها تتوق للهروب الى التحليق في الفضاء .

وعلى العموم فاننا لا اكرث لهذه الشجرة مطلقا ولذلك لم اوقف في غابة الحور الباسق بل يممت طريقي الى ايكة البتولا . فصادفت شجرة منخفضة تكاد اغصانها تلامس الارض فهي بالتالي قادرة على درء المطر عنى فالتفت نظري اعجاب للمظهر المحيط قليلا ثم غططت في اغصاء حلوة لا يعرفها الا الصيالون .

لست ادري كم طالبت اغفاتي هذه . لكنني لما فتحت عيني وجدت نور الشمس يصانح كافة اشجار الغابة ووريقاتها نخشخش بابتهاج وباتت السماء زرقاء صافية بعد ان زالت الغيوم بواسطة ريع قوية كما اعتدل اللئس وتلك علامة اكيدة لامسية باسمة بعد نهار مطر .

وما كنت احاول التهوؤ لحمت عياني كائنات بريما هناك بلا

حراك . حدثت فيه بترو فبان لي شبح فتاة فلاحية شابة جالسة على بعد عشرين خطوة بني راسها منحن على جيدها ويدها مرميتان في حجرها . . احداها نصف مفتوحة تمسك باقة كبيرة من الازهار البرية تنتفض على فستانها ذي الخطوط المربعة مع كل نهدة وكان فستانها الابيض التلظيف مزررا حتى حلقها ومعصبيها مطويبا في ثنيات ناعمة قصيرة حول جسمها وصيفين من الدرزات الصفراء الطويلة ينحدران من رقبتها حتى صدرها .

كانت ظريفة جدا . . وشعرها الاشقر المظهر الرمادي الحبوب كان ذا تسريحة رائعة تحت شريط قرمزي يتدلى حتى جبينها الابيض كنابج ، واستراحة خدها كانت ساحرة وغامضة في لونها الذهبي الذي لن يتسبى الا الجلد المرفه . ولم استطع ان اري عينيها . . لانها كانت مطرقة بل رايت حاجبيها الدقيقين المائلين وعديها الطويلين ، وقد كانا رطبين . وعلى احدى وجنتيها تحت عتق نور الشمس ، اقبال ديوع حالية وصلت حتى شفتيها الشاحبتين .

كان راسها الصغير فاننا بكل معنى الكلمة حتى انها الامطس السيك نوعا ما لم يفسد جمالها . كما كنت مأخوذا على الاخضر بسيماة وجهها ، اذني كان وديعا وبسيطيا وخزينا وملبيا بالطنولة المذهولة على حزنها .

بدا لي بوضوح انها تنتظر شخصا ما . ولما تردد عبر الغابة صوت طقطقة رنقت راسها على الفور وجالت بانظريها .

وهكذا استطعت ان اخطف لمحة سريعة من عينيها خلال الضوء الباهت . . كانتا كبيرتين وصافيتين ، وهيابتين كمعيني ظني . لقد اصفت للحظات بدون ان ترف عينيها او تنقلها عن مصدر الصوت ، ثم تهتدت ولغمت راسها ببطء واحتنه وبدات تصنف

زهراتها . واخيرا احمر جفناها وانتفضت شفتاها ديمه ندية من تحت عديها الكثيفين ، توقفت لتبرق على وجنتيها .

مرت برهة طويلة على هذه الحال ، لم تبد فيها الفتاة المسكينة حراكا ، ماعدا حركة باسمة ليديها بين الفينة والفينة . . واستمرت تصغي . ومرة ثانية ، كان هناك صوت في الغابة فاجلجت . وازداد الصوت وضوحا وقربا حتى تبسر لواحدا ان يميز وقع اقدام ثابتة وسريعة ، غطت نفسها نحو الاعلى وبان الهلع على محياها .

لقد لحمت من خلف الدغلة شبح رجل . حدثت فيه بترقب ، ثم اجفلت ، فحاولت ان تنهش لكنها تهالكت في مجلسها وتملكها الاربك . ثم رنعت عينيها المبهتتين والمرجتتين السى الرجل ، وقد وقف بجانبها . تطلعت اليه من مكبي وانني اعترف انه لم يترك لدي اي انطباع مستساغ . لقد بدا من مظهره ليحكم عليه بأنه خادم مدلل لنيل غنى ما . وكان هذاه يوم من خيلاء البازي والالاف المبهلة . . كان يرتدي معطفا قصيرا برونزي اللون مزررا حتى اقصى باقته ، واغلب الظن انه من ملابس سيده . . واربعة قرنطية ذات حاشية ليلكية . . وقبعة مخبلة سوداء ذات صمامة ذهبية متدللة حتى حاجبيه . . وقميصا ابيض ذا ياقة مستديرة مرفوعة حتى تلامس اذنيه وذا ردتين « منيشين » بخبثان كامل بديه حتى اصابعه الحمراء المتلوية المحلابخوام فضية ذهبية .

وجهه الامر الضيق الجلف يمت لطران الوجوه التي غالبا ما تكون كريمة وبغيفة للرجال ، ولسوء الحظ ، فانها غالبا ما تكون جذابة للنساء . كان يحاول بوضوح ان يعطي تعبيراً حقيقياً ، وزمجا لقسائنه اللفة ، وكان باستمرار يغفض عينيها البينيتين الكليتين ، تصف

اغماضة .

كان يعبس ويسقط زاويتي نفسه ويتصنع الثأوب ويدفع للخلف شاربه الأحمر المعقوف على « المودة » أو يقرص الشعرات الصفراء النامية على شفته العليا السمكية .. وفي الحقيقة كان يعطي لنفسه كبرياء لا يطلق .

مذ رأى الفتاة الفلاحة بانتظاره .. بدا يمارس تهرجاته .. تقدمت اليها بخطوة تيه ثم وقف لحظة يهز كتفيه ويحشو يديه في جيبى معطفه ، ويشق النفس تلتف وتنع الفتاة المسكينة نظرة خاطفة لا مبالية ، وارتى على الأرض وحول نظره الى البعيد هازا ساقه الدلاء .. وأخيرا تنوه وهو يتأبب ببطء :

— حسنا .. هل انت هنا منذ زمن طويل ؟ .

لم تستطع الفتاة ان تجيبه في الحال .. لكنها أخيرا تفوحت بكلمات تكاد لا تسمع :

— نعم منذ زمن طويل يا فيكتور الكسندريتشى .

نزع قميصه ، وبكل فحافة رفع يده ومررها على شعره المجمع الكث السميك المتدلى على حاجبيه ، ثم التى نظرة بترفعة حوله وأعاد القبة الى رأسه الاتيق . وقال :

— « أه .. حقا لقد نسيت كل شيء » الى جانب أنها قد ابطرت « ثم تتأبب وأضاف « لدينا عمل كثير .. ولا استطيع ان اعني بكل امر .. وسنطلق غدا » .

— غدا ؟ تنهدت الفتاة بحسرة وثبتت عينيه المروعين عليه .

— نعم غدا ؟ .. تعالى .. تعالى ارجوك .

ثم اضاف بنبرة مغيظة بينها هي تهتز ورأسها مخني برقة :

— ارجوك يا اوكولنا لا تبكي .. انت تعلمين اننى لا استطيع ان امنع ذلك .
وجعد انه الاطلس للأعلى واكل :

— والا سأنصرف غورا . ما هذا العويل الساذج ؟

قالت : أه .. انا لن .. انا لن .. وخفتتها الببرات فمسحت دموعها المسكينة على خدها وأضافت بعد صمت قصير : « متى سيسمح الله لنا بالقاء ثانية يا فيكتور ؟ » .

— سوف نلتقى .. سوف نلتقى .. اذا لم يكن في العام القادم غفى الذي يليه . ان سيدي يريدى ان اكون في خدمته في بطرسبرج . ثم أعلن بلهجة لا مبالية ، من انه : « وربما سنسافر للخارج ايضا » .

فقال له بحزن « سوف نلتقى يا فيكتور » .

— كلا .. لماذا انساك ؟ اننى لن انساك .. فقط كونى واعية واطيعي والدك .. لا تكونى حياء وانا لن انساك . كلا .

ثم تهبط وتتأبب .
« لا تنسنى يا فيكتور » ، قالت بصوت متضرع ، ليست اظن انسانا يحبك اكثر منى . لقد اعطيتك كل شيء .. وتطلب منى ان اطيع والذى ..

ولم لا نفث هذه الكلمات وكانها خرجت من بطنه بينها هو مستيق على ظهره ويديه تحت رأسه .

— لكن كيف اطيعه يا فيكتور ؟ وانت تعرف بنفسك . وانخرطت في بكاء اليم بينها هو يلعب بسلسلة ساعته المعدنية . وأخيرا قال :

— انت لست غيبة يا اوكولنا .. لا تتلفظي بالفحافات . اننى اقدر طبيبك .. هل تفهيننى ؟ ولتوقتي انك لست غيبة بكل معنى الكلمة .. ان والدك كانت دائما غلاحة ومع ذلك فانت غير مثقفة .. وهكذا يتعين عليك ان تنفذى ما يطلب منك .

— امر رهيب .. رهيب .

— اوه .. هذا هراء يا عزيزتى .. ومن الشذوذ خشيتي . وسألها ما معك ؟ ثم اضاف مقتربا منها : « ازاره » ؟ .

— نعم . هذه بعض الزهرات البيرة النقطتها ، انها جيدة للبقر ، وهذا برغم تطيفة ضد مرض الملك . انظر يا لها من ازهار مفرحة .. لم ار قبلا ازهارا تجلب البهجة والسرور مثلها ، وهذه زهرة « لا تنسنى » وتلك « حبيبة الام » وهذه انا النقطتها خصيصا لك . وسحبت من اسفل الباقة حزمة مسفـيرة من زهر الفنطريون العنبري الأزرق مربوطة لبعضها بورقة عشب رقيقة : هل تحبها ؟ .

مد فيكتور يده بفنور وتنالول الازهار وتنشقها بلا عناية ثم بدأ يدعكها بين اصابعه وعيناه بشدودتان للاعلى بينما كانت اوكولنا تراقبه بعينين حزنتين يشع منهما اخلاص رقيق وطاعة بهيمة وحب . كانت خائفة منه ولم تتجاسر على البكاء ، وكانت تقول له في سرها ، وداعا ، بكل اعجاب .. بينما هو مستلق على الأرض باسترخاء كسلطان ، وبسماحة نفس ورحابة صدر ، يتقبل اعجابها . على ان اقر ، اننى حبلت بفصول زائد في وجهه الاحمر الذي تشتم منه زهو وغرورا مقنعين .

اما اوكولنا فقد كانت في تلك اللحظة انسانة عذبة حلوة ، وروحها الطيبة كانت ملقاة عارية امامه بنقة وعاطفة مليئة بالثوق والحب اللطيف بينها هو ..

الى زهرات الفنطريون العنبري واسئل من جيبه عدسة مستديرة بدأ يثبتها على عينيه عينا وكان حاجبه المنجم وخده وانته المتفخضين ، تابتى هذه العدسة ، فاستمرت تسقط في يده ، فبادرته اوكولنا بتعجب :

— ما هذا ؟ عاجبها برغم عدسة .

— لاجل ماذا ؟

— لماذا .. من اجل رؤية افضل .
— ارنى .
فتجههم فيكتور وتردد ، ثم اعطاها ايها .

— لا تخف ، لن اكسرهما ، وثبتتها بعينيهما ثم اردفت ببراعة : لا ارى شيئا . فقال بنبرة حازمة كاستاذ :
— لكن عليك ان تغلطي عينيك : فاغلقت العين التي ثبتت عليها العدسة . فصاح :

— ليست هذه ، ليست هذه أنت غبية ، الاخرى . وانترزع العدسة من عينها قبل ان تصصح غلظتها . فاجلثت اكولينا وضحكت ضحكة باهتة ثم ابتعدت وقالت :

— يبدو انها ليست لامناثا .
— في الواقع انا اقول العكس . صدمت البنت المسكينة وتنهضت تنهدة عبيقة ثم قالت فجأة :

— آه .. يا فكتور .. ماذا سيحل بي بدونك ؟ .

مسح فيكتور العدسة على صدر معطفه ثم اعادها الى جيبه وقال :
— انك ستستعصمين الامر في البداية بلا شك . ثم ربت على كتفها برفق ، بينما امسكتيده وقلبتها بحتان واردف : هيا ، انك فناة طيبة بكل تأكيد .. لكن ماذا افعل ؟ وانست تعلمين .. انني ، انا والسيد لا نستطيع ان نقيم هنا ابدا لان الشتاء بات على الابواب . وكما تعلمين فان الشتاء في الريف مثير للاشمئزاز الا انه شيء آخر تماما في بطرسبرج . ويوجد فيها ايضا من العجائب ما لن تتصوره بخيلة فناة ساذجة مثلك .. خيول وشوارع ومجتمع ومدينة روائح واعاجيب .

كانت اكولينا تصغي اليه بانتباه مستبد ، حتى انفجرت شفتاها ببلا مبالاة كظلفة . ثم اضاف وهو يتقلب على الارض : لكن ما الفائدة من هذا الشر ؟ طبعاً لن تستطيعي فهمه .

— لماذا يا فكتور . انني افهم . انني افهم كل شيء .

— يا سلام ما هذه البنت ؟ .
خفشت اكولينا نافذتها وقالت : لم آلف محادثتك لي بهذه اللهجة يا فكتور .

— لهجة ؟ .. لهجة .. علق عليها وكله نغمة . ثم اطبق عليها صوت طويل .. واخيرا نهض فيكتور على مرفقيه وقال :

— ان وقت الذهاب .
فتوسلت اليه اكولينا بصوت مبتهل : انتظر قليلا .
— لماذا .
— انتظر قليلا .

اضطجع فيكتور ثانية وبدأ يصفر ، اها اكولينا فلم تزح نافذتها عنه مطلقا . كما استطعت ان الحظ ان الانفعال بدليسيطر عليها . وارتعشت شفتاها ، وتوهجت وجنتاها ، واخيرا قالت له بصوت منهج :

— فكتور .. قبيح منك .. قبيح منك حقا .

فرفع راسه بسرعة وسالها مقلبا :
ما هو قبيح مني ؟ .

— يمكنك ان تقول لي على الاقل كلمة واحدة عند الوداع . فقط كلمة

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>



صغيرة واحدة ..

— لكن ما عساي اقول ؟
— انت اعلم بذلك ، انك راحل بعيدا دون ان توجه لي كلمة صغيرة .. ماذا فعلت لك لاستحق هذا ؟ .
— انت مخلوقة غريبة . ماذا استطيع ان افعل لك ؟ .
— كلمة واحدة على الاقل .

نهض فيكتور وقال بترحم : هيه .. انها تكرر نفس الشيء .

فقالته له بسرعة ، مع كبت عنيف لدموعها : لا تقضب يا فكتور .

— انني لست غاضبا . حقا انك بلهاء . ماذا تريدني ؟ انت تعمين انني لا استطيع الزواج منك .. استطيع ؟ ماذا تريدني مني اذن ؟ ومط راسه للامام وكأنه ينتظر جوابا وقرش اصابعه .

فاجابته بتلطم ، جاهدة لتهنئة يديها المترعشتين والممتدتين اليه :

— لا اريد شيئا .. لا اريد شيئا .. لكن فقط .. كلمة وداع .

وانهرت الدموع مدرارا من عينيهما ، فنقوه فيكتور ببرود دافعا قبعته فوق عينيه :

— هيه . هذا يعني انها انفجرت في نوبة بكاء .

« لا اريد شيئا .. لكن ماذا ينتظرني في المستقبل ؟ ما هو مصري ؟ سوف يزوجوني الى ذاك البغيض .. مسكينة انا .

فنفخ فيكتور مثلها ببسوق ثم وقف وقال : غني .. غني .. غني .

— اوه .. يمكن ان يتقوه بكلمة واحدة .. كلمة واحدة .. يمكنه ان يقول .. اكولينا انا ..

وخنقتها العبرات والتهنات فيها انسحق قلبها .. فاستلقت ارضا وجوها يتدرف في المشب ، وبكت ببرارة ، وكل جسمها بدا بهتز حتى جديها ، كان ينتفض بجمال .. لقد انجر اسماها المكبوت في سيل من الدوع .. بينما وقف فيكتور فوقها ، وهز كتفيه ومشى بسرعة .



وهو الجسد

— كنت أعيش في بيت عمي الذي
كفلني بعد موت والدي ، كان عمي
في الستين من عمره ، تاجرا كثير
الاسفار بين القاهرة وبالقري
المحافظات ، وكانت أعماله الكثيرة
تستدعي تغيبه عن المنزل الامر الذي
طالما ادى الى وجودي منفردا مع
زوجته الشابة الحسنة اللعوب ،
التي لفتت نظري اليها بحركاتها ،
وهيئتها ، وكذت اتق في شباكها ،
وكم اصرت هي من جانبي على الاغراء
والاغواء بالرغم من اصراري من
جانبي على البعد والاتزاء ..

وقررت اخيرا بعد ان اعيتني الحيل
لاردها الى صوابها ان اترك منزل
عمي ، واستقل بنفسي ، والتحق

قصة بتم
رستم كيلي في

مرت لحظات حتى هدأت ، فرمعت
راسها وقفزت ونظرت حولها وهزت
يديها ، ثم حاولت ان تركض خلفه لكن
ساقها اثارها ، فسقطت على
ركبتيها .

لم استطع ان احجم نفسي عن
الابتداع اليها .. لكنها ما كادت
تراني حتى نهضت واطلقت صرخة
باهتة ، وتلاشت خلف الاشجار ،
تاركة ازهارها مبعثرة على الارض .
وقفت دقيقة ، ثم التفتت حزمة من
زهر القنطريون العنبري وغادرت
الغابة الى الريف المفتوح . كانت
الشمس قد غرقت في السماء الباهتة ،
وباتت اشعتها باردة ومرتجة . فقط
نصف ساعة للغروب .. لكن بلا
شفق يسائي حلو .

ريح عاصفة تعدو لتواجهني عبر
الجذابة الصفراء اليابسة ووريات
قليلة تلتف وتدوم وتطير بسرعة عبر
المطريق وجانب الايكة المقابل للحقول
يبدو كجدار يهتز بومضات صفيرة
مميزة .. لكن ليس ثمة توهج على
الغرسات المحمرة . ووريات العشب
والقش كانت تغور وتتحرك في لولب
لا تحصى كيبوت عنكبوت الخريف .

توقفت .. وشعرت بحزن في
اعماق نفسي .. خلف الابتسامة
الزاهية بل الفاترة للطبيعة الداوية ،
تبدو الروعة الموحشة للشقاء القادم .
وعاليا فوق رأسي .. غراب اسود
يشق الهواء بعنف . لفت رأسيه
وتطلع جانبا الي .. صفق بجناحيه
وتعجب من جأته وتلاشى خلف الغابة ..
وهناك سرب من الحمام يسرح على
ارض البيدر ، فجأة انطلق وتبعثر عبر
الريف . وتلك علامة اكيدة للخريف .
وذاك احدهم يقود عربته الفارغة
تجلجل عاليا فوق المنحدر العاري .
واخيرا انطلقت تجاه البيت ،
وشبح اوكولينا المسكنة وزهراتها ،
لم تغب من ذاكرتي .

توفيق ونوس

— اللانثية (سورية) —

بأية وظيفة حيث كنت حاصلًا على شهادة اتمام الدراسة الثانوية التجارية، وفي انتظار خطاب الترشيع من إدارة القوى العاملة ، لولا مرض عمي المفاجيء ، فلقد أصيب بذبحة صدرية أتمدته الفراش ليعيش بقية عمره يعاني آلام هذا المرض القاتل ..

وكنا — أنا وزوجته — نقضي معا ليالي الازمات التي كانت تتلوه من حين لآخر ..

وفي امسية من الاماسي كنا نجلس معا بجوار فراش المريض ، وعلى حين فجأة اعتدلت في جلستها وازاحت الستر عن فماتها عابدة بتعمده ، وبدون وعي تعلقت عيني بها ، وظللت على هذه الحال فترة شاخصا ببصري إليها ، ورننت الى بطرف عينيها وأنا انظر اليها بولكنها سرعان ما تجاهلت نظراتي ، ولم تعبأ بأن تصلح من جلستها ، او تغير من وضعها المثير وكأنها لا تحس بوجودي ، وشعرت بخفتان شديد في قلبي، وانتابني شيء من الاضطراب حين وقع بصري على صورة عي المبدد في فراشه ، كانت صورته جدارا سييكًا حال بيني وبين الخطيئة حفاظا على سمعة العم الذي اكرمني ولم يكن لي في الدنيا سواه .. فتركبتها مع المريض ، ودلفت الى حجرتي ..

★ ★ ★

في تلك الليلة سمعت نقرا ، خفيفا ، رقيقا على الباب ، باب حجرتي ، ونظرت الى ساعتي موجدتها قد قاربت الساعة الثالثة صباحا .. وانتظرت برهة ، ولكن النقر الخفيف ، الرقيق ، الهين ما زال يترامى الى اذني ..

وفتحت الباب واذا بي اجد زوجة عمي اماسي شبه عارية في ثياب نومها الرقيقة الشفافة التي تكشف باغراء من فماتن جسدها ، حافية القدمين ..

وظللت واقفا على عتبة الباب قبلتها احقق فيها بذهول ، وتسمرت في مكاتي ، معقود اللسان ، وظلت هي واقفة لحظة ، ثم ازاحتني عن طريقي ، وانسلت الى داخل الحجرة مغلقة الباب وراءها ، وعند دخولها لمست يدي يدها فاحسست كمن مسه تيار كهربائي ، وشعرت يدها تبس منكبي وتضغط عليه، وبأنفاسها الحارة تخفق انفاسي . كان في عينيها نداء صارخ ، واخذت اقسامون تلك الرغبة العنيفة في ضمها الى صدري ..

ولكن انهارت مقاومتي ، وتحركت دون وعي مني فطوقتها بذراعي ، وانطلقت كل عواطفي المكبوتة ، ونسيت حينذاك انها امرأة عمي الذي كلفني وقام مقام ابي بعد مماته ، وتبخر من رأسي كل تفكير في العواقب ، ولم اعد اذكر الا شيئا واحدا فقط هو انني مع امرأة في الظلام ..

★ ★ ★

لم نفق من سكرتنا الجاحجة الا على نسمان عني قبيل الفجر، فمخبتنا الى تناهي الى سمعي سعاله المتواصل ثبت الى رشدي ، ودفعتهما بعيدا عني ، فانطلقت الى الخارج خفيفة الخلو ..

والقيت بجسدي على الفراش ، وقفزت امام عيني صورة عمي وهو يؤنبني عما فعلت بزوجه ، وسرعان ما دفنت وجهي في وسادتي وبكيت .. بكيت بمرارة ، لقد ذرمت عيائي دموع الندم ، والاستغفار ، والخلج ، ولكن هل كان لهذا البكاء المتواصل ، وتلك الدموع ان تحو شيئا من خيائتي ، وتكرع عن خطيئتي ؟ .. لا اظن .. لا اظن ... وهاجمني شيق عنيف ، وشاعت في نفسي كآبة ، وما اسرع ان تركت فراشي ، وقررت ان اترك المنزل ، بعد ان شعرت بفضاعة الجرم الذي ارتكبته ..

وعزمت قبل ان ابرح الدار على رؤية عمي ، ذلك الرجل الذي اكرمني في منزله في حين انني لم اصن عروضا ..

وسرت حتى باب غرفته ، ولكنني لم استطع ان انج الباب ، فاكفيتها بالقاء نظرة على الباب المغلقل ، وطفرت من عيني دموع حارة ..

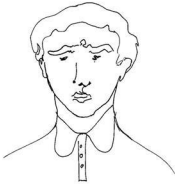
وخرجت من الدار ، خافض الرأس ، مضعض الحواس ، تاركا عمي والفاجرة الملعونة الى الابد ، وآثار خطيئة خلفي ، وعاصفة من اللوم تهز اعماقي وتكاد ان تقضي علي ..

ورحت اجر ساتي ساهما ، شاردا ، مبهوما ، حزينا ، واجبا ، نادما ، كنت اريد ان اهرب من هذا الصوت الذي كان يرن في اعماقي قلبي ..

★ ★ ★

انقضت ايام وأنا ابحت فيها عن عمل ، طرقت جميع ابواب الرزق فلم اقابل الا بروبوس تهتز آسفة .. واخيرا ابتسم لي القدر ، واشتغلت كاتبها في متجر براتب ضئيل ..

واصبحت حياتي شاقة ملؤها الحسرة ، والملل ، اعيش في شبه عزلة ، وحيدا ، منطويا على نفسي ، منكبا على همي لا عشي لي ولا انيس سوى احتساء الخير ، كنت اعاقر الخمر كلها حاصرني الضيق عسى ان انسى همومي ، ولكن مبهيات .. لقد جعلتني الخمر انسانا تافها ، واخذت اموري تسير من سييء الى اسوأ ، وتبدل حالتي فاهملت نفسي ، كما اهللت عملي ، مما دعما صاحب العمل الى الاستغناء عن خدماي .. وعدت الى الطريق ابحت بن جديد عن عمل اخر .. ولكن بذلتي القديمة الباهتة اللون ، وقبيص المتسخ ، وشعري الثابت على ذقتي ، كل هذه الاشياء كانت حائلا بيني وبين اي عمل جديد ، وقد نفذ كل ما معي من نقود .. ولم اجد امامي سوى ان



اعود الى بيت عمي مرغبا ، بعد ان
ساعت الحال بي ، وسدت في وجهي
السبل ، ولفلطنتي الدنيا ومن فيها ..
وفي الطريق .. لم أفكر في
الاجابة فيما لو سألني عمي عن سبب
تركي البيت بقدر ما كنت افكر كيف
اقاوم اغراء زوجته اللعوب ..
واتسمت ان اقطع ما بيني وبينها من
اسباب ..

★ ★ ★

وقفت اسام الشقة حائرا ،
مترددا ، شيء يدفعني ، وشيء
يردعني ، وأخيرا طرقت الباب ، وفتح
لي ، وكانت خلفه زوجة عمي ،
وتلاقت عيوننا في نظرة صابئة ، ثم
هتفت قائلة :
— اهلا وسهلا .. شرفت بيت
عمك ..

ونظرت اليها مبتسما ، شاكرا ..
وهرعت الى غرفة عمي ، فمك كنت
مشتاقا لرؤيته ، ووقفت امام فراشه
بليا ولم انتلق بحرف واحد ، فلتقد
كان نائما ..
وعند خروجي من الغرفة ،
واجهتني بقولها :

— لقد سأل عنك مرارا ، ولم اقل
له انك تركت البيت ، ولكنني اخبرته
بانك سافرت لشراء بعض الادوية
والاوازم من الاسكندرية ..
فعمجنت قائلا :

— اشكر لك حسن صنيعك ، ولكن
كيف حاله الان ؟

فاجابني على الفور :
— لقد تحسنت صحتنوعا ، ولكن
عنديا يتحدث كثيرا يذاهمه السعال
ويكاد ان يقضي عليه ..
وتركتها ، وعدت الى غرفتي
لايدل ثيابي المتسخة ، واغبر من
حالي ..

★ ★ ★

وما هي الا لحظات حتى سمعت
نقرا ، خفيا ، رقيقا ، هينا على
الباب ، ولكن تصنعت الغفلة ،
وتوالى النقر .. وظللت على حالي

حتى سمعتها تقول :

— لقد استيقظت عك وبريدك ...
وبسرعة نهضت الى الباب افتحه
.. وبسرعة ايضا دخلت هي ، وردت
الباب خلفها في دلال ، وهي تنظر
الي نظرة اثوثة ، وعلى شفيتها
ابتسامة الانتصار ..

وهالتي منظرها ، كانت في لبوسها
الذي يكشف بوضوح عن مفاتها ،
والعطر يفوح منها ، واضطربت
نفسي لرؤياها ، واحسست بقلبي
يخفق بشدة ، وعقدت المفاجأة
لذاتي ، وزعم هذا حاولت مجاهد

اخراجها من الغرفة ، ولكنني فقدت
القدرة على ذلك ، وتلاشت ارادتي
امامها ... وما اشبه الليلة بالبارحة ،
وقينا عن الوعي لم نحس بها حولنا ،
لم اعد هذا الانسان الذي يسكن
جلدي واستحلت الى مجرد شيء لا
يهمه سوى اشباع هذه الرغبة
المجنونة ، ونسيت في غمرة هذا اللقاء
من انا ، ومن اكون ، نسيت عمي
المريض ، كما نسيت ما عاهدت
نفسي به ..

★ ★ ★

بغثة انتقش الضباب امام عيني
.. واحسست بانني اهوى من قمة
جبل لاصطدم بقوة بأرض صلبة
حطبت ضلوعي ، لاجد عند القاع
عمي المريض بشحمة ولحمة يقف
قبالتي يحدق في جسدي العاري ،
ويبتل البصر الى فراشي الذي تمددت

عليه زوجته ، ولم يتمالك المم بعدها
نفسه ، فتهاوى على الارض وهو
يشهق شهقات قوية ، ممسكا بقلبه ،
وفي لحظات فارق الحياة ، لقد قضى
المسكين نحبه ..

وعدت الانسان الذي يسكن جلدي ،
وسرعان ما ارتبعت على جسد عمي ،
واستسلمت لنوثة من نشيج مكتوم ،
ثم انحنيت على قدميه اوسمها بالثياب ،
وتقبلا كمحاولة نافهة لغسل هذا
العار ، وعيناي تسحان الدمع
السفخن ..

وحانت مني لفظة لتلك الملعونة ..
كانت منزوية في ركن قصي من الفراش ،
وعيناها زائفتان لا تثبت على حال ،
وبدت كمن تجهدت في مكانها ، وفقدت
النطق ، واستحالت امام
ناظري كشيطان ينفث الشر
من عينيه ، ولم اعد
ارى في جسدها سوى كتلة مشوهة
من اللحم تعانها النفس ، وزحفت
بكل ما املك من قوة تجاه الفراش
لتبتد اليها يداي مطبقا على عنقها
بكل ما اوتيت من قوة ، واستسلمت
لقدرها ، لم تحاول المقاومة ، وضغطت
بشدة .. بشدة حتى انهارت بين يدي
جثة هامدة ..

هذه هي قصتي يا سيدي الحق ،
او بالاحرى اجابتي على سؤالك ..
لماذا قتلت ؟؟

رستم كيلاني

” عمرو بن لوحي “

الفصل الأول

سعيد : عمرو بالله قل لي هل لنا اليوم برحله

لنريح النفس من هذا العناء فاليوم عطلة

عمرو : أين نمضي ودروب الاحمدي بالنحاس مملأ

والفحيحيل عرفناها بها مرأى ومرأى

سعيد : فاذن فالكويت والشوق يحذوني اليها والاهل والاصدقاء

وولوجي أسواقها وطواني بين أحيائها به أشياء

سترى ملعباً هناك ويميداً ن الصبايا وأين راحوا وجاعوا

كم لعينا وكم مرحضاً الليلي لم يصبنا في لهونا اعياء

عمرو : نعم انها متعة تتمتعن القلوب وتنسى هموم العمل

انذهب

سعيد : ها فقد أقبل النهار وذي رحلة لم تمل

سنركب مركبتني انها كتليك ليس بها من معيق

وخذ عن يسارك دربا قديماً لنا من عقيب الطريق

مما أطيب النسمات العذاب قبيل الغروب وبعد الشروق

يستقلان السيارة ويتولى قيادتها سعيد

سعيد : ها هو المقوع القديم يلوح وبدت حوله الربى والسفوح

وهنا الطير تملأ الجو أسراً با وفي الروض بعضها يستريح

بين غدرانها وأعشابها الخضراء للآخوان يفوح

عمرو : منظر الخيمة في الروض وبيت الشعر

والجمال الحبر والأغنام والحض الطري

و (الدلال) الصفر حول النار والبن المري

يوقظ الذكرى براس البديوي الحضري

سعيد : هذه ساحة المطار قد استقبلت الطائرات باستهوار

طائرات ووقع وأزيمز يترك الراس دائماً في دوار

يمتد يسرة وشرقا وغربا دائبات في ليلها والنهار



الشاعر
عبدالله
سنان محمد

عمر : قد قربنا من الكويت ولم يبق سوى قيد حفلة للحجاره
يا سعيد

سعيد : نعم اخي

عمر : به قليلا وتضمن في داخل السياره

انها تحبل الملاك الذي استل مؤادي الجريح حتى اطاره

سعيد : اين هذا الملاك ؟

عمر : ها هو يبدو بين اترابه كظبي غريب

ضحكات لهم تعلو اذا ما اوقفنا اشارة للمرور

سعيد : يا لهي ماذا ارى ؟ ان هذا الحسن لم تحوه ظباء القصور

هل تعرفت قبل هذا عليه وتحدثنا بشتى الامور

عمر : منذ عامين كنت ضيفا على وا لده الطيب النبيل الغيور

وهو خشف يطوف بالماء جذلا ن بكف بضيضة كالحرير

والتقت عينه بعيني فاذا كنت في خايبا الضلوع نار السعير

انها النظرة التي تركتني كلفا في غرامه كالامر

سعيد : وكيف جنن وحدهن ؟

عمر : لست ادري ما الخير

اما ترى على وجوههم شارات السفر

اقبلن من شواطئهم اوجاعا ممد الدرر

سعيد : والان ؟ <http://Archivebeta.Sakhril.com>

عمر : لست ادري

سعيد : اين نمضي ؟

عمر : نستمر

اني فتنت به وتبني هواه وما شعر

دمج اللواحظ كم بعقله اصاب وكم سحر

اني سارقيه وار تب منزلا ياي به

فاذا عرفت كتابه وعرفت دار قريبه

اسرعت اطلبه لاسعد خير ايامي به

سعيد : واذا فشت ؟

عمر : وكيف افشل والحبيب الي يرنو

سعيد : مثلا فشت ؟

عمر : بغير شك سوف اصرع او اجن

لكنه وقبوله لم يرقه شك وظن

نظرات عينينا تقا هتبا بان الحب رهن



سميد : واذا تحققت المنى ماذا لديك من الوسيله

عمر : انى ساخطبها وانى الكفو مكتمل الرجوله

هذي مناي وهذه اغلى مطالبى الجميله

ارضى الحياء على ممانتها ورقتها سدوله

ليرد عنها امين الحساد مطرنة كليله

سميد : بخ بخ يا عمر ابصرت ما لا يبر

ذي حكمة بالفقه هيا بنا نتدر

فلنتبع آثارهن دون ما ننتظر

فالوقت قيل انه من ذهب يختصر

عمر : انى سميت نفحة الخليج منها عقت

موطن تربتها عن الندى تفتت

عشيتى النى بها امتر طول الزمن

من الخليج بيدي حتى جبال اليمن

هم الصناديد الاباء هم سرا العرب

من كل شهم باسل عرينه فى الشهب

كم اوردوا من غادر نخل حياض المطب

حلوا الجبال الثم والغور لمد الاجنبى

اولاء قومي منهم جدي وامى وابى

سميد : وهل لهم فى السورى منير وماض يشار له بالبنان

نعم لهم صولة وعلى فعالهم يشهد النيران

لهم هم والمروءات من ارومتهم والخلال الحسان

كم كاتحو اعداءهم وصابروا وثابروا

هم الرجال الاقويا كم احسنوا وآزروا

ماضيهم كجين الصبح مؤتلق لم يخفه حدثان الدهر والغير

البر والبحر والشطآن شاهدة ان الخليج لديه التبر والدر

اغناهم عن علوج الغرب قاطبة فلم يعد فى اراضيه لها اثر

سفنهم فى خضم البحر ماخرة غبايه وصواربها لها زور

تجري باشرعة بيضاء ناصعة والرياح تزجرها طورا وتقتصر

سميد : ماذا تراهم فاعلو ن وهم على ظهر البحار

وسفنهم يوم ، وشو عى ، وسنبوك ، (عشار)

وطعامهم سبك وتبر والعشاء خلف النهار

وشرايبهم كندر ولبسهم بها ابدا ازار ؟

عمر : سميد هل اصبت بهس جن وهل اصبحت تفتقد الشعورا ؟



سعيد : لماذا ما الذي لاحظت مني ؟

عمر : سؤالك انه يحكي القشورا

اهم في نزهة ؟

سعيد : كلا ولكن

عمر : يغوصون البحار على اللآلي

نكم من غادة تاهت بجيد

سعيد : اذن قد رافقوا الاسماك صيفا ؟

عمر : ولم يقرب قلوبهم جواظ

اذا لفحت وجوههم ذكاء

وان وقف الهواء امتدت سراعا

برون الهول في الاعماق دوما

كانهم وللنهبام شدو

كم داعبت حمباء نهدي غادة

وبمسارح الحيتان وهي مخينة

بنى يتحرون القنول لاهلهم ؟

سعيد : اذا طلع الشنوي نجر الغرب

عمر : واصبحت الاعمال عامرة القلب

مزاولة الاعمال «للغيس والسب»

واخفي (فطام) الغوص في طية الثوب

اهازيغ اشواق الى البلد الحب

لقدنهم بين الزغاريب واللعب

تلطف ظمأى العيس للبورء العذب

هو العيد كل نحوه يظلف

سعيد : وهل لسم عود ؟

عمر : نعم هي ردة

تراولها السفن الصغيرة عن قرب

سعيد : وكم يبخون ؟

عمر : شهرا

سعيد : ثم ماذا

عمر : يعود جميعهم للارتياح

فشيئا والقلوب الى انشراح

ملىء بالمشقة والكفاح

ورائهما لايجاد التجاح

تراجيع لخافقة الجناح

مثابرة على موج الرياح

وهذا دابهم ابداء وفيهم



سميد : وهل بعد الرحيل لهم ايا ب الى وطن تكلله السعادة ؟
عمر : اذا حبلت لهم زوج بيوم الرحيل فأوبهم يوم الولاده
سميد : لمثلك المغامرات وأخطأ ر الليالي دؤوبة في زخوف
كل يوم لها هجوم على قو م تصدى لهم بهول مخيف
عمر : لم لا وهي للرجولة رمز فاطرح عنك منطق التخريف
انهم يركبوننا لينالوا شرفات العلى بجهد عنيف
لم ينالوا اطياب الرزق الا في ثنايا الاهوال أو في الحقوق
جلبوا العيش والكساء البنا وانوا كالنسر شم الانوف
يتحلون بالبروءة والايشا ر والمكسب الكريم الشريف
عفة واستقامة ووفاء وحنان ورحمة للضعيف
لم ينم منهم على الضيم حر ولو ارتد امره للحقوف
سميد : يا لها من مآثر خاليدات لا تجارى وما لها من الياف
ماذن هذه الخلال لها المفعول فيها نويت فالى اللثام
وتوكل على الذي رفع السبع واحيا بعد الفناء العظاما
لا ارى للحياء قط مكانا فاسبق الخاطبين واخف الهياما
عمر : انه الراي ما ارتأيت

سميد : اذن هيا لتجلى عن العيون الظلاما
عمر : اتا لولاك لم اصب هذلي اليبى ولم املك بكى الزماما
سميد : انا لم افعل الا واجبا كان عليا
عمر : واجبا تفرضه الاخلا ق والدين مويبا
سميد : انا بساق وسأبقى لك ما دمت وفيا
عمر : لم اخس بالمهد يوما طيعا ما دمت حيا
سميد : واصل السير يا سعيد عمانا نتحرى الصواب فيها نونيما
عمر : ويمود الربيع انضر مما كان غضا يضي الصفاء عليما

000

الفصل الثاني

يتابعان السير خلف السيارة :

عمر : خلف السر وسر مثندا خلف سيارتهم الفارهه
سميد : علنا نعرف عنهم فلي مهجة حرى ونفس والهه
عمر : واخيرا
سميد : سوف نفي يومنا خلفهم نتحران

- سميد : هـ
- عمر : ها هو السائق بالمير اتاد وعدا يدخل حارات البلد
- سميد : تاصدا بيتا للقياه استمد بدفوف وزغاريد ود
- سميد : اتعلقت بها
- عمر : لم لا وتعد بت مشغوفنا وصبري قد نفذ
- سميد : اذن على المبر والكتبان تتركها فالقصد يدرك بعد المبر والجلد
- عمر : اياك اياك يشمرن البنات بنا او يشعر السائق الهندي بالرصد
- سميد : حتى نرى اي بيت يلتحق به ونعرف الشارع المرقوم بالعدد
- عمر : متى رأينا لدى البيت اجتماع ذويهن وقر فؤادي للحبيب عد
- سميد : وهام عند باب المنزل اجتمعوا مستبشرين نعد ان شئت وابتعد
- عمر : فلي اليهم رجوع بعد اربعة لكى اهد نار الشوق في كبدي
- سميد : اذن للاحمدي نعود حتى نخطط لليالبي القاديات
- عمر : ونرجع بعد اربعة لدينا خلاصة ما نراه لكل آت
- سميد : اصبت نعد بنا
- عمر : عدنا عدتنا
- سميد : يساواة الليالي العاديات
- ويعدان بعد اربعة ايام ، وهما في الطريق يتحاوران :
- عمر : الخطيبا وهل للمم امر بخولة لقياد او لحصل
- سميد : وكان لوالدي خلا وفيها ووالدها من البيت الاجل
- عمر : نجرب ما اقراه وانت فكر
- سميد : اذن هيا فاني عند تولي
- عمر : اذا اردت جمال الخلق والخلق الا سمي فلا تنشر سر الحب والشف
- سميد : يخاص للؤلؤ الرطب البحار بلا خوف من الخطر المقرون بالهدف
- عمر : لا يقتنى الدر الا من منابته مخبأ في صناديق من الصد
- ويقان عند باب المنزل فترتعش يدا عمر ويتوقف قليلا مترددا :
- سميد : اطرق الباب يا عمر عليه يطلع القمر
- عمر : فتناجيه برهمة (هكذا الحب قد امر)
- سميد : انه الغصن ياتع فائنه يقطع الثمر
- يطرق عمر الباب وهو خائف من الفشل ويفتح الباب فجأة وكان القاتح ما كان يمتنى ان يراه ولو في التمام فاذا هو بلحه وشحمه واقف امامه فنلعم في السؤال بادي الامر وخفق قلبها عندما رأت ما تتناهى منذ النظرة الاولى واستدركت رسالته نعم فقال وشفتاه ترتعشان هل هذا بيت فلان فاجابت بنعم انه هو
- عمر : سمر انت بنت سلما ن ؟
- سمر : من انت ما الخبر



عمر : كنت ضيفا عليكم منذ عامين في (قطر)
 خبري العم انني جئت للدار يا سمر
 يسمع صاحب البيت الحاورة ويأتي خلفها مستفسرا ويسالها من بالباب فيأذره عمر
 بالجواب

عمر : سلام عليكم
العم عبدالله : عليك السلام

عمر : لقد زاد شوقي لهذا اللقاء
 انا عمر وصديقي سعيد اخ هو من خيرة الاصدقاء
العم عبدالله : مرحبا مرحبا واهلا على الرحب والسعة
 ادخلا الدار انها قد اضاءت مشعشعه
 مرحبا بابن حينا عمر والذي معه
 ان هذي زيارة بارك الله بها لم تكن لها نتوقع
 زرتنا وزرنا فتيات من بلاد لها الفؤاد تطلع
 موطنني الاول الذي شق فيه بصري والشباب فيه ترعرع

ولما انتهت مراسيم الزيارة وشرب الموطبات انفرد عمر بالعم عبد الله ودار الحديث بينهما
عمر : انني جئت خاطبا اطلب القرب منكم
العم عبدالله : من تراها من الشلا ث عليها ستقدم
 ممن تودعت لها دوة لا تقيهم
عمر : انها غفلة الشباب ب وهيفاء برعم

العم عبدالله : سمر ؟

عمر : قد اصبته لا اصببت لكم فم
العم عبدالله : خلفها والى دلله امرها وهو يحكم
 امهل الامر برهة نجتلى السرده منهم
 وغدا نستشرها فهي بالامر افهم
عمر : حسنا ما اردتكم ولكم ما اردتم
 فلهذا الامر اولا واخيرا يقدم
 سترجع قافلين وبعد عشر نعود لكم على امل اللقاء
 وكيف بلذ لي عيش وقلبي تقلب بين ياس او رجاء
 فيؤخذ رأي والدها ورأي امها او رأي فائنة الظباء
 الى راحة والقلب طار محلقا الى من بلغياها شغائي وانعاشي
 وقدمت روحى رشوة متحديا مكافئة المرشي في الناس والرائشي

وهنا ينفض عمر ويودع العم عبدالله على امل اللقاء به بعد عشرة ايام ليتسنى له اخذ
 الرد من ابيا سلمان ويغادران المكان هو وصديقه سعيد وقلبه مغمم تتضارب الامال



ويعاوده الياس احيانا لانه لا يعلم ماذا تخبئه الايام وماذا يكون رد ابنيها ورجعا قافلين الى مقر عملهما في الاحمدي ولم يفيض له جفن منذ فارق منزل العم عبد الله يضرب اخماسا بأسداس وقد ظهرت على وجهه آثار السهر والتلف وفي اليوم المقرر استقل هو وصديقه سيارتهما وسارا متوجهين الى الكويت وبينهما في الطريق استقبلتهما السيارة التي رايها منذ ايام وهي نقل الثلاث متوجهة نحو المطار فحقق قلبه واسقط في يده واخذ العرق يتصبب من جسده فسأله صديقه

سعيد : ماذا دهك ؟

عمر : اما ترى ؟

سعيد : ماذا ارى ؟ والجسم مرتعش وقلبك مضطرب

عمر : انظر الى السيارة السوداء من حملت ليجمني الهوى فمين احب

سعيد : لا تباسن فليس في الياس الشفا ودع الوسوس انها ام الكذب

عمر : ماذا تظن ؟

سعيد : اظن خيرا انها ما ترتجيه صحيفة المتلبس

فاضبط تواك فلتتخاذل فعله ان التخالف من طباع المتلبس

فهز راسه وسقطت دمعتان من عينيه وقال :

عمر : اليك مؤادي هذا الشقي ولا ترحب به ولا تشفقي

وصبى عليه العذاب الاليم وان شئت حرقا له فاحرقني

فانت التي اخبرته بالقرام وقلت له بعد ذاك امشق

وقالوا بن هيت قلت التي بسمركا تلبس المتقي

فلم ار حسنا كهذا السذي علبين (مبتلي) زينة المشرق

جباها به احسن الخالقين من الاخمصين الى المشرق

وما ان وصلا باب المنزل حتى اصابته قشعريرة وطرق الباب طرقا خفيفا وفتح الباب واذا هو بالعم عبدالله وجهه لوجه فاستقبله وهو يبتسم قائلا :

العم عبدالله : اهلا خللت وسهلا لا منيت بما يضنى فؤادك طاب الورد والمدر

فاشر تحقق ما نرجو وتأمله وبات في حوزتي ما كنت تنتظر

عمر : احقا تقول ؟

العم عبدالله : نعم ما اتول هو الحق والله

عمر :

وافرحته سهرت الليالي على امل اللقاء وقد نال قلبي مناه

سنمقد عقد القران السعيد ويطلب والدها ما ابتغاه

نقيم لها فرحة العمر انها فرحة من نعيم الحياه

وانى هي الان ؟

العم عبدالله :

في رحلة الى وطن شاتها ان تراه

لقد ارسلت خلفها امها لتفصح عن ما رواه الرواه

فهذا زمان به رايها على كل ذي رأي وتابى سواه



ويلتقيان به دائما ويؤخذ رأى الفتى والفتاه

وبينما هما في الحديث اذ دخل والدها فجأة فتعاقب الجميع وشعت الدار بالانس والسرور
واخذوا يتبادلون الاخبار فقال عمر موجهها الى العم سليمان هذه الترحية :

عمر : لقد غمرتنا فرحة ومسرّة بمقديك الميمون يا ابن الامجد
فأنت من القوم الذين وجوههم مصابيح في الظلماء تبدو لقاصد
يذودون يوم البأس كل عظمية ولم يأبها يوما لوقع الشدائد
فسل عنهم تلك الضغاف فمفرها ملء حكايا عن سفين ابن ماجد
سفينة كاسراب القطا في مضائها بأسرعة يبيضاء سمير القلائد
لها نسب يعزى لسفن ابن (يامن) أخي (طرفة) من جالبات الفرائد
تراقصها الامواج وهي طرورية تراقص عيس في شعاب الفدائد
لها كل يوم رحلة واقامة تدبرها في جريها كف قائد
عليها رجال كالاسود عزيمة عرائنهم تعلمو مدار الفرائد
تمايلن من زهو ذهابا وجيئة تمايل اغصان الارك الامالد
فلو خلدتها (جافار) (لاجد) لحج الى آثارها كل ناقد
لقد أصبح الهندي يعرف عنهم وابناء افريقيا وكل الابعاد
وسل عنهم الخيل المتعاق وايق من البعبلات الليبريات والتي
فهم اخلائهم عن اكابرهم **سليمان :** حيث اهللا يا عمر
ستزف في فرح (سمر) وتفوز بالامل الاغر
متى تحرى الصباح الجديد ونطلق للحب فيه العنانا
سليمان : سنعتد عما قريب اذا اتت من روابي الخليج المقرانا
نقيم له فرحا في الكويت وأخر نعلنه في حمانا

ويتزوجان ويعمر البيت بالبهجة والسعادة وير عام على زواجهما وهما في اسعد حال
واتعم بال ويزقان يولد فيسميانه لؤيا وير عام اخر ويزقان بطفلة ويسميانه ليا وكادان
يطلقان في القضاء من شدة الفرح والسرور ويثقل عمر بهذين البيتين :

لؤي ولياء اضافنا على الصفا صفاء فلم نعدم لؤيا ولياء
أرى زينة الدنيا لنا قد تجسست بشخصيهما والدار تزدد للاء

ولكن دوام الحال من الحال فالدائم هو الله فما ان يبلغ لؤي السادسة من عمره ولياء
الخامسة من عمرها حتى تمرض الام وتدخل المستشفى مصابة بمرض عضال وتقلب خلاوة
الميش الى مرارة ويمعز الأطباء عن علاجها والولدان في المراحل الاولى من الدراسة
وتضيق الدنيا بعينيها ويكي بهرارة كلما خلا الى نفسه ويجلس بجوارها وذات يوم غاض
القلب بالانسي فقال :



مرضت فامرضتني يا « سمر »
وكيف ارد هجوم القضاء
وسلمت امري لباري السماء
ولولا الصبيان لم اكثرت
اذا ما رأيتها يلعبان
هدأت وابدلت تكسرتني
عسى نفحة من عظيم الجلال
تقبضه وتعلمنني
فيا رب اصبحت في حيرة

فأحايته قائلة :

أبلىق الهم والكدر
واعترتني وساوس
خدعتني ابتسامة الغدر
من كاذب أثمر
من زمان عمدته
قلوب قط ما استقر
برقه بات خلبا
أيهما السادر الذي
بسببة الدهر خدعة
خلفها النار تستمر
بست منها فحيلة
آه ما أثقل الصفا
آه ما أثقل الكدر
فالفننى في أطلال
والليالى حثيثة
ويح نفسى على الصبيين
كلبنا أبصرتهما
الهاتى حبة
ومها في جوانحي
في دمائي كلامها
كلما لاح بآراق
أو بدا رونق الفحى
أو علا صوت صبية
طار قلبى اليها
يا لقلب يكاد من
فأسأل الله رحمة
وانسى الله في الصبيين

وتنتقل (سمر) الى جوار ربها فنضيق الدنيا بوجهه وتتراكم عليه الاحزان ولم لوالتي احبها من صميم قلبه وكانت ملحا له عند الملمات قد ذهبت الى رحمة الله فشيخ جلماتها الى



منه الآخر فوقف على قبرها وقال :

ترفق بها يا قبر وارحم عظامها فمن بينها قلب الى الموت مخلص
وياثير احسن ما استطعت جوارها فليست على نفس المقيم ترخص
تعلق قلبي جيبها فاذا بنى واصبح جسدي بعدها يتخلص
فلم ار في الدنيا فناة بحسنا واخلاقتها موهوبة تتخلص
اميل الى ذكر اسمها كلما جرى حديث واصني للحوار واشخص
فيا رب ادخلها فراديس جنة واتعم عليها نعمة لا تنفص

فبكي بكاء مرا واحتضنه صديقه الحميم سعيد واركبه سيارته وذهب به الى بيته واخذ
الهم يعصر قلبه كلما خلا الى نفسه ومرت عليه سنة كاملة لم ير فيها بصيصا من نور وقد
اعتزل الناس فمن عمله الى بيته وفي يوم من الايام دعاه احد اصدقائه وهو احمد الى
نزهة في يوم من ايام الربيع مع شلة من الاصدقاء فانفرد به واخذ يعنفه على عزله قائلا:

لماذا اعتزلت وانت الذي تحث على عدم الاعتزال
وكنت الذي همه دائما مواصلة القوم دون انفصال
فكيف رككت الى الاتزواء واصبحت تكره حتى السؤال
عمير : ولم لا ملهمني في الثرى ورؤيتها من ضروب الخيال
احمد : وهل ذلك الخزن يروي الظما نسل الفؤاد بحب الحيال
فني ولديك عزاء ونسي اختلاطك مما تعاني انتقل
عمير : وماذا ساعمل والاصفرين لم يلبسوا درجات الكمال
ولم يتركوا لي مجالا لكي افكر يوما واين المجال
احمد : مجال لديك فسيح فسيح فخذ ما ترى من نبات الحلال
ففيهن كلام تحنوا على صغيرك ترجو رضى ذي الجلال
فلا تقعدن بلا ربة لبيتك وانهج طريق الرجال

ولم يزل يلح عليه صديقه احمد حتى رضخ وسلم للامر الواقع فخطب له من اقاربه وتزوج
عنه يجد بعض الراحة والاطمئنان ولولديه العطف والحنان اللذين فقداهما بعد وفاة امهما
الا من والدهما ولكنها سرعان ما خبيت ظننه فانقلبت الى افعى تمر بلسانها بمنة ويسرة
وابت طبعتهما الا ان تعاملتهما المعاملة السيئة التي لم يعهداها من قبل وسابت حالهما
وانثرت على دراستهما فانتبه الاب الى ولديه وعلم ان زوجته هي السبب فلم يجد بدا من
طلاقها فطلقها وذهب بولديه الى اخته التي استقبلتهما بالترحاب والابتناسمة العريضة
وحكى لها ما جرى بينه وبين زوجته فضمت الولدين الى صدرها وانستهما ما يعاود قلبهما
من ألم وحسرة *

عبد الله سنان محيد
— الكويت —





ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

القصيف

بمقام : انطوان تشيخوف

ترجمة : احمد فارس

مدرس اللغة الروسية في جامعة حلب

اطبقت عينا الوكيل زيليرسكي
والنفث الطبيعية برداء اسود حالك
وسكنت الريح وصمتت العصافير
وهجعت قطعان الماشية وخلدت زوجة
زيليرسكي الى النوم منذ مدة طويلة
ونامت الخادبة ونام كل من في البيت
عدا انسان واحد هو زيليرسكي فقد
كان من المستحيل عليه النوم بالرغم
من ان اجفانه كانت تشعر بنقل كبا لو
علق فيها وزنة بثلاثة ارطال . القصة
وما فيها ان لديه ضيفا هو العقيد
المتقاعد بيري غارن - جاره في
المصيف . لقد جاء لزيارتهم بعد الفداء
مباشرة وجلس على المقعد دون ان
يتحرك ولو لمرة واحدة كانه قد لصق
به .

وبصوت مبجوح اجش راح يحدث
كيف انه في عام ١٨٤٢ في مدينة كربين
جوك عضه كلب مسعور . لقد قص

هذه الحادثة أكثر من مرة وهاهو يعود إليها من جديد . يئس زيليرسكي من ضيفه تماماً — فهو لم يترك حجة إلا وتزعج بها ليرغمه على ترك البيت . فتارة ينظر الى الساعة وتارة يتعلل بأن رأسه يؤلمه وتارة يترك الغرفة حيث يجلس الضيف لقضاء بعض الاعمال ولكن جميع هذه الوسائل باءت بالفشل ولم يفهم الضيف بل راح يتابع حديثه عن الكلب المسعور الذي عشه .

غضب زيليرسكي وراح يخالط نفسه :

يبدو أن هذا المعجوز الخرف سيجلس حتى الصباح ، ياله من بليد اذا كان لم يفهم بالتلويح المعادي فانتني سألجاً الى التصرف الاحق معه — اسمع — قال زيليرسكي بصوت مرتفع — اعترف ماذا يعجبني في حياة المضيف ؟

— ماذا هو انه يمكن تنظيم الحياة هنا . ففي المدينة يصعب تطبيق اي نظام ولكن هنا العكس تماماً . في التاسعة نستيقظ وفي الثالثة نناول طعام الغداء وفي العاشرة المشاء وفي الثانية عشرة ننام . انني آوي الى فراشي في الساعة العاشرة . واذالم اتم في هذا الوقت فان صداها يصيبنني في اليوم التالي .

— يبدو أن كل واحد منا تعود على شيء . هذا معقول جدا . اعترف كان لي صديق يدعى كليوشكين وكان يعمل لرئيس قسم . لقد تعرفت عليه عندما كنت اعمل في مدينة سيربيخوف . وكان كليوشكين هذا ..

واخذ العقيد يتعلم ويتطلق مشيراً باصبعه الكسبية وهو يتحدث عن كليوشكين هذا . دقت الساعة معلنة الثانية عشرة واقترب العتوب من الثانية عشرة والنصف والضيف لا يزال يتحدث . واخذ زيليرسكي ينضج عرقاً .

قال غاضباً يحدث نفسه : — يبدو

ان هذا الاحيق لن يفهم ، هل يعتقد ان زيارته هذه مشترك اثرها طيباً في نفسي ؟ كيف يمكن طرده ؟ اسمع — قال مقاطعا العقيد . ماذا علي ان افعل انني اشعر بالهم شديد في حنجرتي . لا ادري اي شيطان دفعني للذهاب الى صديقي هذا الصباح فقد كان ابنه محباً بالدفتيريا . على ما اعتقد انه اعدائي . نعم انني اشعر بانني اصبت بهذا المرض بالدفتيريا . قال العقيد برصانة وهو ينحني :

يحدث هذا . — ولكن هذا المرض خطير الا يكتي اني مريض فقد تنتقل العدوى اليك ان هذا المرض من الابرأض الفتاكـة فكيف لا يمكنني ان اعديك يا بريي غارن .

— تعديني انا ؟ ها — ها لقد عشت في مستشفى للابرأض السارية فلم اصب بآفة عدوى لما أنت فاضيت بسرعة . ها — ها ... بالنسبة لي يا اخ لا يمكن لأي مرض أو آفة عدوى ان تأخذني . انني عجوز حليـب . وعلى ذكر كلمة عجوز فقد كان غريباً في المعسكر عجوز مسن برتبة مقدم يدعى تربين وهو فرنسي الأصل . وكان هذا الذي يدعى تربين .. واخذ بريي غارن يتحدث عن حيوية تربين ونشاطه ودقت الساعة معلنة الثانية عشرة والنصف .

قال زيليرسكي : — عفواً على مقاطعتك يا بريي في اي ساعة تآوي الى فراشك ؟ — في الثانية ، في الثالثة ، وفي بعض الاحيان لا انام اذا كنت جالساً مع اصدقاء ممتازين او عندما اشعر بالهم الروماتيزم يستحوذ علي غالباً يوم نمت في الرابعة . ولانني كنت قد نمت قبل الظهر فأنسي اشعر بانني لست في حاجة للنوم . فأنسي ايام الحرب بقيت اسابيع كاملة لا نعرف طعم النوم . لقد حدث هذا عندما كنا في مدينة اخاليتسكي ...

— عفواً ، ولكنني تعودت انا آوي الى فراشي في الساعة الثانية عشرة ، واستيقظ في التاسعة ، حتى انني انام في بعض الاحيان قبل هذا الوقت . — بالطبع النوم الباكر والاستيقاظ الباكر ، احسن للصحة . اذ هكذا .. كنا في اخاليتسكي

— الشيطان يعرف ماذا حل بـي ... انني اشعر بحرارة ... كما لو انك القيتني في جهنم ، ان هذه الحرارة تلازمني عادة قبل ان اصاب بنوبة الصرع . علي ان اتول لك انه تحدث لدي في بعض الاحيان نوبات عصبية رهيبـة من الصرع ، وخاصة في مثل هذا الوقت من الليل ... اما في النهار فتكون قليلة .. اشعر فجأة بضجيج في رأسي يئز — ز ز ز ... فانقد صوابي وابدا ارتجف واهتز كالجنون والقي بكل ما يقع تحت يدي ، سكين ، كرسي ، واضرب به كل من اراه ايلمي .. وانني اشعر بهذه الحمى الان واعتقد ان النوبة قد حلت . — لا عليك ... ماذا لو عاجلجت نفسك .

— لقد تعالجت ولكن كل ذلك لم يساعد .. ولكنني استطع ان اعمل شيئاً واحداً الا وهو ان ابلغ اصدقائي واهلي بالابتعاد عني . لقد تركت المعالجة منذ فترة طويلة

— اه يا الهي ... كم من الابرأض على سطح المعمورة ، طاعون ، كوليرا ، نوبات متعومة ... هز العقيد رأسه واخذ يفكر وحلت فترة من الصمت . فكر زيليرسكي بينه وبين نفسه « ماذا لو رحت اقرا لك قصصى ، توجد لدي قصة طويلة كتبها وانا لا ازال طالباً في المدرسة .. لعل هذا يفلح » .

وقطع زيليرسكي حبل تفكير بريي غارن — اسمع يا عزيزي الا ترغب في ان اقرا لك قصتي ؟ كتبته وقت الفراغ قصة في خمسة اجزاء مع مقدمة وخاتمة ...

لم ينتظر زيليرسكي جواباً بل

تتمتع بيري غارن وراح بعينين
تلفتين يبحث عن قبعته — يبدو اني
اطلعت في الجلوس ... اوه انها
الثالثة .. ماذا قلت ؟ .

— اني اريد ان اقترض منك او من
اي شخص كان مبلغ ثلاثمائة روبل ..
الا تعرف احدا يمكن له ان يقرضني؟
— من اين لي ان اعرف ؟ والان
حان الوقت « باي ، باي » ...
(اصبحت على خير) ... لا بد ان
زوجتك بانتظارك ...

قال زيليترسكي والبشر يعلو وجهه:
— السى اين ؟ انتسى ارقب في
استدانة بعض المال منك ، انك انسان
طيب .. وآمل ان لا تخيب

— غدا ، غدا . لما الان (غالى
زوجتك سر) . لا بد ان رغبة القلب
زوجتي هي الاخرى بانتظارى ...
ها . ها . ها ... الى اللقاء
يا بلاكي ... الى النوم ... وبسرعة
صافح بيري غارن يد زيليترسكي،
وليس قبعته ثم خرج . فتناول وجهه
صاحب البيت فرحا وسرورا .

لم احصدك ماذا جرى في مدينة
اخاليتسكي ...

اراح زيليترسكي قذالة على المتعد
واطبق عينه وراح يسمع ...
وعاد زيليترسكي الى التفكير بينه
وبين نفسه : « لقد استعملت معه
كل الاساليب والطرق ولكن واحدة
منها لم تصب هذا الحيوان اللعين .
انه الان سيبقى جالسا حتى الرابعة
... آه يا الهى انني على استعداد
ان ادفع الان مائة روبل قطعة واحدة
لمن يستطيع ان يزيحه من مكانه ،
ادفعها في هذه اللحظة . ها لقد
وجدتها ! ساطلب منه ان يقرضني
بعض المال ، انها لفكرة رائعة » .
قال مقاطعا المعقيد :

— عفوا يا بيري غارن ، انني اقطع
الحديث عليك من جديد . انني اريد
ان اطلب منك طلبا صغيرا .. القصة
وما فيها اتي في ايامي الاخيرة هذه
وانا اقيم في المصيف ، صرقت الكثير
دون رحمة او شفقة ، ولم يبق معي
كويكبا واحدا وكما تعلم قاتني ساستلم
راتبي في نهاية شهر اغسطس .

انتفض من مكانه وسحب من المنضدة
اوراقا بالية كتبت باليد وكتب على
غلافها بأحرف كبيرة « الامواج الميتة .
قصة في خمسة اجزاء »

« لم يبق ادنى شك في انسه
سينهض الان — حلم زيليترسكي وهو
يقلب اتمام صبا — سوف اقرأ عليه
الى ان ينهض » .

— اسمع يا بيري غارن ...
— تفصل بكل رحابة صدر .. انني
احب ان اسمع .

أخذ زيليترسكي يقرأ بينا القسى
المعقيد رجلا على رجل وجلس بشكل
مريح وارتمت على وجهه امارات
الجد وبدا انه سيسمع طويلا وبدقة
متنامية ...

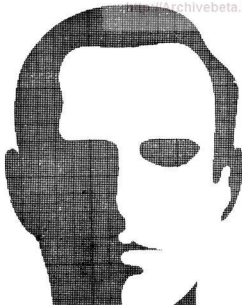
أخذ القاريء يصف الطبيعة ،
وعنها دقت الساعة الواحدة كان
وصف الطبيعة قد اشرف على الانتهاء
وحل وصف قصر بطل القصة النبيل
فالبلتين بلينسكي حيث كان يعيش .
قال بيري غارن وهو ينتفض
الصداء .

— آه لو كنا نعيش في مثل هذا
القصر ، في الحقيقة كتبت قصتي بشكل
جيد وانا مستعد ان اجلس قرنا
للاستماع اليها .

قال زيليترسكي يخاطب نفسه
« انتظر ، انتظر انك ستخرج لا محالة » .
كانت الساعة تشير الى الواحدة
والنصف عندها دخل القصر بطل وسيم
آخر ... وراح القاريء يقرأ بصوت
هاديء معبر :

« انك تسالين ماذا اريد ؟ انني اريد
ان اراك هناك في الجنوب تحت الغيوم
تحت القبة الزرقاء ، يدك الصغيرة في
يدي ننتلق معا في كل مكان .. عندها
سيخفق قلبي الحي ، سيخفق في بيتي
تحت زرقعة السماء الصافية .. آه
يا حبيبتى ، يا حبيبتى » .

— لا ، لا يا بيري غارن لم تعد
لدي القدرة .. انني اتعذب .
— القها ، يمكنك ان تتمتع قراعتها
غدا . لننتحدث الان .. افن هكذا ..



٦ لحاريس والنهر

في اليوم الثاني
وضعت كفا والمه في كفي
واشعلت فرحا
طارحت حول زهور الاحلام الفضة
وانتصت في مرآة الحب ،
حاملة بي ،
بالبيت العائم في بحر من فضة
بنداءات الاطفال الذهبية
« ماها .. » « ماها »
وانطلقت سابعة في الشارع ،
شرب نخب سعادتنا قدحا قدحا
ثم استلقينا فوق العشب ،
نداري حيرتنا ،
ان نتوحد في عش
والارض سلبتها زانية ،
أو راقصة ،
أو قواد ،
أو سلطان ،
أو خائن .. !! »
يدنو كل منا للآخر
نستقيء بالدعوات الولهي
ان يرحمنا رب العرش
من خوف الخوف ،
ومن جوع القلب ،
ومن ظلم الامراء
ومن عين الحساد
ومن تجار السوق « السوداء » .. !!

— القاهرة — محمد فهمي سند

في اليوم الاول
لعبت اعيننا دورا رومانسيا
وقعت عينساي الحائرتان ،
على عينيهما الذاهلتين ،
فنقصر طير الفكرى المبطل
فتش في الاركان المسية
عن دمعات جفت في منديل الظل
عن ومضة عشمي ،
جناحا صغر الاحلام الطوية
عن كلمة حب ،
جذبت قوى سقاء ربيع الحب الاول
نقر طير الفكرى في القلب ،
وأخرج اشجاني او « أوهامي » ،
من جعبة هذا القلب المعطل
نادت عينها الذاهلتان :
« يا طير الفكرى
أحلامي تساقط من أيامي
فادأوي جرحي بالكلمات الخضراء
وبالاحلام الزعناء
لكن لم يرقأ فيّ الحزن الدامي »
قالت عيناى الحائرتان :
« اني بحر الاشواق ،
واني المرفأ »
جرفنها أواج الرغبة ،
اسلمت المجداف ،
لنجم هوانا المتلاهي .. !!

شعر
محمد
فهمي
سند

النشاط الثقافي في الأرض المحتلة

مع الشاعر نايف سليم في ديوانه وفناء

- ♦ الشاعر يرفع حزنه الى المستوى الانساني العام
- ♦ أوصاف الشاعر هي من صميم القصة الفلسطينية
- ♦ في الديوان : بعد عن الكلمات الرنانة واقتراب من الصورة

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

تفهمها ولعل في انتقال الشاعر من العابية الى الفصحى في القصيدة الواحدة ما يبرهن على هذا القول . « والسر الثالث لتنجاح هذه القصائد ، هو القدرة الفذة لدى الشاعر ، على أن يخرج من دائرة الوعي الصاحي ، ليرى كل شيء متعلقا « بوفاء » رؤية أخرى مختلفة تماما عن الرؤية السابقة ، ومن خلال تمسك الشاعر بالصغر الأشياء المتعلقة بالطفلة الراحلة ، يصارع لرد عجلة الزمن ، لتجاهل ما حدث ، هنا نرى المغامرة الانسانية الفاشلة سلفا، نرى المكابرة الماسوية في البداية ، التي تنقلب الى حزن شبه صوتي في القسم الثاني من المراثي . « في القصيدة الأولى « الفرح الحزين » نقرأ قصيدة هي بدون

جريدة « الاتحاد » الصادرة في الأرض المحتلة كتب يقول : « ان نايف سليم لم يجعل من مساته مأساة شخصية ضيقة ، ولم يحول حزنه الى دائرة النواح الرتيب المتأزم ، بل رفع المأساة الى المستوى الانساني ، لم تعد « وفاء » هي بنت الشاعر فقط ، بل الابنة عموما ، ولم يعد نايف والد « وفاء » فقط بل الاب عموما . في القصائد كلها لا يتكلم نايف الاب ، بل نايف الانسان وهذا هو السر الاول في نجاح هذه القصائد بهذا الشكل المدهش . « ولما السر الثاني فهو التلقائية الرائعة التي تميز القصائد ، ويخل الى ان نايف لم يكن صاحبا وهو يكتب ، لم يكن يملك قيادة نفسه ، ترك لنفسه الجريح واعصابه الممزقة ان تفرغ

صدر قبل فترة قصيرة عن دار « عريش » ديوان شعري جديد « للشاعر نايف سليم بعنوان « وفاء » وهو اسم ابنته التي توفيت . وقد كرس معظم قصائد ديوانه لها . وقد تميزت اشعار نايف سليم بشكل عام بالثورية المتفائلة . ولقد ذهب الكثير من المعلقين في صفح الأرض المحتلة الادبية ، للقول بأن الشاعر قد بالغ في حزنه ، بل خشي بعضهم أن يضع الشاعر في حلقة مفرغة من الحزن ، وذهب البعض الآخر الى أن هناك تناقضا واضحا بين ثورية نايف سليم كشاعر وكاتسان ، المتفائلة وبين هذا الحزن .

الا ان الشاعر المعروف سالم جبران تصدى لكل هؤلاء في ندوة اقيمت لتكريم الشاعر ، ونشر ملخص لها في

أما الجزء الثاني فيتصل بالحبس المنزلي « الاتيامة الجبرية » الذي فرض على الشاعر خلال أكثر من سنتين ، بالإضافة الى قصائد أخرى ، وهنا لا نرى نايف يتعامل مع الكلمات الطناتية ، لا يخطب ، بل يصور ، انه انسان عادي جدا يصير على ممارسة انسانيته ، إلا أن سلطات العدو لا تريد هذه الممارسة ، وتخشى حبه لمن حوله ، محاولة تقليصه : —

« ... وقعدنا ننعشى

وإذا خطو على الباب ثقيل

وعلى الباب سمعنا طرقات

وصدى من همسات

قلت : فوتوا

وقال طفلي: نو ... ت ... توتو ..

وظلنا ننعشى

وعلى الباب رأينا ظل بوليس طويل

ويتمشى

وعلى الدرب صدى خطو ثقيل

والدجى ينسج جلابيا وموشى »

ان الشاعر هنا يقدم لنا صورة واضحة لما حدث ، كيف جاء البوليس لاعتقاله ، كيف استقبلهم وكيف تحدث الطفل ببراعته .

ولا بد لنا من القول ، ان نايف سليم يعاني من المبالغة في الالتصاق بالواقع ، مما يقصد الشعر نظرة شعرية بعيدة المدى ، انه بحاجة الى تطوير القدرة على الخروج خارج الحدث ، حتى وهو في داخله بحاجة الى استيعاب الاحداث والحوادث ، وتعميمها ادبيا بشكل اتجع وأوسع انه بحاجة الى خلق توازن اق بين قنينة المضمون والشكل مع عدم اختلافي معناه ان المضمون هو الاساس ، ان المضمون الثوري لا

يا نار قلبي حرقى قلبي

البنيت لا ترثي ؟؟؟ »

الى ان يقول : —

« قالوه من زمان

قالوه

لانهم لا يعرفون حزني

الذي يذوب الصوان

لانهم لم يحسبوا أن الاب الحزين

انسان » .

وفي قصائد أخرى يتحول الحزن الى نزعة فلسفية تصارع قضية الوجود والعدم ، من خلال الطلأ الانساني القديم للحياة البائسة ، حتى انه يحسد الشجر الذي يجدد اوراقه كل سنة بعد سقوطها : —

(كت الورق ع توتة الحاره

وطار الورق

وضاعت وفائي وين ؟؟

ضاعت ما عادت تلقي

وذابوا وراق الزنيقا

يا حسرتي ، كت الورق ، طار الزرق

وقلبي اتفلق ، عا حسرتوا المره

وايابنا الحلوه غدت مره

يا ريتنا يا بوي لو منعود

نخضر

مثل الورق ع توتة الحاره)

ان الاوصاف التي استخدمها الشاعر هي من ميم حياة القرية الفلسطينية، الامر الذي جعل للقصائد طمعا خاصا ، كأنها قصائد وصلت الينا من عهد سحيق ، ان صرخات الانسان على طفل يموت منذ وجد ، لا تختلف عن بكاء نايف .. ان المراثي التي في اغلبها قصائد قصيرة مركزة ، اشراقة ومضة ، شهقة عميقة الفور ، قصيرة الطول .

هذا هو الجزء الاول من الديوان

مبالغة في مستوى شعر الرحابنة ، وهي تذكرنا بقصيدة « يا ابني » التي كتبها بشيل طراد لفيروز ، حول مأساة مشابهة المت فيروز ... ان الشاعر يطوف « غارنا » حيث الماء والقمر والناس والشجر والهدوء السدائي، الذي يدعو للطمأنينة ... لكن الفرح يذكرنا بالحزن ماذا هي قصيدة علمية غلكلورية رائعة الانسجام الفني ، تحرق اصابع الشاعر : —

« وظلتي وحدي

واقف بقي المستحية

وظل الهوا دافي

والفصون رفاة

حوالي

تا تتم لساني

فطنت بوقاء ، ببسمتها

والناس مهنتوا

وبيلوزنا الحمرا

يا ميمتي ، اللي ما لبستا

وبشابتنا السمرا

وبلفتنا

وبطرفها الرائي

وبمين لما عدت

من سفرتي الماضية تلقتاني »

الى ان يقول في آخر القصيدة

« خللي جروحك لك يا معتر

وخللي البلبه

للي ابتلوا فيها

ولا تشوه المنظر »

وان كان الشاعر ذاتيا في قصائده ، وهو رغم على ذلك ، إلا أنه يرفع المأساة الى مستوى التجارب الانساني العام ، وعن هذا بالضبط يعبر في قصيدته « عن الرثاء » : —

« البنيت لا ترثي

لانا انتي

يؤدي كل تأثيره اذا لم يكن في قالب جميل .

وأخيرا فان روح نايف سليم هي روح كبيرة واصيلة وحساسة وسريعة التجاوب وهذا ما يجعل انتاج نايف قريبا جدا الى قلوب القراء .

أخبار ثقافية متفرقة

● صدر حديثا عن « دار الشرق » الطبعة الثالثة ، من مسرحية « أبو الإنبياء » ، لمحمد عباسي .

● كذلك صدر للقاص عبد الرحمن عباد ، مجموعة تمثيلية جديدة بعنوان « جمع الشمل » تحتوي على احدى عشرة قصة قصيرة ، ينشر بعضها لأول مرة .

● عن مجلة الشرق صدر لانتظون فرح مجموعة خواطر بعنوان « نقوش » ، وقد حملها الكاتب ، كما جاء على الغلاف ، عصارة فكره وتجربته ، وهي اشبه ما تكون بلوحات فنية ، كل صورة تعرض مشهدا من مشاهد الحياة بما فيها من تأمل وبسمة ساخرة أو فكرة حية لاذعة تنص بفلسفة الحياة .

● وفي شفا عمرو صدر لاسد عزمي ديوان شعري باللغة العبرية ، هو باتورة انتاجه في هذه اللغة ، وكان قد نشر من قبل عددا من القصص والتصانيد في الصحف العبرية ،

وبسبيل التشاؤم والاحساس بالمصير المحتوم على قصائد الديوان ، والمعروف ان اسد عزمي يمارس الرسم كذلك .

● الشاعر الفلسطيني عدنان الصباح ، ما زال معتقلا ، حتى وقت كتابة هذه الرسالة ، في سجن طولكرم المركزي في الضفة الغربية ، دون منذ اكثر من خمسة شهور ، دون محاكمة ، وقد سبق « للبيان » ان

اجرت مقابلة مع هذا الشاعر قبل اعتقاله بشهر واحد تقريبا .

● يتعرض الشاعر الفلسطيني عبد اللطيف عقل لخساياقات سلطات الاحتلال ، حيث فرضت عليه الاتهام الجبرية اثر الاحداث الاخيرة التي شهدتها مدينة نابلس المحتلة .

كلية الاداب - الجامعة الاردنية
بسام محمد جرار
عمان

وأنا في انتظاره
حين يأتي الى الزمن
بشبابيك داره
بمفاتيح داره
أعطني خاتم الوطن
يا حبيبي ، ومث معي
أعطني خاتم الوطن

وجهه غاب في اللهب
وجه صار أخضرا
وجه يحمل الصليب
يا سميئا ونخجرا
وأنا في انتظاره
حين يأتي الى الجبال
بنجوم وبرتقال
وجهه غاب في اللهب
وجه صار أخضرا
وجه يحمل الصليب
يا سميئا ونخجرا
وأنا في انتظاره
حين يأتي الى الجبال
بنجوم وبرتقال

يا حبيبي ، وكنت ... أه
قمرى غادر الجباه
قمرى صار لاجئا
في عيوني وفي المتاه
وحبيبي بلا زمن

وجهه غاب في اللهب
وجه صار أخضرا
وجه يحمل الصليب
يا سميئا ونخجرا
وأنا في انتظاره
حين يأتي الى الجبال
بنجوم وبرتقال

ملاحظات أولية حول الحركة الأدبية في المغرب

بمّلم : أحمد المصالح

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

تكون هناك « مجابهات » فكرية ونقدية عميقة ، وبدون أن يفعل شيء لوقف الانتهاكات والاعتداءات التي يتعرض لها أدباء عرب ملتزمون بالدفاع عن قيم نصب الاتحاد نفسه للدفاع عنها . من هنا يصبح الميثاق ضروريا ليوضح الروابط والمسؤوليات في عمقها لا في مظهرها الشكلي القاسي بتجميع اتحادات كتاب العرب في المجاملة والرتابة والتناقض الفكري .. » .

والسؤال الآن ، لماذا تغدو الكتابة — المجابهة هي السمة المميزة للحركة الأدبية في المغرب ؟ ما هي الحركات والمؤثرات الفاعلة على الأرضية العامة لبنية الأدب المغربي المعاصر ؟ ثم هل هذه المجابهة الأدبية ، فقرة خارج التاريخ المغربي قديمه وحديثه ، أو هي حتمية جدلية نابعة من طبيعة الصراع بين مختلف الظروف التي تكتنف الواقع المغربي نفسه ؟ وللإجابة على هذه التساؤلات ، لا بد من محاولة رصد مختلف الإشارات على المسطرة الثقافية والأدبية المغربية المعاصرة ، وبالتالي محاولة استقراء تلك الإشارات وانطقتها ، ليتسنى لنا أخيرا رسم أو استشراف اللامح الحقيقية للخريطة الأدبية المغربية الكائنة والمرتبطة . وهذا ما سأحاوله عبر هذه الملاحظات

في كتابه — الدرجة الصفر من الكتابة — يعرف رولان بارت الكتابة بأنها « انتاج حريولد من التجابه بين الكاتب ومجتمعه » . ويقتني بأنه ليس هناك تعريف أكثر دلالة على الكتابة الأدبية في المغرب من تعريف رولان بارت هذا . وبالرغم من أن أية كتابة جادة هي في التحليل الأخير ضرب من التجابه ، إلا أنه بالنسبة للكتابة الأدبية المغربية ، سواء أكانت شعرا أم قصة أم مسرحية أم مقالة ، يغدو مصطلح الكتابة — المجابهة ، قضيتها المركزية الهامة والملحة .

جاء في مشروع ميثاق الشرف الذي كان اتحاد كتاب المغرب قد هياه قصد عرضه على مؤتمر أدباء العرب العاشر في الجزائر — وقد وزعه فعلا — ما يلي بالنص :

« ... لكننا اليوم ، ونحن نستقبل المؤتمر العاشر لهذا الاتحاد ، يتحتم علينا أن نمارس النقد الذاتي وأن نعترف مهما تباینت التحليلات ، بأن اتحاد أدباء العرب أصبح بشكلولا فاقدا لفعاليته وحضوره في ساحة الثقافة العربية . تحول الاتحاد الى لقاعات روتينية مفرغة المحتوى ، تلقى الأبحاث والدراسات والقصائد ، وتصدر التوصيات والملتزمات بدون أن

الأولية ، يستعينا بشهادات بعض شخوص هذه الكتابة .

● **أولا :** الإشارة الوطنية : من المعلوم أن المغرب خضع للحماية الفرنسية منذ بدايات هذا القرن ، ولم يزل استقلاله إلا في سنة ١٩٥٦ م ، ومع ذلك فإن الرأي العام الشعبي المغربي ، يرى أن هذا الاستقلال ناقص ، ذلك لأن أجزاء كبيرة من أراضي المغرب ما زالت تنتظر خلاصها وعودتها إلى حظيرة الوطن الأب . ومن هنا فإن قضية تحرير هذه الأراضي المحتلة تعتبر الهاجس الوطني الحاد لكل أبناء المغرب . وخاصة الكتاب والادباء الوطنيين . أن موضوع التحرير يكاد يكون هو الموضوع الرئيسي والسائد في الصحافة الحلية وأجهزة الإعلام . حتى على المستوى الجماهيري ، فلا يكاد يمر يوم دون أن تعمّد ندوة أو يقام تجمع شعبي ، لشرح أبعاد هذه القضية التحريرية . بل لقد بلغ هذا المد الشعبي مداه حين قدمت التجمعات الوطنية بذكره إلى الملك ، تطالبه فيها بالعمل السريع لتحرير الأراضي المحتلة وانجاز الوحدة الترابية للمغرب المستقل . وتكسب لهذه الحركة الشعبية المتعاطفة ، وقف الأستاذ الأديب عبد الكريم غلاب ، رئيس اتحاد كتاب المغرب ، ورئيس وفد المغرب الأدبي إلى مؤتمر اتحاد الأدباء العرب العاشر بالجزائر في نيسان من العام ١٩٧٥ . وقف ليعلم أمام المؤتمر بأنه إذا كان العالم العربي يعرف في فلسطين وفي سيناء ومرتفعات الجولان ، اغتصابا لأراضيها وانتهاكا لحقوقه ، فإن الصحراء المغربية ومدنيتي سبتة ومليلية والجزر الجعفرية تعيش كلها تحت وطأة الاستعمار الإسباني .

● **ثانيا :** الإشارة القومية : كان من نتيجة الاستعمار الفرنسي للمغرب طيلة نصف قرن تقريبا ، وما بذله هذا الاستعمار من جهود كبيرة وخبيثة لفك عرى وحدة المغرب الوطنية وسلخه بالتالي عن انتماءاته العربية الإسلامية ، وذلك ابتداء بالظهير البربري الذي إسطه الوعي والنضال المغربي الأميل بقيادة حركته الوطنية الاستقلالية ، ومرورا بالدراسات الأنثروبولوجية المكثفة الهادفة إلى نزع المغاربة من جذورهم وانتماءاتهم العريقة الفسارية في أعماق التاريخ ، وانتهاء بالاستعمار الثقافي الهادف إلى طمس الشخصية الحضارية للمغرب ودوره في إثارة الطريق بحضارته العربية الإسلامية لأوروبا وفرنسا بالتحديد حين كان أي رشد بالذات معلما الأول في العصر الوسيط ، أقول كان من نتيجة كل ذلك — بالإضافة إلى سيطرة اللغة الفرنسية — والثقافة الفرنسية — أن ترسب في وعي أو لا وعي بعض الفئات الجاهلة أو المتفرنسة شعور بالانسلاخ

القومي . وفي هذا الصدد نجد الكاتب والأديب القاص عبد الجبار السحبي يصرخ من عينيهِ في زاوية — كتابات طائرة — في جريدة العلم ، معقبا على زيارة الشاعر الفلسطيني أحمد دحبور للمغرب ، كتب يقول : « ... أن اتحاد كتاب المغرب يحرص وهو يدعو هذه الوجوه العربية إلى هذا الوطن المنفي عند أقدام المحيط ، أن يؤكد من خلالها ، الوجه العربي السذي هو وجهنا ، وكان يجابه بهذا الحضور دعوات التغريب التي تريد بعض الجهات أن تبثها ، ويجابه بها محاولات بعض البعثات الأجنبية التي تتكلف الكثير من أجل استحضار خبراتها ومحاضريها لتغرق بوجودهم السوق ، ولتجمل التفكير اللاواعي للمواطن المغربي ، يقتل أننا وطن على عتبة الغرب ، قريب منه ولتطمع به ، بعيد عن الوطن العربي وعن قضايا ومشاكله ، حتى يترسب أخيرا في وعي الإنسان المغربي نوع من الانتباه للغرب وعدم الانتباه للوطن العربي . حضور مثقفين عرب إلى هذا الوطن يمثل في ذاته أكثر من أمسيات شعر ومهرجانات خطب ومحاضرات ، أنه يمثل التحدي لكل دعوات التغريب ، ويؤكد أن هذا الوطن لن يكون له غير وجهه وانتماءاته العربية » .

● **ثالثا :** الإشارة الثقافية : وهنا يكمن المشكل الحقيقي والصعب ، ذلك ، وبالرغم من أن دستور الدولة ينص على أن اللغة العربية هي لغة الدولة الرسمية ، إلا أنه في واقع الحال ، تكاد تكون اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية للمغرب . فما زالت الإدارة الحكومية بعد مرور عشرين سنة تقريبا على الاستقلال تسير أعمالها باللغة الفرنسية ، حتى وزارة التعليم ، فما زالت الساعات الممتدة للتدريس في مدارسها الثانوية (٧) أقسام ، تملأ معظمها باللغة الفرنسية . حتى اللغة الدارجة ، وهي عربية في جوهرها ، لم تسلم من التلوث ، باختصار شديد أن اللغة الفرنسية هي المهيمنة على الحياة العملية في المغرب . وأزاء هذا الوضع الشاذ والمعكوس ، تسبب الإحور ، ويصبح الانقسام وكأنه قدر الشخصية المغربية . كتب الأستاذ الأديب عبد الموجد بن جلون في مذكرات العلم ٧/٧٥ ، يقول : « ... وإذا كان في استطاعة الحكومة أن تغرب التجارة والصناعة والزراعة ، فإنها لا تستطيع — وأأسفاه — أن تغرب قولنا ، لئنا نفكر بالفاظ أجنبية في بيئة استوردناها من الخارج جانب أن يبيتنا داخل بيتنا ، وأعجبا — ... أن الإنسان في المغرب لا يعن في الانسلاخ فقط عن تاريخه ، وإنما يعن أيضا في الانسلاخ عن الخضوع لبيئته أيضا فيحقق بذلك معجزة تحطم حقيقة علمية . منذ عشرين سنة وهي فترة وجيزة في حياة الشعوب

لم تطرد الاستعمار من الباب ليخلد من النافذة كما يقولون ، وإنما طردها من النافذة ثم جرينا الى الباب لنستقبله بحرارة وترحاب .

في مثل هذا المناخ ، يصبح من الطبيعي ان تزحف الفرنسية على الفنون وغيرها من فروع الثقافة ، لذلك لا نستغرب اذا تضخم القسم الفرنسي في الإذاعة على حساب القسم العربي ، أو اذا شغلت البرامج القديمة بالفرنسية معظم ساعات البث التلفزيوني . كذلك فلا نتعجب اذا ما استحوذت الفرق الأجنبية على المسارح بنسبة كبيرة كذلك فلا تستغرب أيضا اذا أودعت الوزارات شاعرا يكتب بالفرنسية ليهشل المغرب في تجسس دولي للشعراء كما حصل منذ سنة أو يزيد ، حيث وقف هذا الشاعر بين الحاضرين يلتقي شعرا فرنسيا باسم المغرب وكان نشازا بين غيره من الشعراء العرب الذين اتقوا الشعراء بالعربية ونقل معناها الى اللغة الأجنبية . « ملحق العلم الثقافي في السنة الخامسة العدد ٢٦٦ » . كتب الاديب القاص احمد باكوي على الصفحة الثانية لجريدة العلم في ١٤/٧/٧٥ تحت عنوان — الثقافة العربية تصبح بلا طالب — يقول : « ... لقد سبق

لادارة مسرح محمد الخامس بالرباط ، أن أعدت للذين ينعون عليها كسلها ، تقريرا في هذا الموضوع سجلت فيه حقائق تثير العجب عند من لا يعرف السبب ، يقول التقرير .. لقد قدمت فرقة « الفناع الصغرى » مسرحية غنائية ، فكان اقبال الذين يطلبون الاستعدادات « الدعوات المجانية » عظيمها لعدد زوار شبكات التذاكر بحيث بيعت ٣٣٥ ورقة فقط . كما عرض الطيب الصديقي مقامات الهذاني في اخراج ملازمي اعجب به الكثيرون ولكن ذلك لم يزد في عدد الذين ادوا ثمن تذاكرهم ، فكان الدخل ١٣٧٨ درهما « ٩٠ دينارا كويتيا » . في حين جاءت فرقة فرنسية لتقديم — دون جوان — لمولير ، في شكل رديء ، كان اقبال الشبان المغاربة المتقين عليها يمثل اكثر من ٧٠٪ من مجموع الحضور . ولم توزع سوى استعدادات تلبية جدا ، يبلغ الدخل ٥٨٧٠ درهما . ويخلص الكاتب الاديب احمد باكوي من عرضه الى الظاهرة الخطيرة الناشئة نتيجة لكل ما سبق ، يقول احمد باكوي في نفس المقال : « ان العرض والطلب يزدادان على الثقافة الفرنسية تزايد الماء والدقيق في المثل الغربي . حتى ظهر ماهو اخطر من كل ما مضى وهو نشوء الادب المغربي المكتوب بالفرنسية » .

● وايضا : الإشارة الاجتماعية : صحيح أن المغرب يتمتع باقتصاد متطور ، مدعم بالانتاج الفلاحي الدائم والوفير . كما هو صحيح ايضا أن المغرب بلد سياحي

بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى : بيئة جذابة ، مياه وغيرة ، شواطئ رائعة ، ومصحرا واسعة وصافية . والاهم من ذلك طبيعة المواطن المغربي السياحية ، بالإضافة الى الجو المنفوح . فكرا وعادات ومرافق . وربما هذا ما يجعل الحياة في المغرب سواء على المستوى المادي أم على المستوى الاجتماعي افضل من مثيلاتها في اغلب البلدان العربية . ولكن رغم كل ذلك فان هناك هوة كبيرة داخل البنيان الاجتماعي المغربي ، هذه الهوة الشاسعة ، تشطر الشعب الى قسمين واضحين : القسم المتختم المرفه ، الذي يسكن العمارات الشاهقة ، وقسم آخر جائع يسكن مدن القصدير المتواجدة بقرب تلك الناطحات كذلك قل من مخيمات الطوارئ وسكان الاحياء القديمة التي لا تدخلها الشمس ، ناهيك عن ارباب المتولين التي تجسب الشوارع او طوابير العاطلين عن العمل الذين يضطرون للهجرة خارج المغرب ، او يتسكعون في الحدائق العامة يتعطلون المخدرات . وازاء هذه الوضعية الاجتماعية ، تنهض الكتابة الادبية المغربية لتجسد بكل ثقلها مفهوم الكتابة « الجاهية » ، بأشدها واعنف ما تكون ، وخاصة في مجال الكتابة الادبية القديمة .

جاء في مقدمة مجلة الثقافة الجديدة العدد الثالث ، التي يرأس تحريرها الشاعر محمد بنيس ما يلي بالحرف : « اثينا لنقول ، هذا زمن التصحيح ، زمن البحث عن الحقيقة . قرنا الخروج على الصمت والحروب القبلية المفجعة . قلنا ونقول ، يا زمن القناعة والرضى ، قف انك مدان . خرجنا لتفتح مع الفاتحين زمن السؤال الحقيقي ، ان السؤال هو نقض بنية الثقافة المغربية الحالية في اغلبها ، فهو المحرك للسكان والمحرك لطبقات التكلس . ثقافتنا دائرة من التسليم والهزيمة والتبرير والتواكل ، والسؤال نجح ، نحن جبل النجع . لسنا راكسين وراء السؤال الملحق ، علنا واضح ومحدد وملبوس ، ينطلق من واقع ثقافي مازوم وينتهي نحو البحث الجماعي عن الحقيقة . كل سؤال لا يخدم هدفنا يعتبر تراجما ، لا علاقة لنا بالسؤال المزيف الخادع لاعداء النهج العلمي . قد نخطئ في تبني بعض الاسئلة الزائفة ولكننا لن نستهزل في موقفنا حين نتضح الحقيقة . جننا واضحين وسنبقى كذلك .. » .

وختاما فهذه ملاحظات اولية حول الحركة الادبية المغربية ، قصمت من خلالها تحسنا بعض المؤثرات والمحركات التي تترك بصماتها على المسطرة الثقافية والادبية المغربية المعاصرة ، والتي ، حسب اعتقادي ، لا بد لقارئ الادب المغربي من الوقوف عليها .

احمد المصالح
المغرب